وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
كلية الآداب / قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

شرحا القسطلاني (ت -٩٢٣هـ) وعلي القاري (ت - ١٠١٤هـ) على متن الجزرية

دراسة صوتية موازنة

رسالة قدَّمتها الطالبة

آيات مسلم طالب المرعب

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بابل وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / اللغة

بإشراف

الأستاذ الدكتور حيدر فخري ميران

١٤٤٣هـ ٢٠٢٢م

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon - College of Arts
Department of Arabic Language
Postgraduate Studies

Explanation of al-Qastalani (d. 923 AH) and Ali al-Qari (d. 1014 AH) on the board of al-Jazirah, acoustic and balancing study.

A letter submitted by the student
Ayaat Muslim Talib

To the Council of the Faculty of Arts - University of Babylon
It is part of the requirements for obtaining a master's degree in Arabic Language Arts/Language

Supervised by
Prof. Dr
Hiadar Fakree Meeran

2022A.D 1443A.H

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

صدق الله العلي العظيم

هود / ٨٨

إلى مليك الأرض وسلطانها ،الحاضر الغائب

سيدي ومولاي مُحمد بن الحسن المنتظر "عج"

الباحثة

إقرار المشرف

أقر بأن هذه الرسالة الموسومة بـ**(شرحا القسطلاني (ت-٩٢٣هـ) وعلي القاري(ت-١٠١٤هـ)على متن الجزرية دراسة صوتية موازنة)** للطالبة **(آيات مسلم طالب هاشم)** قد جرت بإشرافي بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة.

توقيع المشرف العلمي:

اللقب العلمي والاسم: **الاستاذ الدكتور حيدر فخري ميران**

التاريخ: / /٢٠٢٢م

بناء على ترشيح المشرف وتقرير الخبيرين العلميين العلمي أرشح هذه الرسالة للمناقشة

توقيع رئيس القسم:

اللقب العلمي والاسم: **أ. م. د. حيدر غضبان محسن الجبوري**

التاريخ: / / ٢٠٢٢

التمهيد

حياة الشَّارِحَيْن ومنهجهما في شرح المقدِّمة الجزرية

أولاً: العلاّمة القسطلاني (ت-٩٢٣هـ):

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزين أحمد بن الجمال محمد بن الصفي محمد بن المجد حسين بن التاج علي القسطلاني[١]. وكنيته شهاب الدين، أبو العباس القسطلاني، الإمام العلاّمة الحجَّة الرّحلة الفقيه المقرئ المسند[٢].

ولد القسطلاني في الثاني عشر من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمان مائة (٨٥١هـ) بمصر[٣]. ووصف بـ(القسطلاني) نسبة إلى قسطيلية ، وهي بلدة في الأندلس، أو يقال: من إقليم إفريقية غرب قفصة، أو يقال: القسطلانية قوس قزح وحُمرة الشفق[٤].

تذكر المصادر أنَّ القسطلاني نشأ في مصر بالقاهرة نشأةً علميةً على أيدي مشايخها، فحفظ القرآن، وتلا للسبع وحفظ الشاطبية والجزرية، والوردية وغير ذلك، ويذكر أنَّه كان كثير الاهتمام بالقراءات، وأنَّها من أوائل العلوم التي تلقاها، إذ كان يقول في ذلك: ((وهذا العلم هو أول علم مَنَّ الله عليَّ بتعلّمه، وأسبق فن عالجت نفسي قبل بلوغ الحلم في تفهّمه، فهو كما قال بعضهم: الصديق القديم، والنديم الذي منادمته ألطف من مرِّ النسيم)) [٥].

وقد أخذ هذه القراءات عن الشمس بن الحمصاني (ت-٨٩٧هـ) [٦] إمام جامع ابن طولون، والزين عبد الدائم (ت-٨٧٧هـ) [٧]، والأزهريّ (ت-٩٠٥هـ) [٨]،

---

(١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: ١٣/٢، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع : ١٠٢/١، وفهرس الفهارس: ٩٦٧/٢، والأعلام: ٢٣٢/١، وإمتاع الفضلاء: ٤١/٢، واللآلئ السنية (المحقق سامي ماضي)، رسالة ماجستير: ٢.

(٢) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ١٦٩/١٠، واللآلئ السنية: ٢.

(٣) شذرات الذهب: ١٠/ ١٦٩، واللآلئ السنية: ٢.

(٤) ينظر: ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب: ١٩٩/١، ومختصر فتح رب الأرباب لما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب: ٤٨/١.

(٥) لطائف الإشارات: ٢١، واللآلئ السنية: ٣ – ٤.

(٦) هو محمد بن ابي بكر بن محمد الشافعي، المعروف بَابْن الحمصاني. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:١٩٠/٧.

(٧) هو عبد الدائم بن علي زين الدين، الحديدي، الأزهري الشافعي. ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع:٤٢/٤.

(٨) هو خالد بن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن احمد الجرجاوي، الازهري، المصري، الشافعي، ويعرف بالوقاد. معجم المؤلفين:٩٦/٤.

والأنصاري(ت-٨٦٨هـ) [١]، وأخذ الفقه عن الفخر المقسي(ت-٨٧٧هـ)[٢] تقسيمًا، والشهاب العبادي(ت-٨٨٠هـ)[٣]، وقرأ ربع العبادات من المنهاج ومن البيع وغيره. وأخذ النحو عن العجلوني(ت-٨٨٥هـ)[٤]، إذ قرأ عليه شرح الشذور لمؤلفه والحديث عن كاتبه، قرأ عليه قطعة كبيرة من شرحه على الهداية الجزرية، وسمع مواضع من شرحه على الألفية وكتبه بتمامه غير مرَّة، ثم قرأ منه بمكَّة أكثر من ثلثهِ[٥].

((يذكر أنَّه حجَّ غير مرَّة، وجاور سنة أربع وثمانين ثم سنة أربع وتسعين وستين قبلها على التوالي، ورجع مع الركب فتخلَّف بالمدينة وقرأ بمكَّة على زينب ابنة الشوبكي[٦] السُنن لابن ماجة وغيرها، وعلى النجم بن فهد وآخرين، وصحب البرهان المتبولي وغيره، وجلس للوعظ بالجامع العمري سنة ثلاث وسبعين،..، وولي مشيخة مقام أحمد بن أبي العباس الجزار بالقرافة الصغرى، وأقرأ الطلبة فيه))[٧]. لذا وُصِفَ ((بالتقوى والصلاح مما استوجب الثناء عليه، فقد كان متعففًا، جيِّد القراءة للقرآن والحديث، والخطابة، شجي الصوت، مشاركًا في الفضائل، متواضعًا، متوددًا، لطيف العشرة، سريع الحركة، اشتهر بالصلاح والتعفف على طريق أهل الفلاح))[٨].

---

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ، المصري الشافعي. الأعلام:٣/٤٦.

(٢) هو عثمان بن عبد الله، أبو عمرو الفخر المقسيّ .اللآلئ السنية:٩.

(٣) هو أَحْمد بن عَليّ بن حُسَيْن بن حسن بن عَليّ بن عبد الْوَاحِد الشهَاب الْعَبَّادِيّ ثمَّ القاهري الْأَزْهَرِي الشَّافِعِي. الضوء اللامع:٢/١٢.

(٤) هو إِبْرَاهِيم بن أَحْمد بن حسن بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد برهَان الدّين العجلوني ثمَّ الْمَقْدِسِي الشَّافِعِي .الضوء اللامع:١/١١.

(٥) ينظر: الضوء اللامع: ٢/١٠٣، والبدر الطالع: ١/١٠٢، وفهرس الفهارس: ٢/٩٦٧، والعقود السنية: ٤٠.

(٦) هي زينب ابنة احمد بن محمد بن موسى، ابنة الشهاب الدمشقيّ الشوبكي. اللآلئ السنية:٨.

(٧) الضوء اللامع: ٢/١٠٤.

(٨) معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ: ٢/٧٧.

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

يذكر جُلّ من ترجم للقسطلاني بأنَّ العلّامة كان زينة أهل عصره، ونقاوة ذوي دهره، جليل القدر، إمامًا وحافظًا ومحدثًا، ومؤلفاته أحد الأدلة على براعته وتميزه العلمي، وقد أثنى عليه أكثر العلماء[١].

قال العلائي(ت-٧٦١هـ)[٢]: ((إنَّه كان فاضلاً محصلًاً ديِّنًا عفيفًا مقلاً من عشرة الناس إلّا في المطالعة والتأليف والإقراء والعبادة))[٣]. وقال الشعراوي: ((كان من أحسن الناس وجهًا، طويل القامة، حسن الشيب، يقرأ بالأربع عشرة رواية، وكان صوته بالقرآن يُبكي القاسي إذا قرأ في المحراب تساقط الناس من الخشوع والبكاء))[٤]. ووصفه ابن عماد العماد العكري[٥]: بأنه: ((الإمام العلّامة الحجَّة الرَّحلَة الفقيه المقرئ، المُسنْدِ))[٦].

مؤلّفاته:

ألَّف القسطلاني -رحمه الله- الكثير من المؤلفات أذكر منها[٧]:

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.
- الجنى الداني في حل حرز الأماني.
- العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية.
- فتح الداني في شرح حرز الأماني.
- قبس اللوامع في مختصر اللوامع.

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات: ١٩، واللآلئ السنية: ٤، والنور السافر عن أخبار القرن العاشر: ١٠٧.

(٢) صلاح الدين أبو سعيد، خليل العلائي الدمشقي الشافعي. ينظر: نثل النبال بمعجم الرجال:٥٠١/٤.

(٣) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة:١٢٨/١.

(٤) الكواكب السائرة: ١٢٨/٢.

(٥) هو أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد، العكري الصالحي، الحنبلي، المعروف بابن العماد.شذرات الذهب:١/٩.

(٦) شذرات الذهب: ١٦٩/١٠.

(٧) ينظر: الضوء اللامع: ١٠٤/٢، والكواكب السائرة: ١٢٩/١، وكشف الظنون: ٦٤٦/١، ١٩، ٩٦٠/٢، ١٣٥٢، ١٥٥١، ١٥٦٨، ١٦٨٩، ١٧٩٩، ١٨٤٧، ١٨٩٦، وشذرات الذهب، ١٦٩/١٠ – ١٧٠، والبدر الطالع: ١٥٣/١، ومعجم المطبوعات: ٥٣٦/٢، وفهرس الفهارس: ٩٦٧/٢ – ٩٦٨، والأعلام: ٢٣٢/١، والعقود السنية: ٤٢ – ٤٣، واللآلئ السنية: ١٢ – ١٣، وإمتاع الفضلاء: ٤٢/٢.

- الكنز في وقف حمزة وهاشم على الهمز.
- اللآلئ السنية (وهو موضوع دراستنا).
- لطائف الإشارات لفنون القراءات.
- المواهب اللدنية في المنح المحمدية في السيرة النبوية.
- نزهة الأبرار في مناقب الأخيار.
- نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس.
- النور الساطع في مختصر الضوء اللامع.
- الوقف والابتداء.

وفاته:

تذكر المصادر بالإجماع أنَّه توفي (رحمه الله) في مصر ليلة الجمعة السابع من شهر الله المحرم عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة من الهجرة، إثر عروض فالج نشأ له من تأثره ببلوغ قطع رأس إبراهيم بن عطا الله المكي، حيث سقط من دابته وأغمي عليه، فَحُمِلَ إلى منزله ثُمَّ مات بعد أيام، وصُلِّيَ عليه بالجامع الأزهر، ودفن في مدرسته جوار بيته في قبة قاضي القضاة بدر الدين العيني، وقد تأثر كثير من الناس لموته لحسن معاشرته وتواضعهِ، وصُلِّيَ عليه صلاة الغائب بدمشق مع جماعة منهم البرهان بن أبي الشريف[1].

(١) ينظر: الكواكب السائرة: ١٢٩/١، والبدر الطالع: ١٠٣/١، ومعجم المطبوعات: ١٥١١/٢، واللآلئ السنية: ٥، وإمتاع الفضلاء: ٤٣/٢.

منهج القسطلاني في اللآلئ السنية:

١. بدأ القسطلاني شرحه (اللآلئ السنية) بالحمد والشكر لله سبحانه وتعالى، ثُمَّ تطرق لسبب إقباله على شرح المقدمة الجزرية فقال: ((أمَّا بعدُ: فهذا تعليق على مقدمة الشيخ الإمام بقية المحققين الأعلام أبي الخير محمد بن محمد الجزري الشافعي سقى الله ثراه ... التَمَسَهُ مني بعض الأعزَّة عليَّ من الإخوان المترددين إليَّ، فأجبتهم إلى ما طلبوا، وعلمت أنَّ ذلك قد وجب، ضامًّا إليه فوائد النظم المستجدات، والقواعد المحررات ما تقرَّ به أعين أولي الرغبات، ... وسميتهُ اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية))[1].

٢. التزم بالترتيب الذي وضعه الناظم محمد الجزري(ت-٨٣٣هـ) في مقدمته في ذكره لمخارج الحروف، ثُمَّ الصفات، ثُمَّ أحكام التجويد، ثُمَّ الوقف والابتداء وأقسامه وأنواعه.

٣. لم تكن طريقته في شرحه للمتن على وتيرة واحدة، فلقد امتازت بالاختلاف، فتارة نجده يذكر اسم الكتاب، وأخرى اسم المؤلف، وفي أحايين يذكرهما معًا.

٤. اعتنى بآراء سابقيه من العلماء نحاة ومجوّدين بالشرح والتحليل، فيناقش، ويفسر، ويُعقِّب على بعضهم، ويستشهد بالرأي الأكثر قبولاً.

٥. اهتمَّ ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وفي بعض الأحيان يربط الجانب اللغوي بالاصطلاحي ليبيِّن مخارج الحروف وصفاتها.

٦. انحازَ في بعض الأحيان إلى نقل النصوص (بالمعنى) من دون النصّ على وفق ما يراه مناسبًا وقريباً إلى الصواب والإفهام، ودليل ذلك ذكره لبعض العبارات مثل قوله: (هذا معنى قول الناظم)، أو (كما أفاد) ،أو(وهو المراد بقوله).

---

(١) اللآلئ السنية: ٥٨.

٧. غلبَ على منهجه استعماله لأسلوب الجدل والمحاورة، فنراه ينقل النصوص، ثُمَّ يقابلها بالسؤال والإجابة، من ذلك قوله: ((إنْ قيل: لِمَ أضاف الناظم الياء والواو إلى الألف؟ قلت: لأنَّه لما كانت الألف لا تأتي إلّا ساكنة ولا يأتي ما قبلها إلّا مفتوحًا بخلاف الواو والياء، فلا يثبتان على حالة واحدة))[١].

٨. حرصَ على التنبيه إلى بيان المعنى المقصود عن طريق اهتمامه بالجانب الشكلي للحرف؛ لكي لا يقع اللبس بين الحروف، وتمييز كل حرفٍ من الآخر، فاستعمل عبارة (الياء المثناة فوق)، و(التاء المثناة فوق)، و(الثاء المثلثة)، و(الباء الموحدة)، و(العين والحاء المهملتان)، و(الغين والخاء المعجمتان)[٢].

٩. اعتمد في منهجه على الاستشهاد بالقرآن الكريم حتى بلغ عدد ما استشهد به ثماني مئة وإحدى عشرة آية، وبلغ عدد استشهاده بالحديث، سبعة عشر حديثًا من غير سند، وثلاثة أحاديث ذكرها بسند، وفي القراءات أربعًا وعشرين مرة.

---

(١) اللآلئ السنية: ٧٨.

(٢) المصدر السابق: ٩٠.

ثانياً: الشيخ علي القاري (ت-١٠١٤هـ):

هو الشيخ الإمام، العلّامة، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان القاريّ الهرويّ، الحنفيّ، الشهير بـ(ملا علي القاري)، وكلمة (ملا) كلمة فارسية ، ويقال: هي عربية مأخوذة من المولى ومعناها العالم الكبير[١]. ولد في مدينة هراة، وهي مدينة مشهورة من مدن خراسان بجمهورية أفغانستان الإسلامية حاليًّا، في العقد الخامس من القرن العاشر للهجرة، فلا يوجد تحديد لسنة الولادة[٢]، ((وقيل ولد في حدود سنة ٩٣٠هـ))[٣].

لُقِّبَ بالقاري نسبة إلى قرية (قار) بالريّ[٤]، وقيل كذلك (القاري) ((هو لقب أطلقوه عليه لأنَّه كان يقرأ القرآن بمكَّة، ووصل إلى درجة عالية من الحفظ والاتقان، فاشتهر لذلك))[٥]، وقيل أيضًا: ((لُقبَ بالقاري؛ لأنَّه بعد أنْ أتمَّ حفظ القرآن صلَّى بالناسِ إمامًا، كعادتهم في ذلك الزمان بإطلاق الألقاب على العلماء))[٦]، وقيل أيضًا: ((إنَّه هو من لقَّبَ نفسه بهذا اللقب؛ لكونه حاذقًا في علم القراءة، ولهذا قال في بعض مؤلفاته المقرئ بدل القاري))[٧]. وأمَّا كنيته فيكنى بـ((أبي الحسن))[٨].

نشأ علي القاري في مدينة هراة -كما ذكرنا- وترعرع بها وتعلَّم فيها القرآن الكريم، وحفظه عن ظهر قلبٍ منذ صباه، ولازم كبار علمائها ومشايخها -هراة- فتلقى عنهم بعض العلوم،((ثُمَّ هاجر بعد ذلك إلى مكَّة المكرمة على إثر قيام إسماعيل الصفوي بالاستيلاء على هراة، وبثَّ شعائر الرافضة فيها)) [٩] ،فلازم من كان فيها من العلماء الأجلاء، وتتلمذ على يد أشهرهم، منهم الشيخ محمد بن علي بن أحمد الجُناحيّ، وشهاب الدين أبو العباس

---

(١) ينظر: خلاصة الأثر: ١٨٥/٣، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة: ١٧٩١/٢، ونثل النبال بمعجم الرجال: ٥٢٧/٤،والمنح الفكرية: ٩.

(٢) ينظر: تفسير الملا علي القاري المسمَّى أنوار القرآن وأسرار الفرقان: ٦٠/١، والأحاديث القدسية الأربعينية: ١٥.

(٣) المنح الفكرية: ٨.

(٤) ينظر: شم العوارض في ذمِّ الروافض(الهامش): ٦.

(٥) أربعون حديثًا في جوامع الكلم: ٣.

(٦) ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي:٩.

(٧) المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة: ٣٦٨، ودراسة صوتية في المنح الفكرية: ٨.

(٨) ينظر: نثل النبال بمعجم الرجال: ٥٢٧/٤.

(٩) تسلية الأعمى عن بلية العمى: ٩.

السعدي، المشهور بابن حجر الهيتمي(ت-٩٧٤هـ) [١]، صاحب كتاب (الزواجر)، والمتقي الهندي(ت-٩٧٥هـ) [٢]، صاحب كتاب (كنز العمال)، والشيخ عطية بن علي السلمي المكِّي(ت-٩٨٣هـ) [٣]، أخذ عنه علم الحديث والتفسير، وغيرهم[٤].

كان الملا علي القاري زاهدًا في الدنيا، يغلب على حاله العفاف والرضا والكفاف، فضلاً عن ذلك كان قليل الاختلاط بغيره، كثير العبادة والتقوى، شديد الإقبال على الله وعلى عالِم السرّ والنجوى[٥].

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد ذكر أكثر من ترجم للملا علي القاري منزلته العلمية، ولاسيَّما علماء عصره، فقد كان من كبار علماء عصره المبرزين في علومٍ شتى كثيرة، وخاصة في علوم القرآن والسُنَّة، ومنها القراءات، والتفسير، والحديث، والأصول، وعلم الكلام، والعربية[٦].

ويُذكر أنَّه ((كان لا يُرى إلّا و معه كتاب))[٧]، ومما ذُكر يدلُّ على أنَّه ((كان فريد عصرهِ وأوانه، ولقد أقسم المحقق العلّامة ابن عابدين بأنَّه كان مجدد أهل زمانه))[٨].

وقال فيه محمد أمين الدمشقي: ((أحد صدور العلم، فرد عصره الباهر السمت في التحقيق وتنقيح العبارات، وشهرته كافية عن الإطراء في وصفه))[٩]، وقال عبد الملك العصامي فيه: ((الجامع للعلوم العقلية والنقلية والمتضلِّع من السُنَّة النبوية، أحد جماهير

---

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري.الأعلام:١/٢٣٤.

(٢)هو علي بن عبد الملك حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي ثم المدني فالمكي، علاء الدين الشهير بالمتقي.الأعلام:٤/٣٠٩.

(٣)هو عطية بن علي بن حسن السلمي المكيّ، زين الدين: عالم مكة وفقيهها.الأعلام:٤/٢٣٨.

(٤) ينظر: الأحاديث القدسية الأربعينية: ١٦ – ١٧، وتسلية الأعمى عن بلية العمى: ٨ – ١٠، والمنح الفكرية: ٩ – ١٤، سمط النجوم: ٤/٤٠٢.

(٥) المنح الفكرية:١١.

(٦) ينظر: الأحاديث القدسية الأربعينية: ١٧، والمنح الفكرية: ١١.

(٧) المنح الفكرية: ١١.

(٨) المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة: ٣٦٨.

(٩) خلاصة الأثر: ٣/١٨٥، وينظر:المنح الفكرية: ١٢.

الأعلام، ومشاهير أوْلي الحفظ والإفهام))[1]، وقال الآلوسي في وصفه نقلاً عن الحموي: ((علّامة الزمان، وواحد العصر والأوان، وعالم بلد الله الحرام والمشاعر العظام))[2]، وقال أبو الحسنات اللكنوي: ((وكلٌّ مؤلفاته نفيسة في بابها، فريدة ومفيدة، بلّغَتْهُ إلى مرتبة المجددية على رأس الألف من الهجرة))[3].

مؤلفاته:

بالنظر للعقلية الفذَّة التي امتاز بها الملا القاري، مامكنّه من التأليف في عدد كثير من العلوم حتى بلغت مصنفاته ثلاثمئة مصنفًا حسب ما ذكر حفيده في قوله: ((إنَّ لجدنا ثلاثمائة من المؤلفات، وأنَّه أوقفها وشرط بأنْ لا يمتنع من استنساخها))[4]. ومن هذه المؤلفات[5]:

- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية (وهو موضوع دراستنا).
- شرح " حرز الأماني ووجه التهاني" (الشاطبية).
- شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلاني.
- شرح الفقه الأكبر للإمام الأعظم أبي حنيفة.
- الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة (الموضوعات الكبرى).
- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (الموضوعات الصغرى).
- التبيان فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان وليلة القدر.
- العلامات البينات في بيان بعض الآيات.
- الهبات السنيات في تبيين أحاديث الموضوعات.

---

(١) سمط النجوم: ٤٠٢/٤، وينظر: البدر الطالع: ٤٤٥/١.

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين: ٥٥/١.

(٣) نثل النبال بمعجم الرجال: ٥٢٨/٤.

(٤) المختصر من كتاب نشر النور والزهر: ٣٦٨.

(٥) ينظر: المنح الفكرية: ١٥ – ١٦، وشرح الشفا: ٨/١، تسلية الأعمى: ١٠/١، والأعلام: ١٢/٥.

وفاته:

توفي الملا علي القاري بمكَّة المكرمة في شوال من سنة ألف وأربع عشرة من الهجرة (١٠١٤هـ)، ودفن بمقبرة المعلاة[١]. و((لما بلغ موته أهل مصر صلوا عليه بالجامع الأزهر صلاة الغيبة في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة وأكثر))[٢].

منهج القاري في كتابه(المنح الفكرية):

اتبع القاري أسلوباً متميّزاً حاول فيه أنْ يجمع بين السهولة والاختصار، إذ ذكر ذلك في مقدمة كتابه، ((يقول الملتجئ إلى حرم ربه الباري، علي بن سلطان محمد القاري... إنَّ المقدمة المنسوبة للعلّامة شيخ الإسلام والمسلمين وخاتمة الحفّاظ والمُحدثين سيدنا، وسندنا، ومولانا، وشيخ مشايخنا ممن أولانا، الشيخ أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد الجزري –قدس الله سِرَّه السَّرِيّ– ما رأيت لها شرحًا كاملاً يبين بيانًا شاملاً يكون لتحقيق الحقائق كافلاً، فسنح ببالي أنْ أضع عليها شرحًا معتدلاً، لا مختصراً مخلاً، ولا مطولاً مُمِلاً))[٣].

ولم تكن طريقته هذه في المنح الفكرية فقط، بل تكاد تطغى على جُلّ مؤلفاته[٤]؛ لكون هذا الأسلوب يُعد من أقرب الأساليب التعليمية لطلاب القراءات ،إذ يقوم على أساس التحليل والتعليل لآراء سابقيه من العلماء والأخذ بالفكرة الأقرب إلى الصواب، فكان منهجه في هذا الكتاب كالآتي:

١. حرص القاري في كتابه (المنح الفكرية) على الالتزام بشرح الناظم محمد بن الجزري، على الرغم من مخالفته له فنجده يُعقب عليه في بعض المواضع وفي الوقت نفسه يعلل له سبب اختياره، كتعقبه في وجه تقديمه مخرج حروف المد على سائر الحروف في قوله: ((اعلم أنَّه قدَّم حروف المد على سائر الحروف لعموم مخرج المديَّة وكونها بالنسبة إلى مخارج البقية بمنزلة الكل في جانب الجزء، فيستدعي التقديم من هذه

(١) ينظر: خلاصة الأثر: ١٨٦/٣، والتاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول: ٣٩١٠.

(٢) المختصر من كتاب نشر النور والزهر: ٣٦٦.

(٣) المنح الفكرية: ٤٣ – ٤٤.

(٤) ينظر: شرح الشفا: ٥٥٩/٢، وضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي: ٢٤.

الحيثية، وإنْ كان المناسب تأخيرها عنها باعتبار أنَّ حيزها مقدر، وما حيزه مقدَّر فهو حقيق بأن يؤخر عما حيزه محقق))[١].

٢. كان كثيرًا ما يستعمل الجانب النحوي لتوضيح الغموض الذي يعتري النصوص وبيان المعنى المقصود، ونذكر بعضاً من ذلك للتوضيح، ومنها قوله في مخرج النون :((والنون من طَرَفِهِ (تحت) اجعلوا" بنصب النون على أنَّه مفعول مقدم لقوله اجعلوا وتحت مبني على الضم، (وطَرَفِهِ) بفتحتين، أي واجعلوا مخرج النون من طرف اللسان، وهو رأسُه وأوَّلهُ مع ما يليه من اللثة مائلاً إلى ما تحت اللام قليلاً))[٢].

٣. حرص كثيرًا على بيان حدود المصطلحات من الجانبين- اللغوي والاصطلاحي-، من ذلك قوله في المد والقصر: ((المدُّ لغةً: الزيادة، واصطلاحًا: إطالة الصوت بحرف مدي من حروف العلَّة، والقصر لغةً: الحبس، واصطلاحًا: ترك المد))[٣].

٤. كان على اطلاع كبير لجهود سابقيه من العلماء سواء أكانوا نحاة أو مجودين، ودليل ذلك ذكره لآراء العديد من العلماء كالخليل(ت-١٧٠هـ)، وسيبويه(ت-١٨٠هـ)، ومكي(ت-٤٣٧هـ)، والداني(ت-٤٤٤هـ)، والجعبري(ت-٧٣٢هـ)، وأحمد بن محمد الجزري(ت-٨٣٥هـ)، وغيرهم فكان أي رأي لهؤلاء العلماء يوافق الصواب يأخذ به، لكنه كان أكثر تأثُّرًا بمكي وابن الجزري، فلن تجد بابًا في الكتاب يخلو من عبارة (قال مكي)، (نصَّ مكي)، (وقول مكي)، وكذلك الحال مع ابن الجزري، فكان كثيرًا ما يشير إليه بـ(ابن المصنف) [٤]. وعلى الرغم من تأثُّره بهؤلاء العلماء، إلّا أننا نستطيع القول باستقلال منهجه، ودليل ذلك إيراده لآراء سابقيه فيوافق بعضًا ويعارض بعضًا آخر، ثُمَّ يبدي رأيه بعد ذلك.

٥. نلاحظ عليه في بعض المواضع يستشهد بكلامٍ لأحد الشراح من دون أن يُشير إليه، من ذلك تعريفه للمخرج، إذ قال: ((هو عبارة عن الحيِّز المولِّد للحرف كذا قال جماع من الشراح))، فلم يذكر من هُم الشراح، وينسب هذا التعريف لابن الناظم أحمد بن

---

(١) المنح الفكرية: ٨٠.

(٢) المصدر السابق: ٨٧.

(٣) المصدر السابق: ٢١٩.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ٧٧، ٨٩، ٩٣، ٩٤.

محمد الجزري[١]، وخالد الأزهري[٢]، والقسطلاني[٣]، وكذلك نقله لنص الأنصاري في طريقة ترتيب المخارج دون أنْ يُشير إليه[٤].

٦. كان على إطلاع بنسخ المقدمة المتعددة ، ودليل ذلك إشارته في موضع الوقف إلى اختلاف الحركات بين النسخ، في قوله ((وهْيَ بسكون الهاء، وفي نسخة ضُبِطَ بكسر هاء (هِيْ) وسكون يائها))[٥].

هذه الصفحات الموجزة تعبر عن السلوك العقلي الذي اتبعه كلا الشارحين في شرح المقدمة الجزرية، وكان لحجم ثقافتهم القرآنية، والتتبع في دراسة الحديث والتفسير الأثر الكبير في التأليف، فقد جادت قريحتهما بكل ما يمكن أن يحلل ويفصل ويستقي، وكانت آيات كتاب الله دليلهم، ونصوص اللغويين شاهدهم، فكان منهم من ينماز بحسن السبك وقوة التحليل.

وأقول: إنَّ الشارحَيْن كان لهما كرم انتفاع الأجيال في ضوء ما قدماه من آراء صوتية مهمة قاربت كثيراً معطيات الدرس الصوتي الحديث، وهو ما سنبينه في الفصول القادمة إن شاء الله.

---

(١) الحواشي المفهمة: ١١٩.

(٢) ينظر: الحواشي الأزهرية: ٢٨.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ٧٥

(٤) ينظر: الدقائق المحكمة: ٢٤، المنح الفكرية: ٨٠.

(٥) المنح الفكرية: ٢٤٤.

الفصل الأول

مخارج الأصوات عند القسطلاني والقاري

مخارج الأصوات

توطئة:

تعد مخارج الأصوات ودراستها من أهم مباحث علم الأصوات اللغوية، والأساس في إنتاج الصوت اللغوي. فقد حظيت بعناية كبيرة لدى علماء العربية عامة وعلماء التجويد خاصة إذ أفردوا لها أبواباً خاصة بها، واعتنوا بدراستها حتى بلغوا درجة كبيرة من الدقة في تحديدها[١]. فالمخرج الأساس في تمايز الأصوات وأثرها السمعي؛ لذا اعتمده علماء الأصوات عند تصنيفهم للأصوات اللغوية[٢]، لكنهم اختلفوا في تسمية وتحكيم ما تقتضيه مناهجهم في دراسة الصوت، فالخليل(ت-١٧٠هـ) سمّاه المخرج فضلاً عن مصطلحات أُخر وردت في كتابه مثل (الحيز)، و(المبدأ)، و(المجرى)[٣].

أما سيبويه(ت-١٨٠هـ) فقد ذكر مصطلحي المخرج، والحيز ولكنّ الأخير استعمله بشكلٍ قليل[٤].أما ابن دريد(ت-٣٢١هـ) فاستعمل مصطلح المجرى[٥].وقد سمّاه ابن جني(ت-٣٩٢هـ) المقطع[٦]. ودلَّ عليها ابن سينا(ت-٤٢٨هـ) بالمحبس[٧]، وهو مصطلح انفرد به وحده لدى القدماء. وهو وإنْ تعددت مفاهيمه فهو يدل بشكل واضح على مكان صدور الصوت في نقطة من نقاط الجهاز النطقي، وهنا يجب أن نوضح مسألتين: الأولى: أننا نتعامل مع الشائع في علم الأصوات، من ذلك الوصف في تحديد مكان انطلاق الصوت بالوجه الأعم، والحقيقة أنَّ جميع أعضاء النطق تتكيف في نطق الصوت وتمايزه عن غيره من الأصوات. الثانية: أن بعض المصطلحات تتحدث عن مجاميع صوتية لا صوت واحد.

---

(١) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٣٣.

(٢) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٦٧، ٧٣.

(٣) يُنظر :العين:١/٥٧-٥٨.

(٤) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣،٤٥١.

(٥) يُنظر: جمهرة اللغة:١/٤٥.

(٦) يُنظر: سر صناعة الإعراب:١/١٩.

(٧) يُنظر: أسباب حدوث الحرف:٦٠ـ٦٣.

مفهوم المخرج

المخرج لغةً:((الخُرُوجُ: نقيض الدُّخول، خرج يَخْرُج خُرُوجاً فهو خارجٌ))[١]، وهذا المعنى سارت عليه كتب المعاجم العربية، قال الفارابي(ت-٣٩٣هـ): .((المَخْرَجُ موضع الخروج. يقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مَخْرَجُهُ))[٢]. للدلالة على ذهابه خارجاً دون الداخل[٣]. قال الفيومي(٧٧٠هـ):((خَرَجَ مِنْ الْمَوْضِعِ خُرُوجًا وَمَخْرَجًا وَأَخْرَجْتُهُ أَنَا وَوَجَدْتُ لِلْأَمْرِ مَخْرَجًا أَيْ مَخْلَصًا))[٤].

وفي الاصطلاح: المخرج ما دلَّ على ((مكان انطلاق الحرف))[٥]. قال أبو عمرو الداني(ت-٤٤٤هـ) هو:((الموضع الذي ينشأ منه الحرف))[٦]، وعرّفه محمد الجزري(ت-٨٣٣هـ) بأنَّه: ((موضع خروج الحرف من الفم))[٧]. ويُعرّف أيضاً بأنه:((عبارة عن الحيز المولّد للحرف))[٨]. أما القسطلاني فقد عرّفه قائلاً: ((المخارج جمع مخرج، اسم لموضع الخروج الذي ينشأ منه الحرف وهو الحيز المولّد له))[٩]، وقد جمع القسطلاني بمفهومه هذا الذي قدمه عن المخرج بين ما ذهب إليه الداني وابن الجزري. ولم يبتعد الملا علي القاري عن المفهوم الذي قدمه ابن الجزري-الناظم- والقسطلاني للمخرج، لكنه أتى بتحديد أكثر دقة؛ إذ زاد عليه عنصراً جديداً لم يقدّمه أحد غيره ولا يوجد فيما مضى من التعاريف الأخرى، وهي سمة تمايز الأصوات فيما بينها[١٠]، إذ قال: المخرج هو((موضع

---

(١) العين:١٥٨/٤، ويُنظر: المحكم والمحيط الأعظم:٣/٥ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:٣٠٩/١، ومختار الصحاح:٨٩.

(٣) يُنظر: لسان العرب:٢٤٩/٢ ، القاموس الفقهي:١٣٣، المعجم الوسيط:٢٢٤/١.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:١٦٦/١.

(٥) البحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري (٥٣٨هـ)دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، أحمد سلمان الشافعي(أطروحة دكتوراه):٢٠.

(٦) التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢.

(٧) شرح طيبة النشر:٢٧،ويُنظر: الروضة الندية في شرح متن الجزرية:١٤.

(٨) الحواشي المفهمة في شرح المقدمة:١١٩، ويُنظر: الدرس الصوتي عند أحمد بن الجزري:٦٨.

(٩) اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية، سامي ماضي(رسالة ماجستير):١٨، ٧٥.

(١٠) يُنظر: دراسات لسانية(د. عمر رشيد):٢٣.

الخروج في الأصل، لكنه هنا عبارة عن الحيز المولّد للحرف كذا قاله جماعة من الشُّراح، والأظهر أنّه موضع ظهوره وتمييزه عن غيره))[١].

وهذه المفاهيم للمخرج ((لا تناقض بينها وهي متفقة في أنَّ المخرج هو النقطة المعينة من آلة النطق، التي ينشأ منها الحرف، أو يظهر فيها ويتميّز، نتيجة لتضييق مجرى الهواء أو غلقه ثمّ إطلاقه، وهي تعريفات تتطابق مع وجهة نظر علماء الأصوات المحدثين))[٢]. فهو((تلك النقطة التي يحدث فيها اعتراض لمجرى الهواء في أثناء محاولة الخروج، وهي النقطة التي يصدر الصوت فيها، أي ينطق فيها الصوت))[٣]. يقول براجشتراسر:((والمَخرج أو المُخرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يَخرج أو يُخرج منه الحرف))[٤]. وعبّر ماريو باي عن المخرج فقال: ((كلمة المخرج تشير إلى النقطة المحددة في الجهاز النطقي، التي يتم عندها تعديل وصفه))[٥]. وعرّفه الدكتور تمّام حسّان قائلاً:((المخرج مكان النطق))[٦].

ويتبيّن من هذه المصطلحات، أنَّ موقف المحدثين لم يختلف عمّا ذكره علماء العربية وعلماء التجويد للمخرج في أنَّه مكان لإنتاج الصوت.

الصوت والحرف

ساد عند علماء العربية بعض الغموض في تناوب الصوت والحرف في الدرس الصوتي العربي، ولا سيما أنَّ البحث في سلوكهما الصوتي يرتبط ارتباطاً كبيراً في دلالة المخرج أهو للصوت أم للحرف، فكان لابدَّ لنا من المرور عليهما وبيان وجهة نظر علماء العربية والتجويد حولهما.

لقد انصرف علماء العربية القدماء للتفريق بين الصوت والحرف، أي التمييز بين ما هو رمز كتابي(الحرف) وبين ما هو نطقي(الصوت)، إلا أنَّهم لم يوفقوا في ذلك((فقد خلطوا بين المصطلحين، وعبروا عن الصوت المنطوق المسموع، وعن علاقته المخطوطة المرئية بلفظ

(١) المنح الفكرية:٧١.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٠٨.

(٣) مدخل الى علم اللغة(حجازي):٤٧، ويُنظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية(د.عبد العزيز الصيغ):٥٠.

(٤) التطور النحوي للغة العربية:١١.

(٥) أسس علم اللغة:٧٨.

(٦) مناهج البحث في اللغة:٨٤.

واحد وهو الحرف))[1]، حتى جاء ابن جني(ت-٣٩٢هـ) ليكون أول عالم من علماء العربية حاول التمييز بين الصوت والحرف، إذ تحدّث قائلاً: ((اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً))[2]. فيتضح من كلام ابن جني أنه ((تحسس موطن الصوت من الجانب النطقي، إذ حدّد مبدأه بأنّه هواء(عرض) يخرج مع عملية الزفير، وهذا الهواء يخرج من الرئتين، ويمر هذا الهواء عبر جهاز النطق لدى الإنسان، ويستمر الهواء حتى يعرض له ما يعوق هذا الهواء(عائق)، ومكان العوق يمثل مخرج الصوت))[3]. لذا كان حريٌّ بي الوقوف عند المصطلحين كليهما في التراث العربي وكالآتي:

الحرف:

هو الرسم الكتابي الذي حفظه لنا الخط العربي يقول الخليل:((الحَرْف من حُروف الهِجاء. وكلُّ كلمةٍ بُنِيَتْ أداةً عاريةً في الكلام لتفرقة المعاني تُسمَّى حَرْفاً))[4].فـ((الّحاَءُ الرَّاءُ وَالّفَاءُ ثَلَاثةُ أصولٍ: حدُّ الشيء، والعُدول، وتقدير الشَّيء. فأمّا الحدّ فحرْفُ كلِّ شيء حدُّه، كالسيف وغيره))[5]. وقد يأتي بمعنى الوجه، قال ابن فارس(ت-٣٩٥هـ): ((الحَرْف، وهو الوجْه. تقول: هو مِن أمرِه على حَرْفٍ واحد، أي طريقة واحدة. قال الله تعالى :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [6] أي على وجه واحد))[7]. ومنهم مَن يوجّه الحرف على أنَّه أداة فيقول: الحرف: الأداة التي تسمّى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل، وهو في الأصل: الطرف والجانب[8].

---

(١) منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات وأثرهما في كتب أهل الأداء:٦٧.

(٢) سر صناعة الإعراب:١/١٩.

(٣) الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث:٦٦.

(٤) العين:٣/٢١٠-٢١١.

(٥) مقاييس اللغة:٢/٤٢، ومجمل اللغة:١ /٢٢٦.

(٦) الحج /١١.

(٧) مقاييس اللغة:٢/٤٢.

(٨) يُنظر: لسان العرب:٩/٤١،والصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث :٦٦.

أما في الاصطلاح فيعرّفه عبد الوهاب القرطبي(ت-٤٦١هـ) قائلاً:((الحروف هي مقاطع تعرض للصوت الخارج من النفس ممتداً مستطيلاً فتمنعه عن اتصاله بغايته، فحيث ما عرض ذلك المقطع سمّي حرفاً))[١]. ويعرّفه القسطلاني قائلاً:((الحرف: صوت معتمد على مقطع محقق أو مقدّر، ويختص بالإنسان وضعاً))[٢]، ويقول أيضاً:((والحروف العربية، وتسمى حروف المعجم؛ لأنّها مقطّعة لا تُفهم إلا بإضافتها إلى بعض وتسمّى حروف الهجاء والتهجي))[٣].

وكان رأي علي القاري لا يختلف عن مَنْ سبقه من العلماء في مفهومه للحرف، فقال:((وأصل الحرف معناه الطرف، وإنما سمّي حرفاً؛ لأنَّ حرف التهجي طرف الأصوات وبعض منها، وحرف المعنى طرف أي جانب مقابل لمعنى الاسم والفعل حيث يقعان عمدة في الكلام، وهو لا يقع إلا فضلة في المرام))[٤]. وقال في موضعٍ آخرٍ:((الحرف صوت معتمد على مقطع محقَّق، وهو أنْ يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة، أو مقطع مقدّر وهو هواء الفم، إذ الألف لا معتمد له في شيء من أجزاء الفم بحيث إنَّه ينقطع في ذلك الجزء))[٥].

ويعلّق محمد المرعشي(ت-١١٥٠هـ) على استعمال القاري للفظة المقطع قائلاً:((ومراده من المقطع هو المخرج؛ لأنَّ الصوت ينقطع من المخرج))[٦]. وبما أنَّ ((مقطع على زنة مَفْعَل، اسم مكان من الفعل قطع فيكون الحرف موضع خروج الصوت))[٧].

أخلص إلى القول: إنَّ الحرف لدى القسطلاني وعلي القاري مصطلحٌ يدل على الرمز المكتوب من خلال إشارتهما إليها بالحروف الهجائية وهي الحروف التي يتركّب منها الكلام؛ لأنَّها مقطّعة لا تُفهم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، بحيث تكوّن لنا كلمات تدلُّ على معنى

---

(١) الموضح في التجويد:٢٧، ٧١.

(٢) اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية:١٨، ٧٥.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المنح الفكرية:٧١.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) جهد المقل:١٢٣.

(٧) الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث:٨٢.

مفهوم ومعين. ويتضح كذلك أنَّهم كانوا مدركين لمصطلح الحرف، حيث جعلوا الحرف يختص بالإنسان وضعاً عكس الصوت.

أما علم اللغة الحديث فقد وافق المتقدمين من العلماء الذين ميّزوا الحرف، على أنَّه صورة ذهنية للصوت، ويكون غير منطوق؛ لأنَّ الصوت يكون ناتجاً عن عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي، والحرف يكون ناتجاً عن إدراك ذهني يمثّل الرمز الكتابي للصوت(١). فتكون ((الأصوات تتابع في الزمن، والحروف تتابع في المكان، فالكتابة محاولة لنقل هذه الصورة الصوتية في بعدها الزماني إلى الصورة المرئية في بعدها المكاني))(٢). وكذلك فضّلوا استعمال بعض التسميات بدلاً من تسمية الحرف التي ذكرها القدماء كـ(الصوت الكلامي)(٣)، و(الصوت اللغوي)(٤).

الصوت

جاء في لسان العرب:((الصَّوتُ: الجَرْسُ))(٥)، وجاء أيضاً:((والجمعُ أَصْواتٌ. وَقَدْ صاتَ يَصُوتُ ويَصاتُ صَوتاً، وأَصاتَ، وصَوَّتَ بِهِ: كلُّه نادَى. وَيُقَالُ: صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً، فَهُوَ مُصَوِّتٌ، وَذَلِكَ إذا صَوَّت بإنسانٍ فَدَعَاهُ. وَيُقَالُ: صاتَ يَصُوتُ صَوتاً، فَهُوَ صَائِتٌ، مَعْنَاهُ صَائِحٌ))(٦). وبهذا يكون معنى الصوت في المعاجم العربية غير مقتصر على الإنسان فقط.

أما اصطلاحاً فقد قال عنه الجاحظ (ت:٢٥٥هـ):((هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً الا بظهور الصوت))(٧).

---

(١) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٦٦، ٧٣، ٧٤.

(٢) أصول تراثية:١٣٠-١٣١،والأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة، حيدر غضبان(رسالة ماجستير):٢٨.

(٣) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:١٤٣.

(٤) يُنظر: المنهج الصوتي للبنية العربية:٢٦، ودراسة الصوت اللغوي:٩٩ ،١١١.

(٥) لسان العرب:٢/٥٧ .

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) البيان والتبيين:١/١٢.

يدلُّ مفهوم الجاحظ هذا على القيمة النطقية للصوت، وخصَّ (آلة اللفظ) بالقول؛ لأنَّ اللفظ يقوم على أصوات تصدر متسلسلة؛ لأنَّه يصدر مقطعاً في أول الأمر، وهذا ما أراد به (الجوهر)، ولا يكون ذا قيمة نطقية، إلاّ حين يأتلف مع غيره من أصوات لتكوين اللفظة، وبذا تظهر القيمة المعنوية من اتصال الصوت بالصوت، وتنتظم على وفق نظام خاصٍ[١].

أما الفارابي(ت-٣٣٩هـ) فيرى أنَّ الصوت يحدث متى ما وجد القرع، و((القرع هو مماسة الجسم الصلب جسماً آخر صلباً مزاحماً له عن حركة، والأجسام التي لدينا تتحرك إلى جسم آخر في هواء أو في مادة أو في ما جانسهما من الأجسام التي يسهل اختراقها))[٢].

ولم يذهب ابن سينا(ت-٤٢٧هـ) بعيداً عمّا قاله الفارابي حول مفهوم الصوت، إذ يقول:((أظنُّ أنَّ الصوت سببه القريب تموج الهواء دفعة واحدة، بسرعة وبقوة، من أي سبب كان، والذي يشترط فيه من أمر القرع عساه ألا يكون سبباً كلياً للصوت، بل كأنّه سبب أكثري، ثمّ إنْ كان سبباً كليًّا فهو سبب بعيد، ليس السبب الملاصق لوجود الصوت))[٣].

نجد من المفهوم الذي قدّمه ابن سينا للصوت من أجل أنْ يفرّق بين الصوت الإنساني والقرع، فالصوت حسب رأيه ((يكون في الهواء على شكل موجات مهما كان سبب التموج الحادث، ومن شروط التموج المحدث للصوت السرعة والقوة في اندفاع الهواء))[٤]. وزاد ابن سينا على ما قاله الفارابي في أنَّ القرع وحده سبب حدوث الصوت قائلاً:((الدليل على أنَّ القرع ليس سبباً كليًّا للصوت أنَّ الصوت قد يحدثُ أيضاً عن مقابل القرع هو القلع، وذلك أنّ القرع هو تقريب جرم ما إلى جرم مقاوم له... ومقابل هذا القلع تبعيد جرم ما عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر... وإنْ ذهب ذاهب غلى أنَّ القلع يحدث قرعاً في الهواء ورآه هو السبب للصوت فليس ضعف هذا القول مما يحتاج إلى أنْ يتكلّف لإبانته))[٥].

---

(١) يُنظر: الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث:٦٥.

(٢) الموسيقى الكبير:٢١٢، ويُنظر: منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين(اطروحة دكتواره):١٩.

(٣) أسباب حدوث الحرف:٥٦.

(٤) الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري ،بو عناني سعاد آمنة(اطروحة دكتوراه):٤١.

(٥) أسباب حدوث الحرف:٥٦ـ٥٨.

ويمضي إخوان الصفا(ت-٣٩٥هـ) في تقديم مفهوم للصوت في قولهم: إنْ قيل: ما الصوت يقال:((هو قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجسام بعضها ببعض))[١]، وهم بهذا المفهوم اتفقوا مع ما ذهب إليه الفارابي(ت-٤٢٨هـ) وابن سينا في جعلهم القرع سبب نشوء الصوت، ثم يُفسّرون كيفية حدوثه قائلين:((ذلك أنَّ الهواء لشدة لطافته وصفاء جوهره وسرعة حركة أجزائه، يتخلل الأجسام كلّها ويسري فيها ويصل إليها ويحرك بعضها إلى بعض. فإذا صدم جسمٌ جسماً، انسل ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات))[٢].

نلاحظ مما تقدم أنّهم تتبعوا الأثر الحسي للصوت الذي يمكن إدراكه بوساطة الحواس (السمع) عند تصادم جسمين، أو عند انفصالهما عن بعض وهو ما سمّاه ابن سينا بـ(القلع)، حتى يبيّنوا كيفية حدوث الصوت.

والصوت عند القسطلاني هو((الحاصل من دفع الرئة الهواء المحتبس بالقوة الدَّافعة، فيتموج فيصدم الهواء السَّاكن، فيحدث الصَّوت مِنْ قرع الهواء بالهواء المندفع مِنَ الرئة))[٣]. أي هو ((هواء متصادم بين جسمين))[٤].أما علي القاري فتابع أيضاً ما أقرّه السابقون حول مفهومهم للصوت فيقول:((ومادة الصوت وحده هو هواء يتموج بتصادم جسمين، ومن ثمّة عُمَّ به ولم يختص بالإنسان))[٥]. ويقول كذلك:((الهواء الخارج من داخل الإنسان، إنْ خرج بقوة الإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمّى صوتاً))[٦]، وينطبق هذا مع ما جاء به المرعشي في عرضه لمفهوم الصوت. ومما تقدم وبعد هذا العرض تسجل الباحثة الملاحظات الآتية:

١. اتفق القسطلاني والقاري مع علماء التجويد في جعلهم الهواء المادة الأساسية للصوت سواء أكان صوتاً لغويًّا أو صوتاً غير لغوي.

---

(١) رسائل إخوان الصفا:١٦٢/٣.

(٢) المصدر السابق :٣٥٧:

www.aL- mostafa.com.

(٣) لطائف الإشارات:٣٣٦.

(٤) اللآلئ السنية:١٨، ٧٥.

(٥) المنح الفكرية:٧١-٧٢.

(٦) المصدر السابق:٩٨-٩٩.

٢. تحدّث المعنيون عن كيفية حصول الصوت، وذلك باعتمادهم الأثر الحسي الذي تستطيع أنْ تدركه الأذن البشرية عندما يتصادم جسمان مع بعضهما، وهذا دليل على إدراكهم للخصائص الفيزيائية للصوت.

٣. كان وصف القاري للهواء المنتج للأصوات متفق مع ما أقره المحدثون في تتبعهم للصوت من أنَّه هواء يخرج من الرئتين في عملية الزفير. وقد أصاب في وصفه هذا، فيرى الدكتور أحمد مختار عمر أنَّ الهواء المندفع من داخل الإنسان إلى الخارج، هو الذي يكوّن الصوت، ومن غير الممكن أنْ تتكون الأصوات من عملية الشهيق، أي: الهواء الداخل إلى الرئة، فيقول:((العملية الكلامية تتمّ في شكلها الأساسي، عن طريق التحكم في هواء الزفير الصاعد من الرئتين، ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق في إنتاج الصوت، وإنْ أمكن أنْ تنتج أصوات خلال عملية الشهيق أيضاً، ولكن هذا إنْ حدث يكون استثناءً فقط))[١].

٤. استطاعا التمييز بين الصوت والحرف، ويظهر ذلك من وصفهم للحرف بأنَّه: صوت معتمد على مقطع محقق ومقدّر، والصوت: بأنَّه هواء يتموج بتصادم جسمين، وقصدا بذلك الصوت اللغوي بخلاف الصوت بمفهومهِ العام[٢].

تحقيق المخرج

حاول القدماء من علماء اللغة، أنْ يلتمسوا طريقة دقيقة لمعرفة المخرج الأصيل للوحدات الصوتية[٣]، فجاء الخليل بن أحمد(ت-١٧٥هـ) ووضع طريقةً لتعيين مخرج الحرف ،معتمداً على خبرته التي مكّنته من تذوق الحرف و تتبعه لتحديد نقطة خروجه، وتنصُّ هذه الطريقة ((بأنْ يأتي بالوحدة الصوتية، خالية من الحركة، مع سبقها بهمزة وصل مفتوحة مع الصوامت والواو والياء غير المديّتين فقط،...، أما مع أصوات المد واللين فكان يسبقهما بهمزة وصل متحركة بحركة مجانسة للصوت المراد نطقه))[٤]. إذ يقول:((وإنما كان ذَواقه

(١) دراسة الصوت اللغوي:١١٢، ويُنظر: جهد المقل:٥٨.

(٢) يُنظر: اللآلئ السنية:٧٥، والمنح الفكرية:٧١-٧٢.

(٣) يُنظر: الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة:٤٤.

(٤)المصدر السابق:٤٥.

إيَّاها أنّه كان يَفْتَحُ فاهُ بالألفِ ثم يُظْهِرُ الحَرْفَ نحو: أب، أع، أغ))[١].أما سيبويه فاتفق مع أستاذه في طريقته لنطق الأصوات، إلاّ أنَّه اختلف معه في حركة الهمزة، فقد استعملها سيبويه مكسورة اعتماداً على ماوصفه القرطبي[٢].

أما القسطلاني فقد تابع فكري الخليل وسيبويه في تحديده لمخرج الحرف غير أنَّه يُصرّح بحركة الهمزة فقال: ((ويظهر ذلك بالاختبار ـ أي مخرج الحرف ـ وهو أنْ تسكّن الحرف أو تشدده، وهو أبين وتدخل عليه همزة الوصل فحيث انقطع الصوت كان مخرجه))[٣].

ويعرض الملا علي القاري صورة أكثر وضوحاً في معرفة المخرج فيقول:((وإذا أردت أنْ تعرف مخرج حرف صريحاً بعد تلفظك به صحيحاً فسكّنه أو شدّده– وهو الأظهر– وأدخل عليه همزة وصل بأي حركة واصغِ إليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المُحقَّق، وحيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدَّر فتدبّر))[٤].

في النصّ السابق يرى القاري أنَّ من الأفضل لبيان المخرج تشديد الحرف، وبيّن المرعشي مراد القاري من التشديد قائلاً:((اختار التشديد؛ لأنَّ المخرج موضع الانضغاط، وإنْ لم يكن الانضغاط قويًّا لا يظهر محله، وإنْ ضغط المخرج في التشديد أقوى من السكون، وفي السكون أقوى من الحركة))[٥]. وأما في قوله:((اصغ إليه السمع فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق))[٦]، فيقول الدكتور الحمد:((الظاهر أراد القول: ارجع إلى وجدانك فتأمل وتحرَّ موضع انقطاع الصوت فحيث انقطع الصوت كان مخرجه المحقق؛ وذلك لأنَّ معرفة المخرج بالسمع عسير))[٧].

---

(١) العين:١/١٠، ٤٧.

(٢) يُنظر: الموضح في التجويد:٧٢، والأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة:٤٥، ومنهج الدرس الصوتي عند العرب:٨٤.

(٣) اللآلئ السنية:٧٧.

(٤) المنح الفكرية:٧٤.

(٥) جهد المقل:١٢٣ــ١٢٤، ويُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٠٩.

(٦) المنح الفكرية:٧٤.

(٧) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٠٩.

أما علم الأصوات الحديث فلم يؤكد كليًا ما جاء به القدماء من علماء العربية بشأن طريقة نطق الصوت، فكانوا ((ينطقون الصوت خالصاً من كل شيء وحده من دون إلحاق همزة؛ لانَّ ذلك يؤدي إلى خلط خصائص الصوتين، فلا يمكن الوقوف بدقة على خصائص الصوت؛ لأنَّ في هذه الحالة يكون النطق بصوتين الأول الهمزة والآخر الصوت المراد نطقه، واجتماع صوتين حال النطق بهما سيؤدي إلى عدم معرفة خصائص أحدهما وتمييزها من الآخر))[١]، ومن ثمَّ يفقد استقلاله الذي يعد أساس التجربة الصحيحة[٢].

عدد أصوات العربية والخلاف فيها

اتفق معظم علماء العربية، وعلماء التجويد ومن بينهم القسطلاني والقاري في أنَّ عدد أصوات العربية (تسعة وعشرون حرفاً) ولم يشذ عن هذا الإجماع سوى المبرّد(ت-٢٨٦هـ): إذ قال: في باب مخارج الحروف: ((إنَّ الْحُرُوف الْعَرَبيَّة خَمْسَة وَثَلَاثُونَ حرفا مِنْهَا ثَمَانِيَة وَعِشْرُونَ لَهَا صوَر والحروف السَّبْعَة جَارِيَة على الأَلْسُن مستدل عَلَيْهَا فِي الخطِّ بالعلامات))[٣]. قال علي القاري:((حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً باتفاق البصريين إلاّ المبرّد، فإنّه يجعل الألف والهمزة واحداً محتجاً بأنَّ كلّ حرف يوجد مسماه في أول اسمه، والألف أوله همزة))[٤]. وكذلك أشكل الملا علي القاري على المبرّد في جعله عدد الحروف ثمانية وعشرين حرفاً قائلاً:((إذا كان كل حرف مسبوق باسمه فيلزم أنَّ الهمزة تكون هاءً؛ لأنّها أول اسمها)) [٥]. ثمَّ يتابع في قوله مثبتاً حجته في اختلاف الهمزة عن الألف موضّحاً الفرق بينهما، فيقول:((والتحقيق في الفرق بينهما أنَّ الألف لا تكون إلاّ ساكنة، ولا يتصور أنْ يوجد لها اسم يكون مسمّاه ساكناً ـ أي الحرف الأول منه ـ والهمزة إنما تكون متحركة أو مجزومة فكان حقُّها أنْ يُقال لها: أمزة، لكنها أبدل منها هاء؛ ولذا قيل: دليل تعددهما إبدال أحدهما من الآخر كما حقق في الآل والأهل، وأرِاق وهرِاق، والشيء لا يبدل من نفسه))[٦].

---

(١) منهج الدرس الصوتي عند العرب:٨٤.

(٢) يُنظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٢٣، واللآلئ السنية(هامش المحقق):٧٧.

(٣) المقتضب:١٩٢/١.

(٤) المنح الفكرية:٧٢.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ثـمَّ يُبـيّن اختلافهمـا مـن ناحيـة المخـرج فيقـول:((إنَّ مخـرج الهمـزة محقـق، ومخـرج الألـف مقدّر))[١]. ومن المحدثين مَنْ دافع عن المبرد وردَّ على مَنْ أشكل عليه قائلاً:((فغاية ما يمكن قوله إنَّ المبرد لاحظ أنَّ صور الحروف العربية ثمانية وعشرون، وهو يريد الرموز المكتوبة، والهمزة لم يكن لها رمز محدد لأسباب لغوية تاريخية))[٢]. أي إنَّ المبرّد عندما ذكر أنَّ الهمزة لا صورة لها هو في الحقيقة قصد التشبيه بين الهمزة والألف في الكتابة[٣]. مع أن بعضهم الآخر–من المحدثين–قد عدَّ أصوات العربية واحداً وثلاثين صوتاً[٤].

هذا الرأي في حقيقته يتعلق بإشكالية الرسم الكتابي أي وجود ألف وهمزة كرسمين كتابيين لصوتين منفردين، وقد يتحققان على مستوى البنية الوظيفية، بوصفهما متعلقين إبدالاً أو إقلاباً أو تسهيلاً. وهذا ما دفع المبّرد لهذا القول الذي يرى أن الهمزة هي الألف؛ إذ كان يرى أن الألف إذا تحركت كانت تسمى همزةً، وإذا لم تقبل الحركة تسمى ألفًا، فاستعيرت الواو رمزًا لمد الواو ، واستعيرت الياء رمزًا لمد الياء ، واستعيرت الهمزة رمزًا لمد الألف، فلمّا خُشِي اللبس بين ألف المد والهمزة في وسط الكلمة ونهايتها، جُعِل فوق الألف القطعة (ء)، فصار لدينا رمزان كتابيان هما (أ/ ا)، وقد أُثبِت رمز الألف المد في الألفبائية لاختلاف صوته عن الهمزة ، بخلاف مد الواو والياء اللذين لا لبس فيهما[٥].

ويردّ ابن جني على إخراج المبرد للهمزة من العربية قائلاً:((فأما إخراج أبي العباس الهمزة من جملة الحروف واحتجاجه في ذلك بأنها لا تثبت صورتها فليس بشيء؛ وذلك أن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها واعتدادها، لما كانت موجودة في اللفظ، الذي هو قبل الخط، والهمزة أيضا موجودة في اللفظ كالهاء والقاف وغيرهما، فسبيلها أن تُعدّ حرفًا كغيرها، فأما انقلابها في بعض أحوالها لعارض يعرض لها، من تخفيف، أو بدل، فلا يخرجها من كونها حرفاً وانقلابها أدل دليل على كونها حرفاً))[٦]، ثمَّ يقول: ((واعلم أنَّ واضع حروف

---

(١) المنح الفكرية:٧٢.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٤٨.

(٣) يُنظر: دراسات في علم اللغة:٨٠، والأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي في شرحه على شافية ابن الحاجب:٥٣.

(٤) يُنظر: مناهج البحث في اللغة:٩٠.

(٥) يُنظر: الأصوات اللغوية (أنيس)١٠٩–١١٠.

(٦) سر صناعة الإعراب:٥٧/١.

الهجاء لما لم يمكنه أن ينطق بالألف، التي هي مدة ساكنة؛ لأنَّ الساكن لا يمكن الابتداء به، دعمها باللام قبلها متحركة ليمكن الابتداء بها))[١]. أما على مستوى المنطوق لا الوظيفة فهي تسعة وعشرون حرفاً، قال الخليل: ((في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف: الواو والياء والألف اللينة والهمزة))[٢]. قال سيبويه(ت-١٨٠هـ):((فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً))[٣]. وتبعهما جلُّ علماء التجويد. قال مكي القيسي(ت-٤٣٧هـ):((الحروف التي تألف منها الكلام تسعة وعشرون حرفاً))[٤]، وهذا قول أبي عمرو الداني(ت-٤٤٤هـ)[٥]، وكذلك عبد الوهاب القرطبي(ت-٤٦١هـ)[٦].

تصنيف الأصوات اللغوية

قسم علماء العربية الأوائل الأصوات اللغوية التسعة والعشرين على قسمين رئيسين، وقد تباينت آراؤهم حول تسمية هذه الأصناف. فكان الخليل بن أحمد أول مَنْ عمل على فكرة تقسيم هذه الحروف(الحروف الصحاح)، و(الحروف الجوف)، التي تضم كلاً من حروف(الألف، والواو، والياء)، وأطلق عليها تارة حروف (المد واللين)، فقال:((في العربية تسعة وعشرونَ حَرْفا: منها خمسة وعشرونَ حَرْفاً صِحَاحا لها أحيازٌ ومدارج، وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة والهمزة))[٧]. وفي الهمزة خلاف سنذكره في موضعه إنْ شاء الله.

وأما سيبويه فقد اتبع تقسيم أستاذه الخليل[٨]. وأما المبرد(ت-٢٨٥هـ) فقد كان تقسيمه كمثل سابقيه غير أنَّه جاء بمصطلح جديد سمّى به القسم الثاني من أصوات المد واللين بـ(المصوتة)، فقال: ((فَمن حُرُوف الْبَدَل حُرُوف المدّ واللين المُصَوّتة وَهِي الأَلف وَالْوَاو

---

(١) سر صناعة الإعراب:٥٧/١.

(٢) العين:٥٧/١.

(٣) الكتاب:٤٣١/٤، ويُنظر: تهذيب اللغة:٤٠/١، وسر صناعة الاعراب:٥٥/١.

(٤) الرعاية:٤٢.

(٥) يُنظر: التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢.

(٦) يُنظر: الموضح في التجويد:٧٧.

(٧) العين:٥٧/١.

(٨) يُنظر: الكتاب:١٧٦/٤، ٤٣٥ ــ٤٣٦.

والياء))[١]، وقال في موضعٍ آخر:((أَحد الْحُرُوف الثَّلَاثَة المصوّتة "وَهِي الياءُ وَالْوَاو والأَلف"))[٢]. ولم يخرج ابن جني عن سابقيه من العلماء في تقسيمهم للحروف العربية، حيث ميّز الحروف الثلاثة (الألف، والواو، والياء) عن بقية الحروف قائلاً:((والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو))[٣]. ووصفها أيضاً بالمصوتة. وأما ابن سينا فقد صنّفها غلى صامتة ومصوتة[٤]، ليكون هو أول مَنْ استعمل لفظة (الصامتة) على الحروف التي لها حيز في النطق.

وكان لعلماء التجويد نشاطٌ في تصنيف الاصوات اللغوية تميّزوا به؛ إذ مثّلوا اتجاهاً جديداً في التعبير عن تصنيف الأصوات، فكان الداني(أول مَنْ استعمل مصطلح الصوت (الجامد)، وهي جميع أصوات العربية ما عدا صوت (الألف، والواو، والياء)، التي فضّل بقاءها على تسمية القدماء بالمد واللين، ولم يستعمل مصطلح الذائبة[٥]، وكذلك التقسيم نجده عند القرطبي[٦]، وممن استعمل المصطلحين معاً الجامدة وما يقابلها الذائبة أبو الفضل عبد الرحمن الرازي(ت-٤٥٤هـ)[٧].

أما القسطلاني فتابع القدماء في تصنيفهم للأصوات فقسّمها على قسمين: محققة ومقدّرة. وكذا التقسيم عند القاري فالمخرج المحقق هو الذي ينقطع الصوت فيه، فيكون اعتماده على أجزاء الحلق واللسان والشفة[٨]، وأما المقدّر وهو الذي يمكن قطع الصوت فيه عند حصول ذوات الحروف، فهو يعتمد على هواء الفم[٩]. وجعل هذا المخرج لحروف المد واللين(ا، و، ي)، إذ جعل مبدأها من الحلق، وتمتد وتمر على جوف الفم، فلا حيز لهنَّ

---

(١) المقتضب:٦١/١.

(٢) المصدر السابق:١١٩/١.

(٣) سر صناعة الإعراب:٢١/١.

(٤) يُنظر: أسباب حدوث الحرف:٨٣-٨٥.

(٥) يُنظر: التحديد:١٣٢، و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٣٨.

(٦) يُنظر: الموضح في التجويد:١٢١.

(٧) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٣٩.

(٨) يُنظر: اللآلئ السنية:٧٥ ، والمنح الفكرية٧١.

(٩) يُنظر: المنح الفكرية:٧١، وجهد المقل:٦١.

محققاً تنتهي إليه، بل تنتهي بانتهاء هواء الفم. أما علم اللغة الحديث فقسّمها على صامتة وصائتة واستقروا على هذا التصنيف[١].

عدد مخارج الحروف

إنَّ مسألة الاختلاف في عدد مخارج الحروف، مسألة قديمة، اختلف فيها علماء اللغة القدماء والمحدثون، وتناولها القسطلاني والقاري بالحديث وبيّنا مذاهب العلماء فيها، وهي على ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: وهو مذهب مكي بن أبي طالب القيسي، وأبو علي بن سينا(ت-٤٢٧هـ)، وأبي القاسم الهذلي (ت-٤٦٥هـ)، وأبو الحسن شريح (ت-٤٧٦هـ)، وابن الجزري(ت-٨٣٣هـ)، وذهب أصحاب هذا المذهب إلى أنَّ عدد المخارج سبعة عشر مخرجاً[٢]. معتمدين على تصورات سيبويه فضلا عن موقف الخليل في الحروف الجوف. وقد تباينت مواقف آراء هذا المذهب بين القسطلاني والقاري، فالأول ينسبه إلى ابن الجزري، والثاني ينسبه إلى الخليل. والقول ما أوضحه الدكتور غانم قدوري الحمد قائلاً: ((يترجح لديّ أنَّ ابن الجزري، أراد أنَّ هؤلاء العلماء، يذهبون إلى أنَّ لحروف المد مخرجاً مستقلًّا، خاصة بالنسبة للخليل ومكي وابن سينا. أما الهذلي وشريح فلم اطلعْ على ما يوضح رأيهما بالتحديد))[٣].

إنَّ الناظر في مقدمة كتاب (العين) يجد أنَّ مخارج الحروف عنده ثمانية مخارج، لها أحياز وهي: الحلق، واللهاة، وشجر الفم، أسلة اللسان، النطع، اللثة، الذلق، الشفة، ومخرج واحد ليس له حيز وهو الجوف فيكون بذلك تسعة مخارج[٤]. وأما مكي بن أبي طالب فنجد عبارته واضحة إذ تابع سيبويه في عدد مخارج الحروف، وذلك في قوله: ((يجب أنْ تعلم أنَّ للحروف التي تألف منها الكلام ستة عشر مخرجاً))[٥]. وهذا يتبين فيه صحة ما ذهب إليه

---

(١) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ(السعران):١٥٠، وعلم الاصوات(كمال بشر):٤١٩.

(٢) يُنظر: النشر في القراءات العشر:١٩٨/١، واللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية:٧٦، ولطائف الاشارات:٣٤٣، والمنح الفكرية:٧٣.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٥٥.

(٤) يُنظر: العين:٥٨/١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٥٥، ومنهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات:٥١.

(٥) الرعاية:١١٨، ويُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٥٦.

الدكتور غانم قدوري الحمد .أما ابن سينا فلم يرد في مؤلفه ما ينصّ على أنَّ مخارج الحروف سبعة عشر[١]. كذلك لم تصل إلينا مؤلفات أبي القاسم الهذلي وأبي الحسن شريح لنرى رأيهم بالتحديد ودوافع هذا الرأي ليتسنى للباحثة مناقشتهما[٢].

المذهب الثاني: وهو مذهب سيبويه واتباعه كالشاطبي(ت-٥٩٠هـ)، وفيه يجعلون عدد المخارج ستة عشر مخرجاً[٣]. قال القسطلاني:((وقال سيبويه واتباعه كالشاطبي: ستة عشر فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية وهي حروف المد واللين، وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق، والواو من مخرج المتحرك وكذا الياء))[٤]، وكذا قال القاري، ويعلل لسيبويه جعله الألف من مخرج الهمزة ـ أقصى الحلق ـ فيقول:((إنَّ معنى جعل سيبويه الألف من مخرج الهمزة أنَّ مبدأه مبدأ الحلق، ويمتد ويمر على جميع هواء الفم))[٥]. ووصف هذا المذهب بأنَّه أكثر المذاهب اتباعاً.

المذهب الثالث: هو مذهب قطرب(ت-٢٠٦هـ)، والفرّاء(ت-٢٠٧هـ)، والجرمي(ت-٢٢٥هـ)، وابن كيسان(ت-٢٩٩هـ)، ويشير القسطلاني والقاري إلى أنَّ أصحاب هذا المذهب يبلغ عدد المخارج عندهم أربعة عشر مخرجاً؛ لأنَّهم جعلوا مخرج (النون، واللام، والراء) مخرجاً واحداً[٦]، على غرار صنيع الخليل في أحياز الحروف الذلقية[٧]؛ لما وجدوا في هذه الأصوات من تقارب حقها ألا تكون منفردة بل مجتمعة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ هناك مذهبًا رابعًا لم يُشر إليه القسطلاني والقاري، هو مذهب ابن الطحّان الأندلسي(ت-٥٦١هـ)، والذي يذهب فيه إلى جعل عدد المخارج خمسة عشر مخرجاً، وذلك بحذفه لمخرج النون الحقيقية (الغُنَّة)، وعدّها من الصفات[٨]، وهو رأي يجانب الصواب لما للغنة من أثر في النطق فضلاً عن التركيب، وهذا ما فات ابن الطحان. على

---

(١) يُنظر: رسالة أسباب حدوث الحروف:٧٢-٨٥، واللآلئ السنية (هامش المحقق):٧١.

(٢) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٥٥، واللآلئ السنية (هامش المحقق):٧١.

(٣) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣، ومتن الشاطبية حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع:١/٢٩١.

(٤) اللآلئ السنية:٧٦-٧٧، ويُنظر: المنح الفكرية:٧٣.

(٥) المنح الفكرية:٧٨.

(٦) يُنظر: النشر في القراءات العشر:١/١٩٩، واللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية:٧٧، والمنح الفكرية:٧٣.

(٧) يُنظر: العين:١/١٢، ٥١، ٥٨.

(٨) يُنظر: مرشد القارئ:٣٥-٣٨.

الرغم من ذلك فهذا الرأي هو أول من تفرَّد به من علماء التجويد[١]. ومما عمد إليه ابن الطحان أنه أسقط مخرج الحروف الجوفية[٢] متبعاً سيبويه في وضعها مواضعها داخل النظام الصوتي من(الحلق والفم والشفة).

هذه جملة من الآراء التي قدمها علماء العربية في باب عدد المخارج، وكان للشَّارِحيْنِ رأي يتابعان فيه بعض هذه المذاهب، فالقسطلاني، يقول: ((مخارج هذه الحروف سبعة عشر، وهو الذي اختاره المحققون))[٣]. إذ تابع ابن الجزري في الانتفاع من مخرج الجوف عند الخليل، ويبدو أنه خصَّ حرفي الواو والياء المديتين، ويتبين ذلك من عدّ صوت الألف من الحلق بوصفها صوتاً مقدرًا . أما علي القاري فلم يخرج عمّا ذكره السابقون في مخارج الحروف، فقد التزم بتصنيفهم الذي وضعوه للمخارج من حيث (محققة ومقدّرة)، وعدّها سبعة عشر مخرجاً [٤].

أما في مخرج النون فهو مشابه لما قاله القسطلاني[٥]، إذ جعلها من الصفات وليست من المخارج، فقال: ((الغُنَّة من الصفات؛ لأنَّها صوت أغن لا عمل للسان فيه))[٦]. كما نبّه القاري مَنْ عدّها من المخارج قائلاً:((عدُّ النون من مخارج الحروف السبعةَ عشر لا يخلو من إشكالٍ فَتَدبّر))[٧].

أما علماء الأصوات المحدثون، فكانوا على خلاف أيضاً في عدد مخارج الأصوات على الرغم من امتلاكهم للأجهزة الصوتية المتطورة، فيذهب المستشرق جان كانتينو إلى عدّها تسعة مخارج[٨]، وجعلها آخرون عشرة مخارج[٩]، ومنهم مَنْ يجعلها أحد عشر مخرجاً[١٠].

---

(١) يُنظر: ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية، سوسن غانم قدوري الحمد(رسالة ماجستير):٢٤.

(٢) يُنظر: مرشد القارئ:٣٥-٣٨.

(٣) اللآلئ السنية:٧٦.

(٤) يُنظر: المنح الفكرية:٧٧.

(٥) يُنظر: اللآلئ السنية:٨٥،٩٣، والمنح الفكرية:٩٣.

(٦) المنح الفكرية :٩٣.

(٧) المصدر السابق:٩٤.

(٨) يُنظر: دروس في علم أصوات العربية:٢٢.

(٩) يُنظر: مناهج البحث في اللغة:٨٤، ٨٥.

(١٠) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي:١٨١-١٨٢، وعلم اللغة العام:١٨٣-١٨٥.

ترتيب مخارج الحروف

كان لعلماء الصوت من القدامى طريقتهم في ترتيب مخارج الحروف، تتمثّل في الترتيب التصاعدي الذي يبدأ بأقصى الحلق لينتهي بالشفتين[١]، متخذين من الزفير طريقاً في تحديد المخارج فـ((لما كانت مادة الصوت الهواء الخارج من داخل الانسان كان أوله آخر الحلق، وآخره أول الشفتين))[٢].

في حين ذكر كل من القسطلاني والقاري نصّاً لأحمد بن الجزري، يُشير فيه إلى جواز الترتيب المعاكس، إذ يقول: ((إنَّ كلّ مقدار له نهايتان أيهما فرضت أوله كان مقابلها آخره، ولما كان وضع الإنسان على الانتصاب لزم منه أنْ يكون رأسُه أوله ورجلاه آخره، فإذا كان كذلك كان أوّلُ المخارج الشفتين، وأولهما مما يلي البشرة، وثانيهما اللسان، وأوله مما يلي الأسنان وآخره مما يلي الحلق، وثالثهما الحلق وأوله مما يلي اللسان، وآخره مما يلي الصدر، ولو كان وضع الانسان على التنكيس لانعكس))[٣].

ويتابع القسطلاني والقاري ابن الجزري ـ الناظم ـ في ترتيبه للحروف، وهو المذهب المشهور، فقد ((رتّب الناظم رحمه الله الحروف باعتبار الصوت وفاقاً للجمهور))[٤]. ويقول الدكتور غانم قدوري الحمد: لا نعلم أنَّ أحداً من علماء العربية أو علماء التجويد اتبع ترتيب المخارج الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بالحلق غير ما جاء في كلام المرعشي، الذي يذكر فيه أنَّ هذا الترتيب هو الذي اختاره بعض العلماء هكذا قال بعضهم[٥]. ومن خلال هذا النصّ نلحظ الآتي:

أولاً: الترتيب التنازلي، الذي يبدأ من الشفتين والتي تعد أولى أعضاء النطق حسب هذا الترتيب وانتهاءً بالحلق فيكون آخر أعضاء النطق.

ثانياً: الترتيب التصاعدي، والذي يبدأ من أعمق نقطة في آلة النطق، وهو الحلق، إذ يعد أول أعضاء النطق وينتهي بالشفتين فتكون آخر أعضاء النطق.

---

(١) يُنظر: العين:٥٧/١ ــ٥٨، والكتاب:٤٣٣/٤، وسر صناعة الإعراب:٥٩/١ــ٦١ .

(٢) اللآلئ السنية:٧٨، والمنح الفكرية:٨٠.

(٣) الحواشي المفهمة:١٢٦، واللآلئ السنية:٧٨، والمنح الفكرية:٨٠.

(٤) المنح الفكرية:٨٠.

(٥) يُنظر: جهد المقل:٦٣-٦٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٦٤ -١٦٥.

أما دارسو الأصوات المحدثون، فاختاروا أنْ تكون طريقتهم لترتيب الأصوات الترتيب التنازلي الذي يبدأ بالشفتين وينتهي بالحلق(الحنجرة) بخلاف القدماء[١].

وقد وصف الدكتور الحمد أصحاب هذا الاتجاه بأنّهم يقلّدون في ذلك علماء الأصوات الغربيين، ((ونحن لا نرى مجرّد اتباع علماء الأصوات الغربيين لترتيب معين لمخارج الحروف مسوغًا للعدول عن الترتيب الذي سارت عليه جماهير علماء العربية وعلماء التجويد، إضافة إلى أنَّ كلا الترتيبين يؤدي إلى نتيجة واحدة))[٢]. ويعد ترتيب القدماء أكثر دقة؛ وذلك لأنَّ الأصوات تتولد بهواء الزفير الخارج من الرئتين صعوداً إلى الشفتين.

الحروف الفروع

تأتي هذه الحروف في المرتبة الثانية من الحروف العربية بعد الحروف الأصول عند سيبويه، وقد تولّدت هذه الحروف نتيجة انحرافها عن مسارها الصوتي عن طريق التغيير الذي أحدثته الصفة، أو التطور الصوتي في حروفها. وتتصف هذه الحروف بأنّها حروف سماعية ليس لها صورة خطية من لفظها، وقد بيّن سيبويه ذلك في قوله:((وهذه الحروف... لا تتبين إلا بالمشافهة))[٣]. وتقسم على قسمين:

القسم الأول: الأصوات المستحسنة في الكلام كما وصفها سيبويه، إذ قال:((وتكون خمسةً وثلاثين حرفاً بحروفٍ هن فروعٌ، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرةٌ يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالةً شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم))[٤].

القسم الثاني: الحروف غير المستحسنة ويذكرها سيبويه بقوله:((وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنةٍ ولا كثيرةٍ في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر؛ وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي

(١) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٦٥.

(٢) المصدر السابق:١٦٤.

(٣) الكتاب:٤٣٢/٤، ويُنظر: سر صناعة الإعراب:٥٩/١، وشرح المفصّل:٥١٨/٥.

(٤) الكتاب:٤٣٢/٤.

كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء، والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء))[١].

إنَّ المتمعن في هذا النصّ يجد أنَّ عدد هذه الحروف ثمانية وبذلك يكون عدد الحروف ثلاثة وأربعين، وهو مخالف لما ذكره سيبويه حين عدّها اثنين وأربعين، ويرجح الباحثون أنَّ السبب في ذلك يرجع إلى عدّ سيبويه الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف واحدة على الرغم من التفريق الذي عمده اللغويون لما بعد سيبويه[٢].

ولم يتطرق القسطلاني للحديث عن هذه الفروع، وإنما اكتفى بذكر الحروف الأصول التسعة والعشرين. أما القاري فتحدّث عنها ولكن بشكل مختصر متبعًا في ذلك التوصيف الذي تبعه من علماء اللغة والتجويد، فقال:((وثمة حروف فرعية، تكون ممتزجة بالأصيلة، للعلل المقتضية لها ليس هذا محلها، وهي: الهمزة المسهلة بينها وبين الألف أو الواو أو الياء، وكذا الألف الممالة، واللام المفخمة، والصاد المشمة، والنون المخفاة))[٣]. وقد وسم الملا علي القاري هذه الحروف بـ(الفصيحة) فقال:((وهذه الحروف الخمسة كلها فصيحة، جاءت بها القراءات الصحيحة والروايات الصحيحة))[٤].

نلحظ من النصّ السابق أنَّ عليًّا القاري سار على خطى سيبويه في تقسيمه هذه الحروف لكنه اختلف معه من حيث عددها، فقد عدّها سيبويه ستة حروف فروع[٥]، في حين عدّها القاري خمسة فروع كما هو واضح في النصّ السابق؛ وذلك لأنّه استبعد(الشين التي كالجيم).

وأشكل على مَنْ عدّ هذه الشين من الحروف المستحسنة ووصفه بالخطأ قائلًا:((وقول خالد[٦]"والشين التي كالجيم" في نحو (أجدق) من الحروف المتفرعة المستحسنة، وُجِدت في

---

(١)الكتاب:٤/٤٣٢.

(٢) يُنظر: وسر صناعة الإعراب:١/٥٩، منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات:٧٩.

(٣) المنح الفكرية:٧٥.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٢.

(٦) هو خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن أحمد، زين الدين الأزهري الشافعي المعروف بالوقاد (ت٩٠٥هـ)،نقلاً عن استدراكات الملا علي القاري المتعلقة بالتجويد:٤٣.

القرآنِ وغيره من فصيح الكلام، خطأ ظاهر في المرام))[١]. وتجدر الإشارة إلى أنَّ عليًّا القاري قصد استبعادها من الحروف الفصيحة؛ لأنَّ سيبويه عدّها من فصيح الكلام[٢]. أما إذا كان قصده على قوله من الحروف المستحسنة التي وجدت في القرآنِ فلا يؤاخذ عليه؛ وذلك لأنَّه لم تأتِ رواية أو قراءة صحيحة تنصّ على ذلك[٣].

هذا الموقف سبقه فيه مكي القيسي؛ لعدم استعمال (الشين التي كالجيم) في القرآن الكريم مما اقتضى استبعادها من الحروف الفرعية، ولكنه ذكر بأنَّها تستعمل في لغة بعض القبائل العربية فيقول:((أما الحرف السادس فهو حرف لم يستعمل في القرآن، وهو حرف بين الشين والجيم وهي لغة لبعض العرب))[٤].

أما أبو زكريا الأنصاري(ت-٩٢٦هـ) فاقتصر على خمسة أصوات إذ يقول: ((يتفرع من الحروف الأصول فروع، وذلك بأنْ يتولد الحرف من حرفين ويتردد بين مخرجين بعضها فصيح، وبعضها غير فصيح، والوارد في القرآن الكريم خمسة: الألف الممالة، والهمزة المسهلة، واللام المفخمة، والصاد كالزاي، والنون المخفات))[٥].

ويذكر القاري قسماً آخر للحروف الفرعية ليست من لغة القرآن ونسبها إلى لغة أهلها في مصر واليمن، إذ يقول:((وأما الكاف العجمية، وكذا الزاي، والباء الفارسية فليست من اللغات القرآنية، وإنْ كانت لغة لبعض العربية المصرية أو اليمانية))[٦]. يلاحظ أنَّ عليًّا القاري تفرَّد بذكر الأصوات الثلاثة من مجموعة الأصوات التي ذكرها العلماء[٧]، غير أنَّه زاد على هذه المجموعة (الزاي) التي لم يذكرها سيبويه، في حين تحدث عنها ابن سينا، وذكرها بشكل مفصّل[٨]. ويذكر أبو حيان(ت-٧٤٥هـ) بعض الكلمات التي نطقها أهل اليمن للكاف التي

---

(١) المنح الفكرية:٧٥، ويُنظر: الحواشي الأزهرية:٣٨.

(٢) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٢.

(٣) يُنظر: الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية(الهامش):٣٨،واستدراكات الملا علي القاري المتعلقة بالتجويد في المنح الفكرية على شرح المقدمة الجزرية ،محمد بن مرزوق(رسالة ماجستير):٧٨.

(٤) الرعاية:٥٥.

(٥) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة:٢٠.

(٦) المنح الفكرية:٧٥.

(٧) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٢.

(٨) يُنظر: أسباب حدوث الحرف:١٣٠.

كالجيم فيقول:((يقولون في جمل: كمل... في رجل: ركل))[١]. أما في الزاي فيقول:((والجيم كالزاي كقولهم في أخرج، أخرز))[٢]، وفي الباء التي كالفاء فيقول:((وهي كثيرة في لغة الفرس، وتارة يغلب لفظ الباء، وتارة يغلب لفظ الفاء، وذلك نحو: «بلخ» و «أصبهان»))[٣].

خلاصة القول: إنَّ التقسيم الذي على أساسه بنى القاري حديثه على هذه الحروف هو ما يصح بها القراءات والتي لا يصح بها؛ لأنَّها ليست من اللغات القرآنية كما لم يفصّل القول فيها، وإنّما ذكرها بشكل موجز متبعاً في ذلك منهج ابن جني.

إنَّ الفائدة أو الغاية من دراسة هذه الأصوات لدى سيبويه ومَن تبعه من بعده ،ضبطُ قوانين الأصوات عند تجاورها مع أصواتٍ أخرى، ومعرفة التأثير الذي يطرأ عليها عند مجاورتها لبعضها، وتوضيح مزايا كل صوت منفرد ولضبط النطق بصورة صحيحة وتحسين القراءة والتلفظ[٤]. وقال سيبويه في ذلك:((وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا كما تدغم، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك))[٥].

ترتيب المخارج بين القسطلاني والقاري:

صنّف العلماء المخارجَ على مجموعات كبرى رئيسة، مختلفين في أعدادها، فمنهم مَن جعلها ثلاثة، ومنهم مَن جعلها خمسة. قال القسطلاني:((إنَّ المخارجَ دائرةٌ على ثلاثة: حلق، ولسان، وشفة يعمها الفم))[٦]، وتابعه القاري في قوله هذا غير أنَّه نقل زيادتها قال:((يحصر هذه المخارج الحلق واللسان والشفة، وزاد جماعة منهم الشاطبي والناظم: الجوف والخيشوم))[٧].

---

(١) ارتشاف الضرب:١/١٣-١٤.

(٢) المصدر السابق:١/١٦.

(٣) المصدر السابق: ١/١٥.

(٤) يُنظر: الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس:٢٢.

(٥) الكتاب:٤/٤٣٦.

(٦) اللآلئ السنية:١٨، ٧٧.

(٧) المنح الفكرية:٧٤، ويُنظر: النشر في القراءات العشر:١/١٩٩-٢٠١، وحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع:١/٩١.

إنَّ الغرض من هذا التقسيم وضع مختصرات لعديد المخارج الدقيقة، ولأهمية الأصوات في ضوء مفهوم المخارج الكبرى والتي لا تختلف في حقيقة وصف مخرج كل صوت، وما يأتي توضيح لتلك المخارج:

١.المخرج الأول: أصوات الجوف

الجوف لغةً: الخلاء[١]، وفي الاصطلاح: ((هو خلاء الحلق والفم))[٢]. وقد حدّد علماء العربية أصوات هذا المخرج بـ(الألف، والواو، والياء)، وهو محل خلاف بين القدماء والمحدثين، فمنهم من يعدها من الأصوات الهوائية التي لا تنسب إلى حيز معين في جهاز النطق، ومنهم مَنْ يعدها من الحروف الصحاح، التي لها حيز في جهاز النطق.

ويعدّ الخليل بن أحمد أول مَنْ تحدّث عن هذه الأصوات، وجعلها من ضمن المخارج وسمّاها بالجوفية، قائلًا:((وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّينَة، والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً؛ لأنها تَخْرُجُ من الجوف، فلا تَقَعُ في مَدْرجةٍ من مدارِجِ اللِّسانِ، ولا من مدارِجِ الحَلْق، ولا من مدرِجِ اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ))[٣]. ويعلّق ابن الجزري قائلاً: ((الصواب اختصاص هذه الثلاثة بالجوف دون الهمزة؛ لأنهن أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتصلن بالهواء بخلاف الهمزة))[٤].يقول القسطلاني سمّيت بالهوائية؛ لأنَّها ((ليس لها حيز تنتهي إليه، وإنّما تنتهي بانتهاء الهواء))[٥]، ويوافقه القاري قائلًا: ((هذه الحروف، تنتهي إلى هواء الفم من غير اعتماد على جزء من أجزائه ولذا يقال لهذه الحروف: جوفية وهوائية))[٦].

وزاد الخليل على هذه المجموعة الهمزة، وجعلها معهن في حيزٍ واحد، فقال: ((والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد؛ لأنّها لا يتعلّق بها شيء))[٧]، يقول القسطلاني معللاً نسبة الخليل هذه الحروف إلى الجوف:((وإنما نَسبهن إلى الجوف؛ لأنَّه آخر انقطاع

---

(١) يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم:٥٦٣/٧.

(٢) الروضة الندية:١٧(الهامش) ، ويُنظر: القول السديد في علم التجويد:١٤٥.

(٣) العين:٥٧/١.

(٤) النشر في القراءات العشر:١٩٩/١، والمنح الفكرية:٧٩.

(٥) اللآلئ السنية:٧٨.

(٦) المنح الفكرية:٧٧.

(٧) العين:٥٨/١.

مخرجهن))[١]، ويفسّر القاري قصد أحمد بن محمد الجزري(ت-٨٣٥هـ) فيقول: ((وقول ابن المصنف:(مخرجهن من جوف الفم والحلق)، يريد أنَّ مبدأها مبدأ الحلق، وتمتد وتمر على كل جوف الفم، وهو الهواء الداخل فيه، فإنهن لا حيَّز لهن محققاً تنتهي إليه، بل تنتهي بانتهاء هواء الفم))[٢].

أما سيبويه فجعل الألف من الحلق من مخرج الهمزة، والياء من أصوات وسط اللسان، والواو من الشفتين[٣]، وقال أيضاً في وصف هذه الحروف:((وهذه الحروف غير مهموسات، وهي حروف لينٍ ومدٍّ، ومخارجها متّسعة لهواء الصوت؛ وليس شيءٌ من الحروف أوسع مخارج منها؛ ولا أمد للصوت؛ فإذا وقفت عندها لم تضمها بشفةٍ، ولا لسانٍ، ولا حلقٍ، كضم غيرها؛ فيهوى الصوت إذا وجد متسعاً، حتى ينقطع آخره في موضع الهمزة))[٤].

وعلى الرغم من أنَّه لم يميّز بين مخارج هذه الأصوات كما فعل أستاذه الخليل، إلا أنّه يفهم من كلامه أنّه يفرد هذه الأصوات (الألف، الواو، والياء) في موضع متحقق عند باقي مخارج الأصوات الأخرى، وأطلق عليها مصطلح (المد واللين)، أما الواو والياء فقد وصفها ((باللينة؛ لأنَّ مخرجهما يتسع لهواء الصوت، أشد من اتساع غيرهما، كقولك:(وأيٌّ) و(الواو)، وإنْ شئتَ أجريت الصوت ومددت))[٥]. الملاحظ أنَّ سيبويه كان متنبهاً لما تمتاز به هذه الأصوات من حيث اتساع مخارجها.

ويعللّ القاري لسيبويه سبب جعله الألف من مخارج الحلق فيقول: ((والتحقيق أنَّ معنى جعل سيبويه الألف من مخرج الهمزة، أنَّ مبدأه مبدأ الحلق، ويمتد ويمر على جميع هواء الفم، فيرتفع النزاع))[٦]. وبالتعليل ذاته، فسّر قول كل من مكي والداني، فيقول: ((وهذا معنى قول مكي في الرعاية: لكن الألف حرف يهوي في الفم حتى ينقطع مخرجه في الحلق فنسب في الخروج إلى الحلق؛ لأنه آخر خروجه))[٧]، إذ ((لا منافاة بين أنْ يكون مبدأه مبدأ الحلق

---

(١) اللآلئ السنية:٧٨، ويُنظر: المنح الفكرية:٧٨.

(٢) المنح الفكرية:٧٧.

(٣) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣.

(٤) المصدر السابق:٤/١٧٦.

(٥) المصدر السابق:٤/٤٣٥.

(٦) المنح الفكرية:٧٨.

(٧) الرعاية:٩٧، والمنح الفكرية:٧٩.

وانقطاع مخرجه في الحلق؛ لأنَّ المراد أنَّه ليس له اعتماد على شيء من أجزاء الفم، بل يبتدئ من الحلق وينتهي إلى الصوت الناشئ من الحلق))[١]. وهو المعنى نفسه عند الداني حين قال:((لا معتمد للألف في شيء من أجزاء الفم على هذا، وهو أنْ يكون مبدأه الحلق ومنقطع مخرجه من الحلق))[٢].وإذا أردنا عرض مفهوم الحلق لدى القدماء فهو المنطقة المشتملة على أقصى الحنك والحنجرة والفراغ الذي بينهما، وهو الفراغ الذي سمّاه المحدثون بالحلق[٣].

ويتابع القاري تعقبه للعلماء بشأن جعلهم الألف من أصوات الحلق، فيعلل الشاطبي وغيره ممن عدوا الألف حلقياً؛ لأنَّه ينزل بمنزلة الأصوات غير المدّية، أي الأصوات المحققة التي لها حيز في أجزاء الفم ،فيقول: ((ويحمل جعل الشاطبي وغيره الألف حلقيًّا وينزل قوله مع غيرهم في هذه الحروف أعني الواو والياء على غير المدية))[٤]. ويذكر القسطلاني تسمية أخرى لهذه الحروف الثلاثة (الألف، والواو، والياء)، فضلا عن مصطلح(الجوفية، والهوائية) وهو (حروف المد واللين) فيقول: ((إنَّ الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها... تسمى حروف المد واللين))[٥]. وكذا قال الملا علي القاري في هذه التسمية، غير أنَّه يميّز اللينة من المدية، فيرى أنّ الألف والواو والياء تكون مدية بشرط أنْ تكون ساكنة، وحركة ما قبلها من جنسها، في قول: ((تكونا ساكنتين ـ الواو والياء ـ وحركة ما قبلهما من جنسهما بأنْ تكون قبل الواو ضمة وقبل الياء كسرة وجعلت الألف أصلاً؛ لأنها لا تختلف عن حالها أصلاً ولا وقفاً بخلاف غيرها، وهي حروف مدّية لا يتحقق وجودها إلا بمدّها قدر ألف ويسمى المد الأصلي والذاتي والطبيعي))[٦].

أما اللينة فلا يشترط فيها تجانس حركة الحرف الذي يسبقها، فيقول:((وتسمى هذه الحروف أيضاً لينة، وإنْ كانت اللينة تختص بكونها ساكنة ولا تكون حركة ما قبلها من

---

(١) المنح الفكرية:٧٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ويُنظر: التحديد:١٢٠.

(٣) يُنظر: علم الأصوات(بشر):١٣٨، و مخارج الحروف وصفاتها(الهامش):٧٩.

(٤) المنح الفكرية:٧٩.

(٥) اللآلئ السنية:٧٧.

(٦) المنح الفكرية:٧٦-٧٧.

جنسها كـ" خوف" و" غير"))[١]. ويرى القاري أنّها ((سميت حروف المد واللين؛ لأنّها تخرج بامتداد ولين من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها، فإنَّ المخرج إذا اتسع انتشر الصوت وامتد ولان، وإذا ضاق انضغط فيه الصوت وصَلُب))[٢].

ويضيف القاري مصطلحًا آخر زيادة على مصطلح حروف الجوف، والمد، واللين، فيطلق عليها مصطلح (حروف العلَّة)، وذلك في قوله:((والتحقيق أنَّ هذه الحروف تسمى حروف العلَّة بالمعنى الأعم، سواء كانت متحركة أو ساكنة، حركة ما قبلها من جنسها أو لا، ثمّ حروف المد، ثمّ اللين بالوجه الأخص، وهو مختص بالواو والياء دون الألف))[٣]؛ لأنَّ الواو والياء في حالة كونهما لينًا يكون مخرجهما محققًا.

ويذكر القاري أنَّ مخرج الجوف مخرج مقدَّر، أي لا يعتمد على أي جزء من أجزاء آلة النطق كالحلق، واللسان، والشفة، وإنما هو هواء الفم[٤]؛ وذلك لأنَّ ((هذه المخارج لا تتحقق بالتقاء أو اقتراب عضوين من أعضاء النطق، بل هي مخارج واسعة؛ إذ يتسع تجويف الفم عند نطق أحد هذه الأحرف حتى يأخذ شكلاً أنبوبياً فيمرّ الهواء بحرية عبر تجويف الحلق والفم))[٥]. من هذا النصّ يظهر مدى إدراك القاري لكيفية تكوين هذه الأصوات وتمييزها من الأصوات الأخرى وكيفية مرور الهواء عند النطق بهن. ويرى أنَّ هذه الحروف أشبه بالصوت المجهور((الذي عند النطق به يمرّ الهواء حراً طليقاً خلال الحلق والفم دون أنْ يقف في طريقه عائق أو حائل، ودون أنْ يضيق مجرى الهواء))[٦]، ثم قال:((إنّهن بالصوت المجرد أشبه منهن بالحروف، ويتميزن عن الصوت المجرد بتصعد الألف وتسفل الياء واعتراض الواو))[٧].

---

(١) المنح الفكرية:٧٧.

(٢) المصدر السابق:٧٨.

(٣) المصدر السابق:٧٧.

(٤) يُنظر: المصدر السابق:٧١.

(٥) مخارج الأصوات عند شرّاح كتاب المفصّل للزمخشري في ضوء دراسات القدماء والمحدثين:٢٩.

(٦) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٤٤.

(٧) المنح الفكرية:٧٨.

وقد أوضح الدكتور غانم قدوري الحمد، المقصود بالصوت المجرد فيقول:((والصوت المجرد يقصد به الصوت الذي ينتج حين يفتح الناطق فاه، ويدفع بالهواء إلى الخارج مع ذبذبة الوترين الصوتيين))[١].

ويرى القاري أنَّ مخرج الحروف الجوفية، يجب أنْ يكون آخر المخارج، على الرغم من اتباعه ابن الجزري الذي جعلها أول المخارج معللاً لابن الجزري سبب تقديمه لها قائلاً:((اعلم أنّه قدّم حروف المد على سائر الحروف، لعموم مخرج المدية وكونها بالنسبة إلى مخارج البقية بمنزلة الكل في جانب الجزء، فيستدعي التقديم من هذه الحثيثية، وإنْ كان المناسب تأخيرها عنها باعتبار أنَّ حيزها مقدّر، وما حيزه مقدّر فهو حقيق بأنْ يؤخر عمّا حيزه محقق))[٢]. أما المحدثون فإنّهم يفضّلون تسمية هذه بالأصوات الصائتة أو المصوتة، أو الحركات[٣]، أوالعلَّة[٤]، أواللين[٥].

٢.المخرج الثاني: مخارج الحلق

الحلق: ((هو القصبة الممتدة مما يلي الصدر حتى الفم))[٦]، وهو ((الجزء الذي بين الحنجرة والفم))[٧]. ويعرّفه الدكتور غانم قدوري الحمد بأنَّه((الفراغ الواقع بين الحنجرة وأقصى اللسان))[٨]. ويقسّم القسطلاني الحلق على ثلاثة مخارج وستة أحرف[٩]، والتزم القاري بهذا التحديد أيضاً[١٠].

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٤٤.

(٢) المنح الفكرية:٧٩ــ٨٠.

(٣) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ(السعران):١٤٨-١٤٩، والأصوات اللغوية(عاطف فضل):١٢٠،وعلم الأصوات اللغوية(مناف):٩١.

(٤) يُنظر: مناهج البحث في اللغة:١٠٨، ١٢٠.

(٥) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٧٠.

(٦) الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر:٨٧/١، ويُنظر: القول السديد في علم التجويد:١٤٦.

(٧) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٢٠.

(٨) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٨٨.

(٩) يُنظر: اللآلئ السنية:٧٨-٧٩.

(١٠) يُنظر: المنح الفكرية:٨٠-٨١.

المخرج الأول: مخرج الهمزة والهاء من أقصى الحلق مما يلي الصدر.

المخرج الثاني: مخرج العين والحاء من وسط الحلق.

المخرج الثالث: مخرج الغين والخاء من أدنى الحلق.

ويذكر الملا علي القاري أنَّ سيبويه زاد على هذه الحروف حرف الألف، وبذا يكون عددها سبعة أحرف لثلاثة مخارج إذ يقول: ((ومنهم مَنْ ضم الألف إليهما وجعلها بعدهما ـ الهمز والهاء ـ كالشاطبي، ونسب هذا القول إلى سيبويه[١]))[٢].

أ- مخرج (الهمزة والهاء)

صوت الهمزة: وافق المحدثون القدماء في تحديد مخرجهِ ، ولا خلاف فيه سوى في التسمية، فبعضهم قال من أقصى الحلق[٣]، أو من الحنجرة[٤]، أو من فتحة المزمار[٥]، فهي من أبعد الحروف نطقاً، أو من أول الكلام[٦]، وقد جعل الخليل الهمزة مع حروف الجوف فقال: ((والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد؛ لأنّها لا يتعلّق بها شيء))[٧]. ويذكرها مرة أخرى ويجعلها من أصوات الحلق فيقول:((وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة فإذا رُفِّه عنها لانتْ، فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح))[٨].

ومن هذه النصوص رأى المحدثون وجود خلط واضطراب لدى الخليل[٩]، يقول أحد الباحثين: ((إذا كان الخليل فعلاً قد نسب الهمزة إلى أصوات الجوف، فلربما قصد بها الهمزة المسهّلة أو ما سمّاه بالمخففة))[١٠]. ويقول أيضاً: ((لا أتصور أنّ الخليل يقع في مثل هذا

---

(١) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣.

(٢) المنح الفكرية:٨٠.

(٣) يُنظر: العين:١/٥٢، والكتاب:٤/٤٣٣، وسر صناعة الإعراب:١/٦٠.

(٤) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ:١٥٧، والأصوات اللغوية(عبد القادر):١٤١.

(٥) يُنظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٨٧.

(٦) يُنظر: المنح الفكرية:٨٠، ومنهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات:٥٤.

(٧) العين:١/٥٨.

(٨) المصدرالسابق:١/٥٢.

(٩) يُنظر: دراسات في علم اللغة(الهامش):٦٨، ومنهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات:٥٤.

(١٠) التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي،علاء الدين أحمد الفرابية(اطروحة دكتوراه):٣٣.

التناقض الواضح، وعليه فيمكن تخريج المسألة بأحد أمرين: الأول: أنَّ لدى الخليل همزتين، همزة محققة ومخرجها من أقصى الحلق، وهمزة مخففة من حيز الألف والواو والياء، والثاني: أنَّ الخليل لم يذكر الهمزة فجاءت الزيادة من غيره))[١]. ((والحق لا تناقض في مخرج الهمزة عند الخليل، فهو صوت صحيح عند الإفراد (مهتوتة ومضغوطة) وحرف علَّة عند التركيب، "إذا رُفّه عنها لانثْ فصارت...عن غير الحروف الصحاح" والسبب يكون في طبيعتها الصرفية إذ إنَّ هذه الأصوات من أكثر الأصوات اللغوية اعتلالاً وانقلاباً وسقوطاً، وهو أمر يسوغ له إدخال الهمزة في هذه الطائفة من الأصوات))[٢].

وتابع سيبويه أستاذه الخليل، فقد جعلها من أقصى الحلق قائلًا:((للحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف))[٣]. وعبّر عنها ـ الهمزة ـ بأنّها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وأنها أبعد الحروف مخرجاً خرج كالتهوع[٤].قال المبرد:((للحلق ثلاثة مخارج فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة وهي أبعد الحروف، ويليها في البعد مخرج الهاء))[٥]، ويتابعه ابن يعيش(ت-٦٤٣هـ) ويذكر أنَّ الهمزة من مخرج الحلق فيقول:((اعلم أنَّ الهمزةَ حرفٌ،..،يخرج من أقصى الحلق))[٦].أما علماء التجويد فقد تابعوا علماء العربية في تحديدهم لمخرج الهمزة وجعلوها من مخارج حروف الحلق[٧]، قال مكي:((الهمزة أول الحروف خروجاً، وهي تخرج من أول مخارج الحلق من آخر الحلق، مما يلي الصدر))[٨]. وحدّد ابن الجزري مخرجها قائلاً: ((المخرج الثاني أقصى الحلق وهو للهمزة والهاء))[٩].

أما القسطلاني فلم يختلف مع مَنْ سبقه من علماء العربية وعلماء التجويد، في وصف مخرج الهمزة، من أقصى الحلق، إذ قال: ((فالهمزة والهاء من أقصى الحلق مما يلي الصدر

---

(١) التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي:٣٣.

(٢) تجليات الهمزة والألف أو تخفيفهما في الدرس الصوتي العربي(بحث):١٦٦١.

(٣) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٤) يُنظر: المصدر السابق:٣/٥٤٨.

(٥) المقتضب:١/١٩٢.

(٦) شرح المفصّل:٥/٢٦٥.

(٧) يُنظر: الرعاية:٨٢، والتحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢.

(٨) الرعاية:٨٢.

(٩) النشر في القراءات العشر:١/١٩٩.

وهو المخرج الأول من مخارج الحلق))[١]. فالملاحظ في هذا النصّ أنَّ القسطلاني قد حدد منطقة أقصى الحلق مما يلي الصدر؛ ليوضح بشكل مفصّل منطقة الأقصى وموضعها في الحلق. ولم يبتعد القاري عمّا سار عليه القسطلاني، في تحديد موضع إخراج الهمزة فيحدد موضعها في الحيز الثاني من مخارج الحروف فيقول: ((لأقصى الحلق همز، هاء، أي لأبعده من الفم حرفان وهما: همز، وهاء))[٢].

ويفسّر القسطلاني سبب إضافة الواو والياء إلى الألف، وجعلهم في حيِّز واحد فيقول:((إنْ قيل: لم أضاف الناظم الياء والواو إلى الألف؟ قلت: لأنَّه لما كانت الألف لا تأتي إلا ساكنة، ولا يأتي ما قبلها إلّا مفتوحًا، بخلاف الواو والياء، فلا يثبتان على حالة واحدة، بل لهما أحوال اتي ذكرها... والألف أصل، والواو والياء فرع ،ومن حق الفرع أنْ يضاف إلى الأصل ولا ينعكس))[٣]. في حين نجد الملا علي القاري، قد فرّق في مخارج هذه الحروف فقال: ((ثمّ إنهن بالصوت المجرّد أشبه منهن بالحروف، ويتميزن عن الصوت المجرد بتصعد الألف وتسفل الياء، واعتراض الواو))[٤]. ويقول أيضاً:((حيث لزمت الألف هذه الطريقة المعتادة من كونها ساكنة، وحركة ما قبلها من جنسها وهي الفتحة، لم يختلف حالها، من أنّها دائماً تكون هوائية، بخلاف أختيها، فإنّهما إذا فارقتاها في صفة المشابه صار لهما حيز محقق، ومن ثمة كان لهما مخرجان: مخرج حال كونهما مديتين، ومخرج حال كونهما متحركتين))[٥]. فالملاحظ على القاري أنَّه لم يذكر الألف في كلامه حين ميّز هذه الحروف؛ لأنَّ الألف لا تكون إلّا صوت مدّ، ولا معتمد له في شيء من أجزاء الفم.

أما مخرج الهاء فيذهب علماء العربية وعلماء التجويد، إلى أنَّ صوت الهاء حلقي من مخرج أقصى الحلق، غير أنَّهم اختلفوا في رتبته، بين أحرف مخرج أقصى الحلق وفي موقعه. وقد جعل الخليل مخرجها من أقصى الحلق[٦]، وتابعه سيبويه في ذلك قائلاً:

---

(١) اللآلئ السنية:٧٨.

(٢) المنح الفكرية:٨٠.

(٣) اللآلئ السنية:٧٨.

(٤) المنح الفكرية:٧٨.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) يُنظر: العين:٥٢/١.

((للحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف))[١]. وقد تبعه جل علماء العربية[٢].

أما عند علماء التجويد فذكر مكي القيسي أنَّ ((الهاء تخرج من مخرج الهمزة، من وسط المخرج الأول من مخارج الحلق، والهمزة قبلها في الرتبة، وإن كانتا من مخرج واحد))[٣]. وقال الداني:((فللحلق منها ثلاثة مخارج ... فأقصاها مخرجاً الهمزة والألف والهاء، فالهمزة في أول الصدر وآخر الحلق ثم الألف تليها، وهي صوت لا يعتمد اللسان فيها على شيء، ثمّ الهاء فوق الألف، وهو آخر المخرج الأول))[٤]، وهي عند القرطبي كما عند الداني، فيجعلها بعد الهمزة والألف ويقول:((فمن الحلق ثلاثة منها: أقصاها مخرجاً الهمزة والألف والهاء))[٥].

أما القسطلاني فقد حدد رتبتها ومخرجها من أقصى الحلق مما يلي الصدر في المرتبة الثانية بعد الهمزة[٦]. ولم يختلف القاري عمّا سار عليه مَن سبقه من العلماء في جعلها من أقصى الحلق في المرتبة الثانية بعد الهمزة[٧].

وعلى ما يبدو أثارت مسألة ترتيب الحروف داخل المخرج الواحد اهتمام القاري ولم يغفل عنها، فنقل عن العلماء حرصهم واهتمامهم على ترتيب الأصوات داخل المخرج الواحد، فينقل عن الجاربردي(ت-١٣٤٦هـ)، ويقول: ((ومنهم مَن ضمّ الألف إليهما ـ الهمزة والهاء ـ وجعلها بعدهما كالشاطبي، ونسب هذا القول إلى سيبويه، ونقل عنه أيضاً تقديم الألف على الهاء كما يفهم من الجاربردي))[٨]. ثمَّ يتابع قوله فيقول: ((قيل: الهمزة والهاء في مرتبة واحدة، وقيل الهمزة أوْلى))[٩].

---

(١) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٢) يُنظر: المقتضب:١/١٩٢، وسر صناعة الإعراب:١/٤٦.

(٣) الرعاية :٩١.

(٤) التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢.

(٥) الموضح في التجويد:٧٨.

(٦) يُنظر: اللآلئ السنية:٧٨، ولطائف الاشارات:٣٤٤.

(٧) يُنظر: المنح الفكرية:٨٠.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ويعقب الدكتور غانم قدوري الحمد على اختلاف العلماء في مرتبة الهمزة والهاء قائلاً: ((فلعل استمرارَ اندفاع تيار النفس خلال فتحة المزمار، عند نطق الهاء وامتداده عبر تجويف الحلق، جعل علماء العربية وعلماء التجويد، يحسّون أنَّ الهمزة أعمق من الهاء، وأنَّ الهاء متراخية عنها، وإنْ كان الصوتان يُنطقان من منطقة الوترين))[١].

أما صوتا (الهمزة والهاء) عند المحدثين فمخرجهما من الحنجرة، التي تعني لديهم أقصى الحلق، فصوت الهمزة يحدث((عند انطباق الوترين الصوتين انطباقاً تاماً يعقبه انفراج مفاجئ وسريع، وأما صوت الهاء فيحدث في الموضع الذي يحدث فيه صوت الهمزة، غير أنَّ الوترين الصوتيين لا ينطبقان مع صوت الهاء، بل يقتربان أحدهما من الآخر اقتراباً لا يسمح لهما بالتذبذب، فيحتك بهما تيار الهواء المندفع بضغط ضعيف احتكاكاً ضعيفاً، تضخّمه فراغات الحلق والفم))[٢]. إلّا أنَّ المحدثين((لم يهتموا بهذه المسألة؛ وذلك لأنَّ التجارب الحديثة تدلّ على أنَّ لكل صوتين من أصوات الحلق حيزاً معيناً، يَحُلاّن فيه معاً دون ترتيب لأحدهما على الآخر))[٣].

نستنتج مما سبق: اتباع القسطلاني والقاري لسيبيويه في تقسيمه لمناطق الحلق على ثلاثة أقسام (أقصى، ووسط، وأدنى)، لكنهم اختلفوا معه في إخراجهم الألف من حروف الحلق؛ لأنَّها جوفية لا معتمد لها في الفم. قال القاري:((هذه ثلاثة مخارج لستة أحرف تسمى حلقية لخروجها من الحلق))[٤]. كما يلاحظ الآتي:

١. أنَّ مرتبة الهمزة لديهم الأولى في حروف الحلق، والهاء الثانية بعد الهمزة.
٢. توسع كلّ من القسطلاني والقاري في شرح بعض العبارات لتوضيحها، فقد وصفا منطقة أقصى الحلق فقال القسطلاني:(آخره مما يلي الصدر)، وقال القاري:(لأبعد من الفم).

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٦٢.

(٢) الدراسات الصوتية بين القدماء والمحدثين:٤٧، ويُنظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٨٧-٨٨.

(٣) الأصوات اللغوية عند الجاربردي:٦١، ويُنظر:الأصوات اللغوية(أنيس):١٠٨ــ ١٠٩ ،ودروس في علم أصوات العربية:١٢٣.

(٤) المنح الفكرية:٨٢.

ب ـ مخرج (العين والحاء)

قال القسطلاني: ((العين والحاء المهملتان من وسط الحلق))[١]، ويتابعه القاري في جعل العين والحاء من وسط الحلق[٢] غير أنَّه يحدّد منطقة وسط الحلق فيقول:((ووسط الشيء -مُحَرّكَةً- ما بين طرفيه))[٣]. إلّا أنَّ القسطلاني قدم العين قبل الحاء متابعاً في ذلك سيبويه[٤]، ومكي[٥]، وابن الجزري[٦]، إذ يقول:((واعلم أنَّ العين قبل الحاء عند الجمهور، كما نصّ عليه مكي، قال الناظم هو ظاهر كلام سيبويه وغيره))[٧]. وينقل القسطلاني والقاري عن بعض ممن رتّب هذه الحروف ترتيبًا آخرا مغايرًا، إذ يجعل الحاء قبل العين، بالقول: ((ونصّ أبو الحسن بن شريح على أنّ الحاء قبل العين وهو الظاهر من كلام المهدوي وغيره))[٨]، وينقل عن المهدوي أنَّه قال:((الحاء والعين مخرجهما من وسط الحلق))[٩].

أما عند المحدثين فهما حرفان حلقيان، يخرجان من مخرج واحد لكن بعضهم يجعل مخرجهما من أدنى الحلق ((أدنى حلقيان))[١٠] وبعضهم يجعلها من وسط الحلق[١١]. ويرى الدكتور الحمد، أنهما يخرجان من بين الوترين الصوتيين العلويين، إذ يقول:((وترجح عندي أنَّ مخرج الصوتين هو من بين الوترين الصوتيين العلويين، وذلك بتقاربهما إلى درجة تسمح للهواء بالنفوذ خلالهما فيحدث احتكاك مسموع يتشكّل منه الصوتان، والحاء مهموس، والعين

---

(١) اللآلئ السنية:١٨، ٧٨.

(٢) يُنظر: المنح الفكرية:٨١.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣.

(٥) يُنظر: الرعاية:٩٩-١٠٢.

(٦) يُنظر: النشر في القراءات العشر:١/١٩٩.

(٧) اللآلئ السنية:٧٩، ويُنظر: المنح الفكرية:٨١.

(٨) اللآلئ السنية:٧٩، والمنح الفكرية:٨١.

(٩) الموضح في وجوه القراءات السبع،عمر حمدان الكبيسي(اطروحة دكتوراه):١٧٢، ويُنظر: اللآلئ السنية:٧٩(هامش المحقق)، وشرح الهداية:٧٦.

(١٠) دروس في علم الأصوات العربية:٣١، ويُنظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٥.

(١١) يُنظر: الدراسات الصوتية بين القدماء والمحدثين:٤٦.

مجهور))[١]. وهذا لا يمثّل فرقاً .فأوسط الحلق عند القدماء، يمثّل الحلق عند المحدثين[٢]، وفي الترتيب تتقدم الحاء على العين لديهم[٣]. مما تقدّم نلاحظ اهتمام القسطلاني والقاري بذكر مرتبة الأصوات ضمن المخرج الواحد، واتباعهم سيبويه فيما ذهب إليه في مخرج العين والحاء، وأنَّهما من مخرج واحد مما يثبت امتلاكهم رؤية واضحة في دراسة الأصوات.

ج ـ مخرج (الغين والخاء)

جعل القسطلاني والقاري مخرج الغين والخاء من حروف أدنى الحلق، إذ يقول الأول:((الثالث من المخارج: الغين والخاء المعجمتان من أول الحلق))[٤]. فالقسطلاني يجعل أول الحلق مقابلاً للفظة أدنى الحلق معتمداً على قول ابن الجزري في ذلك، إذ يقول:((وهو معنى قول الناظم رحمه الله: أدناه إلى الفم))[٥]. أما الثاني فلا يختلف في تحديد مخرج هذه الحروف فهو متفق مع القسطلاني في جعل مخرج الغين والخاء من أدنى الحلق إذ يقول أي:((أقرب الحلق إلى الفم، وهو أوله من جانب الفم))[٦]. والمتتبع لكلا الشارحين يجد أنهما تابعا ما جاء به الخليل وسيبويه، من أنّها أصوات حلقية تخرج من الحلق، قال الخليل:((فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيّة، لأن مبدأها من الحَلْق))[٧]، أو من أدناه كما يقول سيبويه[٨]. ويقول ابن جني:((ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء))[٩].

وتتبع القسطلاني والقاري آراء العلماء واختلافهم في ترتيب مخارج هذه الحروف، فينقل القسطلاني عن شريح أنّ ترتيب تقديم الغين على الخاء تابع لسيبويه[١٠]،

---

(١) أبحاث جديدة في علم الأصوات التجويد:١٥٦، ويُنظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد، علي جواد كاظم(رسالة ماجستير):٧٣.

(٢) يُنظر: مخارج الأصوات عند شرّاح المفصّل للزمخشري:٣٦، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية(الصيغ):٢٧.

(٣) يُنظر: مناهج البحث في اللغة: ٨٥ ــ٨٦.

(٤) اللآلئ السنية:٧٩.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ويُنظر: النشر في القراءات العشر:١٩٩/١.

(٦) المنح الفكرية:٨١.

(٧) العين:٥٨/١.

(٨) يُنظر: الكتاب:٤٣٣/٤.

(٩) سر صناعة الإعراب:٦٠/١.

(١٠) يُنظر: الكتاب:٤٣٣/٤.

فيقول:((ونصّ شريح على أنّ الغين قبل الخاء هو ظاهر كلام سيبويه))[١]، ومنهج بعض علماء التجويد[٢]. ويقول القاري:((وتقديم الغين على الخاء هو مختار سيبويه أيضاً، وعليه الشاطبي، وتبعه الناظم))[٣]، ونقلا عن مكي مخالفته بتقديمه الخاء على الغين في قولهم:((ونص مكي[٤] على تقديم الخاء على الغين))[٥]. ويرى الدكتور غانم قدوري الحمد أنَّ سبب اهتمام علماء التجويد بترتيب الحروف، هو اتباعهم لخطى سيبويه[٦].

ويذكر القسطلاني والقاري نصّاً لابن شريح يذكر فيه، أنّ سيبويه لم يقصد الترتيب أبدًا وذلك بقولهم: ((قال أبو الحسن علي بن محمد بن خروف: أنّ سيبويه لم يقصد ترتيباً فيما هو من مخرج واحد))[٧]، ويرجع المرعشي سبب هذا الاختلاف في تقديم الأصوات وتأخيرها إلى السليقة[٨]، أي رؤية كل شخص وطريقته في تذوق الحروف كما ذكرنا ذلك سابقاً.

يظهر من ذلك اتباع العلماء لسيبويه في ترتيب المخارج، على الرغم من كون الخليل أقدم من قال بالأصوات الهجائية والمخارج الصوتية؛ والسبب يرجع في ذلك إلى أنَّ الخليل لم يكن هدفه((تحديد مخرج كلّ صوت على حدة، بقدر ما كان يسعى إلى تحديد أحياز هذه الأصوات))[٩]، بخلاف سيبويه الذي كان يحرص على تتبع أساس الصوت المفرد، ويعتمد بذلك حركة اندفاع الهواء من الرئتين حتى الخياشم ومراعاته ولادة الصوت، أي بدء وقوع الحرف[١٠].

---

(١) اللآلئ السنية:٧٩.

(٢) يُنظر: التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢، والموضح في التجويد:٧٨.

(٣) المنح الفكرية:٨٢، ويُنظر: النشر في القراءات العشر:١٩٩/١.

(٤) يُنظر: الرعاية:١٠٦، ١٠٧.

(٥) اللآلئ السنية:٧٩، والمنح الفكرية:٨٢.

(٦) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٦٧.

(٧) اللآلئ السنية:٧٩، والمنح الفكرية:٨٢.

(٨) يُنظر: جهد المقل:١٢٩.

(٩) التفكير الصوتي عند الخليل:٣٤.

(١٠) يُنظر: منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات:٧٩، ٨٠.

أما المحدثون فبعضهم يضم إليهما حرف القاف ويجعل مخرجها من اللهاة[١]، وذهب بعضهم الآخر إلى عدها من حروف أقصى الحنك[٢]، وجعلها القسم الآخر من الطبق[٣]. ويقول الدكتورحسام النعيمي إنَّ هذا الخلاف ((إنما هو خلاف لفظي، إذ اللهاة تقع في أقصى الحنك، أو أدنى الحلق إلى الفم، فمن عبر اللهاة فهي، ومن عبر بأدنى الحلق فقد أرادها، ومن عبر بأقصى الحنك فقد أرادها))[٤].

٣.المخرج الثالث: مخارج اللسان:

اللسان: هو من أهم أعضاء النطق، وقد أعتاد القدماء أن ينسبوا النطق اليه بصيغة خاصة؛ لأنّه مرن وأكثر مطاوعة للحركة في الفم عند النطق، فهو ينتقل من وضع إلى آخر حسب أوضاعه المختلفة، فقد قسّمه العلماء على أقسام: أول اللسان بما في ذلك طرفه، ووسطه، وأقصاه[٥]. وتتكون من عشرة مخارج لثمانية عشر حرفًا[٦]. وهي على النحو الآتي:

أـ مخارج أقصى اللسان:

-**مخرج القاف:** جعل القسطلاني صوت القاف المخرج الأول من مخارج أقصى اللسان، والمخرج الخامس بالنسبة إلى لمخارج السبعة عشر فيقول: ((فالمخرج الأول القاف، وتخرج من آخر اللسان، مما يلي الحلق، ومخرج الخاء مباشرة، وهذا هو المخرج الخامس من المخارج))[٧].

أما عند علي القاري، فلم يذكر ترتيبها بالنسبة إلى السان، وإنما اكتفى بذكر مرتبتها في المخرج الخامس ضمن بقية المخارج[٨]، فموضعها من((أقصى اللسان فوق ثمّ الكاف))[٩].

---

(١) يُنظر: دروس في علم الأصوات العربية:٢٣، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:٨٢.

(٢) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ:١٨٢.

(٣) يُنظر: علم الأصوات اللغوية، (مناف الموسوي):٤٤.

(٤) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٥.

(٥) يُنظر: الأصوات اللغوية(ابراهيم أنيس):٢٠-٢١، ويُنظر: في البحث الصوتي عند العرب:١٦.

(٦) يُنظر: اللآلئ السنية:١٩، ٧٩، والمنح الفكرية:٩٢.

(٧) اللآلئ السنية:٨٠.

(٨) يُنظر: المنح الفكرية:٨٢.

(٩)المصدر نفسه والصفحة نفسها، وينظر: النشر في القراءات العشر:١٩٩/١.

ويوضّح الملا علي القاري مراد ابن الجزري من لفظة (فوق) فيقول:((والقاف بتقدير مضاف بضم قاف(فوقُ) على تقدير مضاف، أي فوقُ الكافِ؛ لأنَّ مما يلي الحلق من اللسان يعد فوقاً وما يقابله تحتاً لما سبق من النكتة في اعتبار مبدأ الصوت في ترتيب المخارج، والمراد به أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى))[١]. والملاحظ من هذا النصّ أنَّ الملا علي القاري جعل أقصى اللسان يقابل أقصى الحنك، وتابع القسطلاني في تحديد هذا المخرج علماء العربية القدماء كسيبويه[٢]، وعلماء التجويد[٣].

ويطلق المحدثون على هذا الصوت ـ أي القاف ـ بأنه لهوي[٤]، إذ توصلوا إليه من أجهزتهم الحديثة، فيُنطق عندهم ((برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللهاة، مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف))[٥]. وجعلها المستشرق بروكلمان صوتاً طبقيًّا[٦]. ولا خلاف في هذه التسميات فتعود كلّها لمنطقة واحدة، فاللهاة تقع في أقصى الحنك المقابل لأقصى اللسان[٧]، والطبق يكون الجزء الرخو من أقصى الحنك[٨].

– **مخرج الكاف:** هو ثاني المخارج في اللسان، والسادس في المخارج السبعة عشر كما ذكر القسطلاني في قوله: ((الثاني من مخارج اللسان، وهو السادس من المخارج للكاف، وتخرج من آخر اللسان من أسفل مخرج القاف قليلاً))[٩]. ويجعلها القاري كذلك في مرتبة المخرج السادس فيقول: ((ثُمّ الكاف مخرجها من أقصى اللسان، أسفل من القاف، أي أسفل اللسان بالنسبة إلى القاف))[١٠].

---

(١) المنح الفكرية:٨٢.

(٢) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٣.

(٣) يُنظر: الرعاية:١٠٩، والتحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢، والموضح في التجويد:٧٨.

(٤) يُنظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٨٤، وعلم اللغة:١٨٢، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٦٩ـ٧٠.

(٥)الأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي:٦٧.

(٦) يُنظر: فقه اللغات السامية:٣٩.

(٧) يُنظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٥ ـ٣٠٧،والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٦٨ـ٧١.

(٨) يُنظر: علم الأصوات اللغوية(مناف):٤٤.

(٩) اللآلئ السنية:٨٠.

(١٠) المنح الفكرية:٨٢–٨٣.

ويفسّر القسطلاني والقاري مراد ابن الجزري من ذكره لفظة (أسفل) بقولهِ: أشار في النظم بقوله: "الكاف أسفل" أريد به ما تحته –القاف– من الحنك الأعلى وهو أقرب إلى الفم من القاف[١]. قال سيبويه: ((ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف))[٢]، وهذا الوصف تابعه بعض علماء التجويد[٣]، وجعلها بعضهم الآخر من اللهاة[٤]. ويذكر القسطلاني والقاري تسمية هذه الحروف –القاف والكاف– بالقول: يقال لهما "لهوية"؛ لأنهما يخرجان من آخر اللسان عند اللهاة، فتنسب إلى اللهاة[٥]، ويعرّفان اللهاة بالقول: ((اللحمة المشرفة على الحلق))[٦]، ويزيد القاري على هذا التعريف قائلاً:((وقيل: أقصى الفم واللسان))[٧]، وتعريف القسطلاني والقاري للهاة لا يختلف عما جاء به المحدثون، فاللهاة عندهم تكون ((نهاية الحنك اللين))[٨].

أما مخرج الكاف عند المحدثين ، فمنهم مَن جعله من أقصى الحنك[٩]، أو من الطبق[١٠]، أو من أقصى اللسان[١١].

ب ــ مخارج وسط اللسان: ويشمل ثلاثة مخارج[١٢]: وهي (الجيم والشين والياء): هذا الترتيب من صنيع سيبويه حين قال: ((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء))[١٣]. وهو يخالف شيخه الخليل من باب الاختلاف في المنهج الذي قصده الخليل في بناء المعجم، الذي يقتضي خلق مجموعات لا تأتلف منها كلمة

---

(١) يُنظر: اللآلئ السنية:٨٠، ولطائف الإشارات:٣٤٦، والمنح الفكرية:٨٣.

(٢) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٣) يُنظر: التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٢، والموضح في التجويد:٧٨، ومرشد القارئ:٣٦.

(٤) يُنظر: الرعاية:٧٧.

(٥) يُنظر: اللآلئ لسنية:٨٠. والمنح الفكرية:٨٣.

(٦) اللآلئ لسنية:٨٠، والمنح الفكرية:٨٣.

(٧) المنح الفكرية:٨٣.

(٨) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٩.

(٩) يُنظر: الأصوات اللغوية(أبراهيم أنيس):٨١.

(١٠) يُنظر: علم الأصوات اللغوية(مناف):٤٤، وأبحاث في علم الأصوات والتجويد:٧٥.

(١١) يُنظر: التطور النحوي:١٢.

(١٢) ينظر: اللآلئ السنية:١٩.

(١٣) الكتاب:٤/٤٣٣.

عربية[١]. فأدخل الضاد ضمن هذه المجموعة وأخرج الياء؛ لأنّه عدّها من الجوف هوائية لا مخرج لها، وسمّى هذه المجموعة بالأصوات الشجرية[٢].

يذكر القسطلاني رتبة هذا المخرج الثالث من مخارج اللسان، والسابع من مخارج الفم في قوله: ((المخرج الثالث من مخارج اللسان، وهو السابع من المخارج: الجيم والشين المعجمة والياء المثناة تحت –أعني غير المدية– مخرجهن من وسط اللسان وما بينه وبين وسط الحنك))[٣]. في حين اقتصر علي القاري على ذكر رتبة هذه الحروف في المخارج السبعة عشر، فجعلها في المخرج السابع، بخلاف القسطلاني الذي بيّن رتبتها داخل مخارج اللسان، ويقول في تحديد مخرجها ((وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى، أو وسطهما فمخرج الجيم والشين والياء))[٤]. وبهذا يكون القسطلاني والقاري وافقا سيبويه في ترتيبه لمخارج وسط اللسان، وميّزوا كذلك بين الياء المدّية التي تخرج من الجوف والياء غير المدية التي تخرج من وسط اللسان.

ولكن من حيث المصطلح تابع الشارحان قول الخليل[٥]، وسمّوها بالشجرية، فقال القسطلاني: ((تسمّى هذه الحروف شجرية، والشجر من مخرج الفم أيّ: مفتتحهُ))[٦]. وقال القاري: ((وتسمّى الحروف الثلاثة "شجرية"؛ لأنّها تخرج من شَجر اللسان وما يقابله))[٧]، ويحاول القاري توضيح معنى مصطلح الشجرية فيقول: ((والشَّجْرُ: منفتح الفم، وقيل: مجمع اللحيين))[٨]. أما من حيث ترتيب هذه الأصوات، فيروي كلّ من القسطلاني وعلي القاري نصّاً عن ابن الجزري، ينقل فيه عن المهدوي يجعل فيه ((الشين تلي الكاف، والجيم والياء يليان الشين))[٩].

---

(١) يُنظر: التفكير الصوتي عند الخليل:١٣.

(٢) يُنظر: العين:٥٨/١.

(٣) اللآلئ السنية:٨٠.

(٤) المنح الفكرية:٨٣.

(٥) يُنظر :العين:٥٨/١.

(٦) اللآلئ السنية: ٨١.

(٧) المنح الفكرية:٨٣.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩) اللآلئ السنية: ٨٠، والمنح الفكرية:٨٣.

أما الدرس الحديث فلا يختلف كثيراً مع القدماء سوى في تعدد مسميات هذا المخرج فيسمى (الغار)، وذلك في قولهم:((يخرج الصوت عند اتصال مقدم اللسان بالجزء الصلب المخرز الذي يلي اللثة ويسمى الغار والأصوات الخارجة منه هي الشين الجيم والياء))[١]. وكذلك يطلق عليه (الحنك الصلب)[٢]،و(وسط الحنك)[٣].

ج ـ مخارج حافة اللسان

-**مخرج الضاد:** ينزل صوت الضاد عند القسطلاني في المرتبة الرابعة من اللسان والثامنة من مخارج العربية وذلك في قوله: ((المخرج الرابع من مخارج اللسان وهو الثامن من المخارج للضاد المعجمة))[٤]. وهو ثامن المخارج أيضاً عند علي القاري[٥]. ويعيّن القسطلاني مخرج هذه الضاد فيقول: ((تخرج من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر؛ لأنَّه أيسر وأكثر استعمالاً))[٦]. أما علي القاري فيرى أنَّ ((مخرج الضاد من جانب اللسان وطرفهِ قُربَ الجانبان، أي أحدهما))[٧].

في حين أفردها سيبويه بمخرج مستقل وحدد مخرجها قائلاً:((ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مُخْرَجُ الضاد))[٨]. وتابعه معظم علماء اللغة[٩]، وعلماء التجويد[١٠]. وعندما تحدّث سيبويه عن مخرج صوت الضاد، اكتفى بتحديدها من حافة اللسان، ولكنه في حديثه عن الضاد الضعيفة، التي عدّها مَن جاء بعده من اللغويين وصفًا

(١) علم الأصوات اللغوية(مناف):٤٣، ويُنظر: دراسة الصوت اللغوي:٣١٧،وفي البحث الصوتي عند العرب:٢١.
(٢) يُنظر: دراسة الصوت اللغوي:١٠٥-١٠٧.
(٣) يُنظر: الأصوات اللغوية(ابراهيم أنيس):٧٥، ودروس في علم الأصوات العربية:٣١.
(٤) اللآلئ السنية:٨١.
(٥) يُنظر: المنح الفكرية:٨٣.
(٦) اللآلئ السنية:٨١.
(٧) المنح الفكرية:٨٣.
(٨) الكتاب:٤/٤٣٣.
(٩) يُنظر: سر صناعة الاعراب:١/٦٠، وارتشاف الضرب:١/٩.
(١٠) يُنظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة:٢٦.

للضاد الأصلية، فصّل الشرح فقال: ((إنّ الضاد الضعيفة تتكلّف من الجانب الأيمن، وإنْ شئت تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف))[١].

ولم يحدد سيبويه من أي جهة يخرج هذا الصوت فتخرج الضاد عنده((عندما ينطبق ظهر اللسان على الحنك الأعلى اطباقاً غير تام، بعد رجوع اللسان إلى الوراء فتنضغط حافة اللسان اليسرى على الأضراس العليا من الجهة ذاتها، فيبدأ الصوت من خلال احتكاك الهواء القادم من الرئتين بين أول حافة اللسان وما يقابلها من الأضراس العليا من الجهة اليمنى، فيمتد الصوت من أول الأضراس مستطيلاً يعبر منطقة وسط اللسان حتى يخرج من بداية طرف اللسان وما يحاذيها من آخر الأضراس إلى الخارج من الشدق –جانب الفم[٢]– الأيمن نتيجة ارتكاز الحافة اليسرى من اللسان بالأضراس المقابلة لها مع ذبذبة الأوتار الصوتية))[٣].

مما سبق يتضح أنَّ القسطلاني والقاري قد اتفقا مع سيبويه في تحديد مخرج هذا الحرف لكنهم زادوا عليه بتحديدهم لجهة خروجه، فجعلها القسطلاني من الجهة اليسرى، وأما القاري فلم يحدّد أي جهة أو لم يرجح إحداهما على الأخرى، وإنما اكتفى بذكر الجانبين معاً.

لقد تناول القسطلاني والقاري آراء العلماء بالشرح والتحليل وبيّان مواقفهم في تحديد جهة خروجها فذكرا أنَّ قسماً منهم جعلها من الجانبين، وبعضهم أجرى لها من الجانب الأيمن، وبعضهم الآخر أجرى لها من الجانب الأيسر. وقد اتفق القسطلاني والقاري على اخراج سيبويه لها من الجانبين، وضرب مثالاً لفصاحة عمر (ﷺ) أنَّه يخرجها من الجانبين، قالا:((تخرج الضاد من طرف اللسان مستطيلة إلى ما يلي الأضراس من الجانب الأيسر، وهو الأيسر والأكثر، ومن الأيمن وهو اليسير والعسير والمعتبر، أو من الجانبين معاً وهو من مختصات سيدنا عمر(ﷺ)...))[٤]. وقال القسطلاني: ((كلام سيبويه يدلّ على أنّها تدور من الجانبين))[٥].

---

(١) الكتاب:٤٣٢/١، ويُنظر: الضاد في النظام الصوتي مع دراسة كتب الفروق، حيدر فخري ميران(رسالة ماجستير):٣٦.

(٢) يُنظر: لسان العرب:١٧٢/١٠ .

(٣) الضاد في النظام الصوتي مع دراسة كتب الفروق:٢١.

(٤) اللآلئ السنية:٨١، والمنح الفكرية:٨٥.

(٥) اللآلئ السنية:٨١.

أما ابن الجزري فينقل أنَّه جعلها ((من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل))[١]. وذهب زكريا الأنصاري إلى أنها تخرج: ((من أيسرها وهو أكثر وأيسر أو من يمناها وهو قليل وعسير أو منهما وهو أقل وأعسر))[٢].

ويفصّل القاري الحديث عن العضو الثاني الذي يشترك في خروج "الضاد" وهو (الأضراس) فيقول: ((ثمّ اعلم أنَّ الأسنان على أربعة أقسام: منها أربعة تسمّى ثنايا، ثنتان من فوق، وثنتان من تحت من مقدمها، ثمّ أربعة مما تليها من كل جانب، واحدة تسمى رباعيات، ثمّ أربعة كذلك تسمى أنياباً، ثمّ الباقي تسمى أضراساً، منها أربعة تسمى ضواحك، ثمّ ست طواحن، ثمّ أربعة نواجذ، ويُقال لها ضرس الحُلُم وضرس العقل، وقد لا توجد في بعض أفراد الإنسان))[٣] متبعاً في ذلك ابن جني[٤] فيحدد أي جزء من الأضراس مسؤول عن الضاد قائلاً:((المراد بها الأضراس العليا من أحد الجانبين مبتدأ مما حاذى أوسط اللسان -بقرينة ذكره بعده- منتهياً إلى أول مخرج اللام))[٥].

وهنا أثبت ما يأتي:

أولاً: تابع القسطلاني والقاري سيبويه بإفرادهما لمخرج الضاد واستقلاله عن الحروف الأخرى، خلافاً للخليل الذي أدرجها مع مخارج وسط اللسان.

ثانياً: ذهب القسطلاني إلى تحديد مخرج الضاد من الجانب الأيسر، وذلك في قوله: ((من الجانب الأيسر لأنَّه أيسر وأكثر استعمالاً))[٦]. أما القاري فلم يحدد موقعًا بل ذكر جميع ما ذُكِر فقال: من الجانب الأيسر ووصفه باليسر، وذكر الجانب الأيمن ووصفه بالعسير والمعتر، أو من الوجهين أو الجانبين.

ثالثاً: لم يحدد القسطلاني موضعها من الأضراس، واكتفى بذكر لفظة (الأضراس) في حين حددها القاري من الأضراس العليا.

---

(١) النشر في القراءات العشر:١/٢٠٠، والمنح الفكرية:٨٥.

(٢) الدقائق المحكمة في شرح المقدمة:٢٦، والمنح الفكرية:٨٥.

(٣) المنح الفكرية:٨٥.

(٤) يُنظر: سر صناعة الإعراب:١/٦٠.

(٥) المنح الفكرية:٨٦.

(٦) اللآلئ السنية:٨١.

أما صوت الضاد عند المحدثين فتختلف عمّا هي عليه عند القدماء، فقد قرروا أنَّ الضاد التي وصفها سيبويه قد خرجت من الألسن المعاصرة، وهي تخالف الضاد التي ننطق بها الآن[١]، فالضاد الحديثة ((صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثمّ ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتاً انفجارياً هو الضاد))[٢]. فقد وصفوه بأنّه صوت أسناني لثوي[٣]، وقال بعضهم بأنَّه سني مطبق انفجاري[٤]. والسبب هو تطور الصوت وتغير نطقه مما عدوه في مجموعة (الطاء والتاء والدال)[٥]، فالنطق العربي اليوم للضاد لا يوافق ما ذكره سيبويه؛ مما جعلها تتحول عند قوم إلى ظاء عند العراقيين، ودال مفخمة عند المصريين، ولام مفخمة كما في بعض لهجات المغرب[٦]. وكذلك لارتباط صوت الضاد الحديثة بأصوات الدال والتاء والطاء بعدد من الصفات، فالدال صوت مجهور، والتاء مهموس، والطاء مهموس مطبق، والضاد مجهور مطبق وليس بين الدال والضاد من فرق سوى أنَّ الدال منفتح والضاد مطبق، وكذلك الفرق بين التاء والطاء[٧].

-**مخرج اللام:** وهو عند القسطلاني من ((المخرج الخامس من مخارج اللسان، وهو التاسع من المخارج: اللام))[٨]. وعند علي القاري المخرج التاسع من المخارج السبعة عشر[٩]. في حين حدد سيبويه مخرج صوت اللام قال: ((ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى [مما فوق الضاحك والناب والرباعية

(١) يُنظر: مخارج الأصوات عند شراح المفصّل في ضوء دراسات القدماء والمحدثين:٤٣.

(٢) الأصوات اللغوية(أنيس):٤٩.

(٣) يُنظر: الأصوات اللغوية(عبد القادر جليل):١٤٠، علم الأصوات(بشر):١٨٦.

(٤) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ(السعران):١٥٥، والأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي:٧١.

(٥) يُنظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد:٥٣.

(٦) يُنظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٨.

(٧) يُنظر: شرح المقدمة الجزرية:٣٢٠، البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد:٥٣ــ٥٤.

(٨) اللآلئ السنية:٨١.

(٩) يُنظر: المنح الفكرية:٨٦.

والثنية] مخرج اللام))[١]. وهذا الوصف تبعه جلّ علماء العربية[٢]، وعلماء التجويد[٣].

جعل القسطلاني مخرج اللام ((من أول حافة اللسان من أدناها، أي أدنى حافة اللسان وهي جانبه إلى منتهى طرفه ومما يحاذيها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك لا الثنية خلافاً لسيبويه))[٤].

أما القاري فيذهب بالقول إلى أنَّ ((مخرج اللام أقرب الحافة وأولها إلى نهايتها، أو إلى منتهى طرفها))[٥]، ثمّ يوضح المراد من الحنك الأعلى فيقو: ((المراد من الحنك الأعلى من اللثة في سمت –مقابل– الضاحك لا الثنية خلافاً لسيبويه))[٦]، والمقصود بـ(("الثنية" مقدم الأسنان، والضاحك هو كل سن يبدو من مقدم الأضراس عند الضحك))[٧].

فالملاحظ من النصوص السابقة رؤية القسطلاني والقاري إلى منطقة الحنك بأنها واسعة بحيث شملت اللثة معها[٨]، وزاد القاري على القسطلاني توضيحاً لمصطلح اللثة فقال: ((واللثة بضم فتخفيف مثلثة: منبت الأسنان)) [٩].

ويصف القاري اللام فيرى أنَّه من أوسع الحروف مخرجاً فيقول:((الحاصل أنَّ مخرج اللام ما دون أول إحدى حافتي اللسان؛ وذلك لأنَّ ابتداء مخرج اللام أقرب إلى مقدم الفم من مخرج الضاد وينتهي إلى منتهى طرف اللسان وما يحاذي ذلك من الحنك وفويق الضاحك والناب والرباعية والثنية، وليس في الحروف أوسع مخرجاً منه))[١٠].

---

(١) الكتاب:٤/٤٣٣. ومما بين القوسين سقط من طبعة عبد السلام هارون، وموجود في طبعة بولاق:٢/٤٠٥.

(٢) يُنظر: الأصول في النحو:٣/٤٠٠، وسر صناعة الاعراب:١/٦٠، وشرح المفصل:٥/٥١٧.

(٣) يُنظر: شرح الهداية:٧٦، والموضح في وجوه القراءات وعللها:١٦٤، والفوائد المسعدية:٣٧.

(٤) اللآلئ السنية:٨١.

(٥) المنح الفكرية:٨٦.

(٦) المصدر السابق:٨٧.

(٧) اللآلئ السنية:٨١، والمنح الفكرية:٨٧.

(٨) يُنظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد، إبراهيم نعمة (اطروحة دكتوراه):٦٧.

(٩) المنح الفكرية:٨٧.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ويروى عن أبي شامة المقدسي أنَّ ابن الحاجب (ت:٦٤٦هـ)[١] قد قال:((وكان يغني أن يقال: فويق الثنايا إلّا أنَّ سيبويه ذكر ذلك فمن أجل ذلك عددوا، وإلّا فليس في الحقيقة فوق؛ لأنَّ مخرج النون يلي مخرجها وهي فوق الثنايا فكذلك هذا على أن الناطق باللام يبسط جوانب طرفي لسانه مما فوق الضاحك إلى الضاحك الآخر، وإنْ كان المخرج في الحقيقة ليس إلا فوق الثنايا وإنما ذاك يأتي لما فيها من شبه الشدة ودخول المخرج في ظهر اللسان، فيبسط الجانبان لذلك فلذلك عدد الضاحك والناب والرباعية والثنية))[٢]. وعلى هذا فيعد المخرج الحقيقي لدى ابن الحاجب ((فوق الثنايا أما ما توصف به اللام من أنَّها مما فويق الضاحك والناب والرباعية فهو سبب انبساط جانبي اللسان عند النطق به))[٣].

أما مخرج اللام عند المحدثين، فبعضهم يرى أنَّ مخرجه من الأسنان[٤]، ويرى آخرون أنَّه صوت سني، منحرف، جانبي[٥]، ومنهم مَنْ يرى أنّه من حروف الأدنى حنكية ووضع سبب وصفه هذا بأنَّ الهواء يجري فيها على حافتي اللسان[٦]. وبعضهم يعدّه صوتاً لثويًّا، أو نخروبيًّا[٧]. فهو ((من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك، والناب، والرباعية، والثنية))[٨]. وبعضهم ذهب إلى أنَّ نطق اللام ((يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا إذ تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء من إحدى حافتي اللسان، أو عن حافتيه يرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف، يتذبذب الوتران الصوتيان))[٩].والواضح من آراء المحدثين، أنَّه

(١) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب (الرضي الأستراباذي): ٢٥٢/٣ –٢٥٣.

(٢) إبراز المعاني من حرز الأماني:٧٤٦، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٧٤.

(٣) الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:٩٢.

(٤) يُنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ:١٨٢.

(٥) يُنظر: المصدر السابق:١٧٠.

(٦) يُنظر: دروس في علم أصوات العربية:٢٣.

(٧) يُنظر: علم الأصوات العام:١٢٨، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:٩٢.

(٨) علم الأصوات(بشر):١٨٦، ويُنظر: الأصوات اللغوية:٦٤،والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:٩٢.

(٩) علم اللغة مقدمة للقارئ(السعران):١٦٩.

لا يوجد خلاف بين القدماء والمحدثين، فهم متفقون في المخرج، ووصفهم لحدوث اللام وصف واحد لكن خلافهم في التسمية فقط[١].

د ـ مخارج طرف اللسان

–**مخرج النون:** يحدد القسطلاني مخرج النون قائلاً: ((المخرج السادس من مخارج اللسان، وهو العاشر من المخارج للنون))[٢]، وهو المخرج العاشر عند القاري[٣]. فمخرج النون لدى القسطلاني((من طرف اللسان، وهي عبارة عن رأسه بينه وبين ما فويق الثنايا أسفل اللام قليلاً، وهو المراد "تحت اجعلوا" وقيل فوقها والله أعلم))[٤]. وعند علي القاري تخرج ((من طرف اللسان وهو رأسه وأوّله، مع ما يليه من اللثة، مائلاً إلى ما تحت اللام قليلاً، وقيل فوقها))[٥]. ويلحظ أنَّ القسطلاني تابع سيبويه في تحديده لمخرج النون في قوله : ((ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون))[٦]. في حين جعل القاري (اللثة) بدلاً من (فويق الثنايا) في قول سيبويه. فيشرك القاري اللسان واللثة في إخراج النون.

واتفق الشارحان (القسطلاني والقاري)على وجود اختلاف في تحديد مخرج النون من دون ذكر أصحاب هذا الاختلاف، وإنما اكتفوا بالإشارة إلى أنَّ قسماً يجعلها تحت اللام والآخر يجعلها فوق اللام. ويقول القاري مخرج هذا الحرف ((قيل فوقها: وهو أضيق من مخرج اللام))[٧].

---

(١) يُنظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٩، البحث الصوتي في شرّوح المفصّل للزمخشري(ت:٥٣٨هـ) دراسة في ضوء علم اللغة الحديث:٤٥.

(٢) اللآلئ السنية:٨٢.

(٣) يُنظر: المنح الفكرية:٨٧.

(٤) اللآلئ السنية:٨٢.

(٥) المنح الفكرية:٨٧.

(٦) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٧) المنح الفكرية:٨٧.

أما المحدثون فلم يذهبوا بعيداً عمّا ذهب اليه القدماء في وصفهم لمخرج النون، فتخرج النون عندهم من طرف اللسان يلتقي بأصول الثنايا العليا[١]. ويعدّه بعضهم صوتاً أسنانياً[٢]، وجعلها آخرون صوتاً لثويًّا[٣].

-**مخرج الراء**: وهو عند القسطلاني المخرج السابع من مخارج اللسان، والحادي عشر من المخارج العامة[٤]، وعدّه علي القاري المخرج الحادي عشر[٥].يحدد القسطلاني مخرجها قائلاً:((تخرج الراء من مخرج النون من طرفه بينه وبين ما فويق الثنايا العليا، الا أنها أدخل في ظهر اللسان قليلاً. هذا مذهب سيبويه))[٦].

أما القاري، فيتفق مع القسطلاني ويشاطره الرأي ذاته، إذ يقول: ((مخرج الراء يقارب مخرج النون لكنه إلى ظهر اللسان أدخل هذا قول المصنف ويحدده بشكل أدق فيقول: والراء من ظهر رأس اللسان ومحاذيه من لثة الثنيتين العليتين))[٧]. وكلا الرأيين لم يخرجا عن قول سيبويه: ((ومن مخرج النون غير أنّه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء))[٨]. إلّا أنَّ القاري قد وقف عند أقوال مَنْ سبقه ووضّحها بالتفصيل، فذكر قول ابن الجزري في وصفه لمخرج الراء فقال: ((قال المصنف في النشر: مخرج الراء من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا، غير أنّها أَدخلُ في ظهر اللسان قليلاً))[٩]. وقول ابن المصنف: ((مخرج الراء من ظهر رأس اللسان ومحاذيه من لثة الثنيين العليتين))[١٠]، فيوضح علي القاري قصد ابن الجزري في نصّه هذا أنّ مخرج الراء يقارب مخرج النون لكنه إلى ظهر اللسان أدخل، وهو بهذا يتفق مع ما ذهب اليه سيبويه.

---

(١) يُنظر: الأصوات اللغوية(ابراهيم أنيس):٦٦.

(٢) يُنظر: دروس في علم الأصوات:٢٣، وعلم اللغة(السعران):١٦٩، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٩.

(٣) يُنظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٣٠٩.

(٤) يُنظر: اللآلئ السنية :٨٢.

(٥) يُنظر: المنح الفكرية:٨٨.

(٦) اللآلئ السنية:٨٢.

(٧) المنح الفكرية:٨٨.

(٨) الكتاب:٤/٤٣٣، ويُنظر: سر صناعة الاعراب: ١/٦٠.

(٩) المنح الفكرية:٨٨، ويُنظر: النشر: ١/٢٠٠.

(١٠) المنح الفكرية:٨٨، والحواشي المفهمة: ١٣٦.

كما تتبع القاري قول الشاطبي:((وحرف يدانيه إلى الظهر مدخل))[١]، فنقل توجيهاً عن أبي((شامة: يعني يداني النون وهو الراء يخرج من مخرجها لكنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً من مخرج النون لانحرافه إلى اللام))[٢]. وكان أحمد بن محمد دقيقاً في بيان مخرج الراء ويبيّن ذلك في قوله:((أي الراء أكثر انحرافاً إلى ظهر اللسان من النون))[٣].

وأشكل الملا علي القاري على مَنْ جعل مخرج النون من ظهر طرف اللسان كما قال: ((المراد بالظهر ظهرُ اللسان لا ظهر طرفه كما اختاره خالد))[٤]. وعند الرجوع إلى شرح الشيخ خالد(ت-٩٠٥هـ) نجد أنَّه قد صرّح بأنَّ مخرج الراء من ظهر اللسان وليس من طرفه إذ قال:((إنَّ مخرج الراء يقارب مخرج النون، وأفاد أنّ مخرج الراء أدخل إلى ظهر اللسان))[٥].

وهذا الاستدراك لا يخصّ موضوعنا، لكننا وضّحنا قول خالد؛ لمعرفة مخرج الراء لديه. كما أشكل على (بَحْرَق)[٦] فيقول:((وأغرب بحرق في قوله: (أي ومخرج هذه الثلاثة من أدنى حافة اللسان ممتداً إلى منتهاها، إلا أنَّ اللام تخرج من أدناها، والنون من طرف اللسان، والراء يداني مخرج النون داخلاً إلى ظهر اللسان، فلا يكون حينئذٍ مقدّماً على مخرج النون))[٧].

لقد علل القاري سبب هذا الاختلاف في ترتيب هذه الحروف ؛ والعلَّة عنده تعود للتقارب فيما بينهم فيقول: ((يمكن أنْ يكون التقدير: والراء يقابله مائلاً إلى ظهره))[٨]. وبهذا يثبت أنّ مخرج الراء بعد مخرج النون، وذلك في قوله: ((فلا يكون حينئذٍ مقدماً على مخرج النون))[٩].

---

(١) متن الشاطبية ، حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع: ٩٢/١.

(٢) إبراز المعاني من حرز الأماني:٧٤٦/١، ويُنظر: المنح الفكرية: ٨٨.

(٣) الحواشي المفهمة:١٣٧، و المنح الفكرية:٨٩.

(٤) المنح الفكرية:٨٩.

(٥) الحواشي الأزهرية:٣٣، ويُنظر: استدراكات الملا علي القاري:٩٠.

(٦) هو محمد بن عمر بن مبارك الحميري، الحضرمي، الشافعي الشهير بـ(بحرق) ولد سنة(٨٦٩هـ) وتوفي(٩٣٠هـ)، يُنظر: الاعلام:٣١٥/٦، والنور السافر:١٣٣، والمنح الفكرية(منهج المحقق):٦٤.

(٧) المنح الفكرية:٩٠

(٨) المصدر السابق:٨٩.

(٩) المصدر السابق:٩٠

وهذا التعليل أوضحه المرعشي من أنَّ مخرجي النون والراء يشترك فيهما اللسان واللثة((فمن نظر إلى اللسان ظهر له جعل مخرج الراء قبل مخرج النون؛ لأنَّ مخرج الراء تضمّن ما هو مقدّم على مخرج النون، ومَن نظر إلى اللثة أخّر الراء؛ لأنّ ما يلابسه رأس اللسان من اللثة بعد مخرج النون))[١]. أما المحدثون فيذهبون إلى أنَّ مخرج الراء قبل مخرج النون، وهذا يتوافق مع ما ذهب اليه العلماء في جعلهم مخرج الراء أدخل في اللسان من مخرج النون[٢]. وأحسوا بتقارب هذه المخارج (اللام، والنون، والراء)، وفي نسبة وضوحها الصوتي الأمر الذي جعلهم يعدونها مخرجاً واحداً، وسمّوا الصوت الخارج منها لثوياً[٣]، وقالوا أيضاً بأنَّها صوت مكرر يتكوّن ((من تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابع سريعاً))[٤].

_مخرج(الطاء، والدال، والتاء): يعدّ هذا المخرج الثامن من مخارج اللسان، والثاني عشر من المخارج السبعة عشر عند القسطلاني[٥]، والمخرج الثاني عشر عند القاري[٦]. وأجمع الشارحان على جعل هذه الحروف مجتمعة في مخرج واحد، قال القسطلاني:((الطاء والدال المهملتان والتاء المثناة، مخرجهن من طرف اللسان مما بينه وبين أصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك الاعلى والمراد الثنيتان وجُمُعا نحو: قلوبكما لعدم اللبس))[٧]. وقال القاري: ((مخرج الطاء والدال والتاء من طرف اللسان ومن الثنايا العليا))[٨]، ثمّ يقول:((يعني مما بينه وبين أصول الثنايا العليا مصعداً إلى الحنك الأعلى))[٩].

---

(١) جهد المقل:١٣٢، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٧٨.

(٢) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٧٩.

(٣) يُنظر: ودراسة الصوت اللغوي:٣١٦، الأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي:٧٤.

(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ :١٧٠،ويُنظر:دراسة الصوت اللغوي:١٢١، ٣١٧،والأصوات اللغوية،(عبد القادر):١٧٥، والأصوات اللغوية(ابراهيم أنيس):٦٦، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:٩٥.

(٥) يُنظر: اللآلئ السنية:٨٢.

(٦) يُنظر: المنح الفكرية:٩٠.

(٧) اللآلئ السنية:٨٣.

(٨) المنح الفكرية:٩٠.

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

نلاحظ أنّهما يتبعون سيبويه في قوله: ((ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال، والتاء))[١]. غير أنّهما يزيدان عليه بتحديدهم لأصول الثنايا والحنك، وهذا الوصف نفسه الذي قاله الداني [٢]، والقرطبي [٣]، وابن الجزري [٤].

يرى الدمشقي أنَّ مراد سيبويه من الثنايا هي العليا حتى لو لم يصرّح بذلك في قوله: ((والأصل في الثنايا العليا، ولم يذكر سيبويه في عبارته العليا، وهي مراده وهذه إضافة صحيحة))[٥].

وبما أنّ الثنايا العليا هي المخصوصة بخروج هذه الحروف، لاحظ القاري أنّ بعض العلماء ذكر (الثنايا) بالجمع وكما هو معروف فـ(الثنايا) أربعة اثنان فوق واثنان تحت، فيلتمس لهم استعمالهم لفظة (ثنايا) مطلقة قائلاً: ((قال خالد: المراد بالثنايا في هذه المواضع الثنيتان، وإنما عبّر الناظم رحمه الله بلفظ الجمع؛ لأنَّ اللفظ به أخف مع كونه معلوماً))[٦]. ثمّ يقول:((يمكن أنْ يُحمل على القول بأنَّ أقل الجمع اثنان))[٧]. بعد ذلك يبيّن رأيه ويصف لنا المراد بالثنايا فيقول:((التحقيق أنّ الثنايا أربعة أسنان مقدّمة، اثنتان فوق واثنتان تحت))[٨].

أما القسطلاني فلم يتطرّق لأعداد الثنايا كما فعل القاري لكنّه حدّد أي الثنايا هي المقصودة، فيروي عن الجعبري أنّ المراد من الثنايا العليا فيقول: ((قال الجعبري: وأطبق المصنفون على أنّها من أصل الثنيتين العليتين تابعين لقول سيبويه))[٩].

---

(١) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٢) يُنظر: التحديد في الإتقان والتجويد:١٠٣.

(٣) يُنظر: الموضح:٧٩.

(٤) يُنظر: النشر في القراءات العشر:١/٢٠٠.

(٥) إبراز المعاني من حرز الأماني:٧٤٧، ويُنظر: اللآلئ السنية:٨٣.

(٦) المنح الفكرية:٩٠.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩) اللآلئ السنية:٨٣.

وقال القاري أيضاً بالثنايا العليا((والتقدير عليا الأسنان الثنايا، أي العليا منها))[١]، لكنه لم يكتفِ بذكر الثنايا العليا، وذكر الثنايا السفلى؛ ليؤكد أنَّ الثنايا أكثر من اثنتين، ولكنه حدّد الجزء الذي يعتمد على إنتاج هذه الأصوات(ط، د، ت)، وهو الجزء العلوي للثنايا كما ذكرنا.

ينقل القسطلاني عن ابن الحاجب (ت-٦٤٧هـ) إذ جعل مخارج هذه الحروف من وسطها وليس من أصولها، فيقول:((قال ابن الحاجب: ليس أصول الثنايا؛ لأنّها قد تخرج من وسطها وهو الذي يظهر لأنَّ الأصول تشارك اللثة))[٢]. وينبغي الإشارة إلى أنَّ ابن الحاجب عندما ذكر هذا النصّ اعتمد على أساس نطق هذه الأصوات. أما علي القاري فيُشكل على مَنْ قال بهذا الوصف ويقول: ((لا معنى لقول شارح يماني[٣]" أما من أصولهما أو من وسطهما"))[٤].

ويعترض القاري على مَنْ قال بأنَّ هذه الحروف تخرج من نطع الغار وحملها على المجاورة فيقول: ((ويقال لهذه الحروف الثلاثة نطعية؛ لخروجها من نطع الغار الأعلى أي سقفه، والغار "داخل الحنك" والتحقيق أنّها إنّما سمّيت نطعية؛ لمجاورة مخرجها نطع الغار الأعلى وهو سقفه، لا لخروجها منه، فتأمل يظهر لك وجه الخلل))[٥]. وهو يتفق مع الخليل في هذه التسمية (النطعية)[٦] وارتضى عدد من العلماء هذه التسمية[٧].

أما المحدثون فلم يختلفوا كثيراً عن وصف القدماء في تحديد مخرج هذه الأصوات من موضع ((التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاءً محكماً))[٨]، إلّا أنَّ التاء تتكون

---

(١) المنح الفكرية:٩٠

(٢) يُنظر: اللآلئ السنية:٨٣، وشرح شافية ابن الحاجب (الاستراباذي): ٢٥٣/٣.

(٣) أشار بعض الباحثين الى أنّ لقبهُ(بحرق) وهذا لم يثبت للباحثة بحسب اطلاعها على المصادر بل أن المعنيين بالدرس الصوتي قد نبهوا الى ذلك، ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٣٠٠،واستدراكات الملا علي القاري:٦٢-٦٤.

(٤) المنح الفكرية:٩٠.

(٥) المصدر السابق:٩٠-٩١.

(٦) يُنظر: العين:٥٨/١.

(٧) يُنظر: الرعاية:٧٧-٧٨، وشرح المفصّل:٥١٨/٥، ٥٢٣، والنشر في القراءات العشر:٢٠٠/١،

(٨) الأصوات اللغوية(ابراهيم أنيس):٤٩، وعلم اللغة مقدمة للقارئ(السعران):١٥٤ــ١٥٥.

((عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدّم اللثة))[١]. أما الطاء والدال فلا فرق بينهما، إلاَّ في تذبذب الوترين الصوتيين فـ((صوت الدال يشبه صوت الطاء، في حركة الأعضاء عند المخرج فقط. ويخالفه في أنّ الهواء معه يندفع بضغط قوي، فيزاحم عند فتحة المزمار باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر، فيتذبذبان ويتردد صدى الذبذبات في الحلق والفم، ولا يحدث تضيق لمجرى الهواء عند الطبق والحلق))[٢].

فعند نطق الطاء تأخذ مؤخرة اللسان شكلاً مقعّراً، منطبقاً على الحنك الأعلى، مع رجوع مؤخرة اللسان إلى الوراء قليلاً، نحو الجدار الخلفي للحلق، أما عند نطق الدال فلا يتقعّر اللسان، وتبقى مؤخرة اللسان في وضع أفقي[٣]، ويُطلق على هذه المجموعة بالأسنانية اللثوية[٤].

-**مخرج(الصاد، والزاي، والسين)**: يذهب القسطلاني في تحديد مخرج هذه الحروف بالقول:((المخرج التاسع من مخارج اللسان، وهو الثالث عشر من المخارج حروف الصفير: الصاد والسين والزاي يخرجن من طرف اللسان ومن أطراف الثنايا السفلى))[٥]، ويجعلها القاري في المخرج الثالث عشر فيقول:((من طرف اللسان ومن أطراف الثنايا السفلى))[٦].

يذكر القاري اختلاف العلماء في مجموعة هذه الأصوات من ناحية تحديدهم للثنايا، فيذكر وصف ابن المصنف ـ أحمد بن محمد ـ لمخرج هذه الحروف، فيقول: ((من طرف اللسان ومن أطراف الثنايا السفلى كذا قاله ابن المصنف))[٧]، ولم يرتضِ القاري بهذا الرأي فردّ عليه قائلاً:((الناظم اعتبر فوق الثنايا السفلى وهو تحت العليا بعينه، ويريد به ما بينهما،

---

(١) علم الأصوات العام (بركة):١١٣، ويُنظر: الأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي في شرحه شافية ابن الحاجب:٧٤، والدرس الصوتي عند أحمد الجزري:٩٦.

(٢) الدراسات الصوتية بين القدماء والمحدثين:٣٩.

(٣) يُنظر: علم الأصوات اللغوية(مناف):٦٠-٦٢.

(٤) يُنظر: المصدر السابق:٥٩-٦٠.

(٥) اللآلئ السنية:٨٣.

(٦) المنح الفكرية:٩١.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها ، ويُنظر: الحواشي المفهمة:١٣٨.

وهو لم يعتبر ذلك، إذ طرف الشيء غير فوقه، نعم يمكن التوفيق بحمل الفوق على الطرف لمجاورته إياه مجازاً))[١].

والقاري بهذا النصّ يوضح أنّ ما ذهب اليه أحمد بن محمد الجزري كلام غير صحيح الا إذا كان قصده من أطراف الثنايا الجوار أو المجاورة، ففي هذه الحالة تحمل لفظة الطرف على حساب الفوق ـ أي فوق الثنايا مجازاً ـ ثمّ بعد ذلك يذكر القاري قول الشاطبي في مخرج هذه الحروف قائلاً: ((وقال الشاطبي: ومن بين الثنايا ثلاثة))[٢]، فيحمل الشاطبي مخرج هذه الحروف ما بين الثنايا وهو مذهب آخر، وهناك مَنْ حدد مخرجه من الثنايا السفلى فينقل القاري عن الجعبري[٣] أنّه قال: ((وثلاثة منها من رأس اللسان ومن بين الثنايا السفلى، قاله الجعبري))[٤]، ويذكر الملا علي القاري نصّاً للعلّامة زكريا يوضح فيه مراد الشاطبي من الثنايا هي الثنايا العليا فيقول: ((وقال زكريا: عبارة الشاطبي رحمه الله "من بين الثنايا" يعني العليا–ثمّ يتابع حديثه ويوضح أنّه لا فرق بينهما–، (ولا منافاة) فهي من طرف اللسان ومن بين الثنايا العليا والسفلى))[٥].

وفي هذا النصّ كان الأنصاري أكثر قرباً لقول أبي شامة، عندما حدد مخرج هذه الحروف فقال: ((ومن طرف اللسان ومن بين الثنايا لا أصولها ولا أطرافها ثلاثة، وهي: الصاد والسين المهملتان والزاي))[٦].

مما تقدّم نلاحظ أنَّ عليًّا القاري، قد اعتمد نصوص العلماء لتحديد مخرج هذه الأصوات وتحديد مرادهم من الثنايا، فظهرت لنا مذاهب عدة على ما ذكر، فمنهم مَنْ عدّها من الثنايا السفلى، ومنهم مَنْ جعلها من الثنايا العليا، ومنهم مَنْ جعلها من بينها ـ العليا والسفلى ـ وهو

---

(١) المنح الفكرية:٩١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها، ومتن الشاطبية حرز الأماني ووجه التهاني:٩٢/١، ويُنظر: الوافي في شرح الشاطبية:٣٩٠/١.

(٣) هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، أبو إسحاق: عالم بالقراءات ،من فقهاء الشافعية،الأعلام:٥٥/١.

(٤) المنح الفكرية:٩١.

(٥) المصدر السابق:٩١–٩٢، ويُنظر: الدقائق المحكمة:٢٨.

(٦) إبراز المعاني من حرز الأماني:٧٤٧.

وصف سيبويه حين قال: ((ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاي، والسين، والصاد))[١]. وإن كان الأخير لم يحدد العلوي منها أو السفلي فكان منه ذاك الخلاف.

أما إطلاق الملا علي القاري على هذه الحروف وصف(أسلية)، متبعاً في ذلك الخليل.[٢] ويرى القاري أنّها سمّيت بهذا الاسم؛ ((لخروجهن من أسلة اللسان وهو مستدقه))[٣]. لذا يقول إبراهيم أنيس: ((إنّنا نؤثر تسمية هذه الأصوات بالأصوات الأسلية))[٤].

أما المحدثون فهم على خلاف في مخرج هذه الأصوات، فمنهم مَن نسب هذه الأصوات إلى الأسنان مع اللثة وسمّاها أسنانية ـ لثوية، وأضافوا لها أصواتاً أخرى هي: (د، ت، ط، ض)[٥]. وبعضهم يسمّيها بالأسنانية أو المفارزية[٦].

-مخرج(الظاء، والذال، والثاء): يحدّد القسطلاني رتبة هذه الحروف فيقول:((المخرج العاشر من مخارج اللسان، وهو الرابع عشر من المخارج))[٧]، ويجعلها القاري في المخرج الرابع عشر من المخارج[٨]، ثمّ يحدد مخرجها ـ القسطلاني ـ فيقول:((الظاء والذال المعجمتان والثاء المثلثة يخرجن من طرف اللسان وطرف الثنايا العليا))[٩]. ويجعلها القاري خاصة بالثنايا العليا فيقول: ((مخرج هذه الثلاثة خاص للثنايا العليا))[١٠]، ثمّ يقول:((أي من طرف

---

(١) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٢) ينظر:العين:١/٥٨، والمنح الفكرية:٩٢.

(٣) المنح الفكرية:٩٢.

(٤) الأصوات اللغوية، ابراهيم أنيس:٧٣، ويُنظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد:٥١، والدراسات الصوتية بين القدماء والمحدثين:٣٨.

(٥) يُنظر: دراسة الصوت اللغوي:٣١٦، وعلم اللغة مقدمة للقارئ:١٨٢، والأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي:٧٥-٧٦، وعلم الأصوات اللغوية(مناف):٤٣.

(٦) يُنظر: دروس في علم الأصوات العربية:٢٣، ٧٣ ، ومخارج الاصوات عند شرّاح المفصّل:٥٠.

(٧) اللآلئ السنية:٨٣.

(٨) يُنظر: المنح الفكرية:٩٢.

(٩) اللآلئ السنية:٨٤.

(١٠) المنح الفكرية:٩٢.

اللسان وأطراف الثنايا العليا))[١]، وهو وصف سيبويه حين قال:((ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء))[٢].

ونلاحظ من نصوص القسطلاني والقاري اتفاقهم مع سيبويه في تحديده، لكنهم زادوا الأمر إيضاحًا بتحديدهم للثنايا، وهو تحديد المبرّد الذي قال بالثنايا العليا[٣]، وأخذ به عدد من علماء التجويد[٤]. وفي لقب هذه الأصوات تابعا الخليل في تسميتها باللثوية[٥].

فيقول القسطلاني ويتابعه القاري: ((ويقال لهن: اللثوية لخروجهن من اللثة ـ بكسر اللام وهو ما حول الأسنان من اللحم))[٦]. ويُشكل المحقّق في هامش المنح على قوله بخروجها من اللثة، فيقول:((لخروجها من اللثة توسع، ولا يعني أنّها تخرج منها، بل من قربها كما صرّح به الكثير من أهل العلم))[٧]، وينقل القسطلاني عن الجوهري قوله بأنّ موضع اللثة ((هو اللحم الذي تنبت فيه الأسنان))[٨].

ومن المحدثين الذين أنكروا هذا الوصف إبراهيم أنيس إذ يقول:((وأغرب أنّهم سمّوها بالأصوات اللثوية، نسبة إلى اللثة رغم أنَّ اللثة لا تقوم معها بأيّ دور))[٩]، والراجح عند الدكتور غانم قدوري الحمد((أنّه لا علاقة للثة بنطق هذه الحروف، ويشكل وصف الخليل لها بأنّها لثوية))[١٠]، ونسبهن إلى الأسنان فقال:((الأولى إذا أريد نسبتهن إلى المخرج أنْ يقال أسنانية))[١١]، هذا بالنسبة إلى تسميتها.

---

(١) المنح الفكرية:٩٢.

(٢) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٣) يُنظر: المقتضب:١/١٩٣.

(٤) يُنظر: الرعاية:١٦١، والتحديد في الإتقان :١٠٣، والموضح:٧٩، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٣.

(٥) يُنظر: العين:١/٥٨.

(٦) اللآلئ السنية:٨٤، ويُنظر: المنح الفكرية:٩٢.

(٧) المنح الفكرية(الهامش):٩٢.

(٨) اللآلئ السنية:٨٤.

(٩) الأصوات اللغوية:١٠٤.

(١٠) البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد:٤٦ــ٤٧.

(١١) الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية:٤٠.

أما فيما يخصّ مخرجها فقد اتفق المحدثون مع القدماء في وصفهم، فصوت الظاء((يتمّ النطق به بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بأطراف الثنايا العليا))[١]. أما صوت الذال، فلا فرق بينه وبين الظاء الفصحى الا بالتفخيم والترقيق [٢]. أما الثاء فلا فرق بينه وبين الذال، إلا في أنَّ الثاء صوت مهموس، لا يتحرك معه الوتران الصوتيان، والذال صوت مجهور[٣]. وبهذا المخرج تكتمل مخارج اللسان، كما ذكر القاري ذلك، إذ يقول:((به تمَّ مخارج اللسان وهي عشرة، وحروفها ثمانية عشر حرفاً))[٤].

٤.المخرج الرابع :مخارج الشفتان: وهو المخرج الرابع من المخارج العامة بعد الجوف، والحلق، واللسان، وفيه مخرجان لأربعة أحرف[٥]، وهي: الفاء، والواو، والباء، والميم.

-مخرج الفاء: يحدد القسطلاني رتبة هذا الصوت قائلاً: ((المخرج الأول من مخارج الشفة، وهو الخامس عشر من المخارج الفاء))[٦]. أما مخرجها فـ((تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا))[٧].

أما القاري فلم يبتعد عن تحديد القسطلاني في وصفه لهذا المخرج إذ وضعها في الحيز الخامس عشر من المخارج، وحدد مخرجها قائلاً:((إنَّ الفاء تخرج من باطن -أو بطن - الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا))[٨].

لقد ضم الخليل هذا الصوت إلى صوتي (الباء والميم) وجعلها في حيز واحد، ولقّبها بالشفوية[٩]. يقول الدكتور غانم قدوري الحمد: ((ضم الفاء إلى الباء والميم والواو والتعبير عنهما باسم حروف الشفتين وهو مذهب كثير من علماء التجويد، لكن الفاء في الواقع لا

---

(١) الدراسات الصوتية بين القدماء والمحدثين:٣٥، وشرح المقدمة الجزرية، غانم قدوري:٣٩،الأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي:٧٦.

(٢) يُنظر: الأصوات اللغوية (ابراهيم أنيس):٤٨،والأصوات اللغوية وظواهرها:٧٦.

(٣) يُنظر: الأصوات اللغوية (أنيس):٤٨،والأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي:٧٦.

(٤) المنح الفكرية:٩٢.

(٥) يُنظر: اللآلئ السنية:٨٤.

(٦) المصدر السابق:٨٠

(٧) المصدر السابق:٨٤.

(٨) المنح الفكرية:٩٢.

(٩) يُنظر: العين:٥٨/١.

تشترك الا الشفة السفلى في مخرجها))[١]. في حين جعلها سيبويه في مخرج مستقل، حيث ذكر أنَّه ((من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء))[٢].وقد تبعه جمهور أهل العربية[٣] ومنهم الشارحان، كما أنَّ المحدثين لم يخرجوا عن وصفه فاطلقوا عليه مصطلح شفوي أو أسناني[٤].

-**مخرج (الواو غير المدية، والباء، والميم)**: يقول القسطلاني في هذا المخرج:((هو المخرج الثاني من مخارج الشفة، وهو السادس عشر من المخارج: للواو غير المدية والباء الموحدة والميم))[٥]، ويحدد مخرجها فيقول:((ويخرجن من بين الشفتين العليا والسفلى))[٦]. ولم يختلف القاري في تحديد مخرج هذه الحروف عن مَنْ سبقه فقال:((مخرج هذه الثلاثة خاص للشفتين حيث تخرج من بين الشفة العليا والسفلى))[٧].

أخرج الخليل الواو من هذه المجموعة وأدخل الفاء بدلاً عنها، إذ قال:((والفاء، والباء، والميم شفوية))[٨]. وسبب ذلك أنّه أفرد حروف المد بمخرج مستقل هو الجوف، وتخصيص الحروف الأخر بمخارج محددة من بين الشفتين في الواو، ومن وسط اللسان في الياء[٩]. أما سيبويه: فحددها قائلاً:((ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو))[١٠]، وتبعه جل علماء العربية[١١].

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٥.

(٢) الكتاب:٤/٤٣٣.

(٣) يُنظر: المقتضب:١/١٧٥، وسر صناعة الاعراب:١/٦١، وسر الفصاحة:١/٣٠، التحديد:١٠٤، والموضح:٧٩.

(٤) يُنظر: الأصوات اللغوية(أنيس):٤٧، واللغة العربية معناها ومبناها:٥٩ ، ٧٩. والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٨٤.

(٥) اللآلئ السنية:٨٤.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) المنح الفكرية:٩٣

(٨) العين:١/٥٨.

(٩) يُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٦.

(١٠) الكتاب:٤/٤٣٣.

(١١) يُنظر: المقتضب:١/١٩٤،وسر صناعة الأعراب: ١/٦٢وسر الفصاحة:١/٣٠،إبراز المعاني:٧٤٨، وبغية المستفيد في علم التجويد:٢٧، وتحفة الطالبين:٥٢.

وضع بعض العلماء ممن جاء بعد سيبويه منهجاً خاصاً، إذ فصلوا الواو وقيّدوها "بغير المدية" وجعلوا للمدية مخرجاً مستقلاً هو الجوف، بخلاف سيبويه الذي جعل الواو مطلقة ولم يقيّدها بنوع، إذ جعل المدية وغير المدية في مخرج واحد وهو الشفتان. ومن هؤلاء العلماء ابن الجزري، الذي قال: ((المخرج السادس عشر للواو غير المدية والباء والميم بما بين الشفتين))[١]، ونهج هذا النهج جلّ شرّاح المقدمة الجزرية[٢]، ومنهم القسطلاني والقاري، إذ أشارا إلى: إنَّ الواو التي تنتمي إلى هذا المخرج، هي الواو غير المديّة[٣]، وزاد القسطلاني والقاري على سيبويه وصفهم حال الشفتين عند النطق بكلّ صوت من هذه الأصوات، فيصفان الواو بالانفتاح، والباء والميم بالانطباق[٤].

ويذكر الملا علي القاري أنَّ انطباق الشفتين مع الباء أقوى من انطباقهما مع الميم، موضحاً أنَّ سبب ذلك يرجع إلى قوة حرف الباء فيقول: ((إلا أنّ انطباقهما مع الباء أقوى من انطباقها مع الميم))[٥].

ويعلّل المرعشي لهذا قائلاً: ((والظاهر أنّ سببه عدم احتباس النفس مع الميم، بل جريانه في الخيشوم بخلاف الباء وعدم احتباس النفس عند الاعتماد على مخرج الحرف يوهن الاعتماد))[٦]. ويلقّب القسطلاني هذه الحروف بالشفوية فيقول:((ويقال لهن: الشفهية والشفوية نسبة إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو الشفتان))[٧].

أما من حيث ترتيب هذه الحروف داخل مخرجها فاختلف القاري مع الناظم بقوله: ((وأشكل عليه في تقديمه الواو على الباء والميم، ويرى أنَّه من الواجب ((تأخير الواو عنهما،..، كما فعل مكي، حيث قدّم الباء وذكر الميم عقبها وختم بالواو))[٨]، وعلّل المرعشي ذلك، فقال: ((إنّ لكل من الشفتين طرفين، طرف منه يلي داخل الفم، والآخر يلي

---

(١) النشر في القراءات العشر:٢٠١/١، ويُنظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويد:١٠١.

(٢) يُنظر: شرح طيبة النشر لابن الجزري:٣٠، وشرح طيبة النشر للنويري:٢٣٦/١، والفوائد المفهمة:٣٠.

(٣) يُنظر: المنح الفكرية:٩٣.

(٤) يُنظر: اللآلئ السنية:٨٤، والمنح الفكرية:٩٣.

(٥) المنح الفكرية:٩٣.

(٦) جهد المقل:١١،نقلاًعن الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٦.

(٧) اللآلئ السنية:٨٤.

(٨) المنح الفكرية:٩٣، ويُنظر: الرعاية:١٧٧.

البشرة فالمنطبق في الباء طرفاهما اللذان يليان داخل الفم، والمنظم في الواو طرفاهما اللذان يليان البشرة، والمنطبق في الميم وسطهما، فآخر المخارج مما يلي البشرة من الشفتين،...، فمن قدّم الواو عليهما يخرجهما من الطرفين اللذين يليان داخل الفم، والباء من الوسط، والميم من الخارج))[١].

أما المحدثون فلم يختلفوا مع القدماء في عدّهم هذه الأصوات من الأصوات الشفوية[٢]، غير أنَّ بعضاً منهم لم يكتفِ في عدّ صوت الواو من الأصوات الشفوية، وإنما رأى أنَّه صوت يسهم في إخراجه((أقصى اللسان حيث يقترب من أقصى الحنك))[٣]؛ لذا وصفوا الواو بأنّه صوت شفوي حنكي قصي[٤]، وهذا الوصف سبقهم إليه المبرد في قوله:((وَمن الشّفة مخرج الْوَاو والباءِ وَالْمِيم إِلّا أَنّ الْوَاو تهوى فِي الْفَم حتّى تتّصل بمخرج الطاءِ وَالضَّاد وتتفشَّى حتّى تتّصل بمخرج اللَّام فَهَذِهِ الاتّصالات تقرّب بعض الْحُرُوف من بعض وإِن تراخت مخارجها))[٥].

ويرى الدكتور غانم قدوري الحمد أنَّ وصف مخرج الواو((من الشفتين ليس خطأً؛ لأنّ للشفتين دخلاً كبيراً في نطق هذا الصوت))[٦]، وعلل أنَّ سبب نسبة القدماء الواو إلى الشفتين يرجع إلى وضع الشفتين فقال:((ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو وكون اللسان لا يقترب من الحنك بصورة واضحة هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين))[٧].

---

(١) جهد المقل:١٣٥-١٣٦.

(٢) يُنظر: والبحث الصوتي عند العرب:٢٠-٢١، واللغة العربية معناها ومبناها:٧٩، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٨٤.

(٣) الأصوات اللغوية(أنيس):٤٤، ويُنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٧.

(٤) يُنظر: علم اللغة(السعران):١٨٠.

(٥) المقتضب:١٩٤/١، ويُنظر: الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:١٠٥.

(٦) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٧.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٥.المخرج الخامس :الخيشوم

هــو الأصـل الرابـع مـن أصـول المخـارج عنـد بعـض العلمـــاء[١]، والخــامس عنـد شـرّاح الجزريـة[٢]. وجعل سيبويه هذا المخرج للنون الخفيفة في قوله:((ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة))[٣]. وتابعه ابن جني فقال:((ومن الخياشم مخرج النون الخفية، ويقال الخفيفة أي الساكنة))[٤].

ذكر سيبويه هذه النون في حديثه عن الفروع الستة المستحسنة[٥]؛ ليميز بينها وبين النون الأصلية، التي تخرج من طرف اللسان ((حيث يعتمد طرف اللسان على ما فويق الثنايا فيسد طريق الهواء من الفم، وينخفض الحنك اللين بما في ذلك اللهاة، فيندفع الهواء من الخيشوم، فالنون يعتمد لها في الفم، ويخرج الصوت(النفس) من الأنف، وهذا الصوت الخارج من الخيشوم يسمى غنة))[٦].

وكان لعلماء التجويد أيضاً نصيب في تحديد مفهوم هذا المصطلح، إذ عرّفه مكي قائلاً: ((الخيشوم الذي تخرج منه الغُنَّة وهو المركب فوق غار الحلق))[٧]. وعرّفه الداني بأنّه((خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم))[٨]. وقال القسطلاني:((الخيشوم هو الأنف))[٩].

وعرّفه الملا علي القاري فقال:((أقصى الأنف))[١٠]، وخصّ مكي بن أبي طالب هذا المخرج بالنون فقال:((الغُنَّة نون ساكنة خفيفة تخرج من الخياشم، وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة، وهي التي تتحرك مرة وتسكن مرة، وللتنوين والميم الساكنة))[١١].

---

(١) يُنظر: الكتاب:٤/٤٣٤، والمفيد في شرح عمدة المجيد:٥٩.

(٢) يُنظر: النشر في القراءات العشر:١/٢٠١، وشرح طيبة النشر لابن الجزري:٣٠، والهادي في شرح طيبة النشر في القراءات:١/٨٦، والمنح الفكرية:٧٤.

(٣) الكتاب:٤/٤٣٤.

(٤) سر صناعة الإعراب:١/٦١.

(٥) يُنظر:الكتاب:٤/٤٣٢.

(٦) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:١٨٧ـ١٨٨.

(٧) الرعاية:١٨٢.

(٨) التحديد في الإتقان والتجويد:١١٥.

(٩) اللآلئ السنية:٨٥.

(١٠) المنح الفكرية:٩٣.

(١١) الرعاية:١٨٢، وينظر: المنح الفكرية:٩٥.

فمن النصّ المتقدم، نرى محاولة مكي التفريق بين الغُنَّة التي جعلها فرعاً ،أو تابعاً للنون الأصلية "غير المخفاة"، التي يكون مخرجها من ((طرف اللسان بينه وبين فويق الثنايا))[١]، ثم يذكر كلّ من القسطلاني والقاري رأي مكي في الغُنَّة، بأنّها حرف((مجهور شديد لا عمل للسان فيها))[٢].

وقال القرطبي:((ومن الخياشم مخرج النون الخفيفة ويقال الخفية أي الساكنة))[٣]. ويقول أيضاً: ((إنما تكون هذه النون من الخيشوم مع خمسة عشر حرفاً من حروف الفم: القاف والكاف، والجيم والشين، والظاء والذال، والثاء، والفاء، فهي متى سكنت وجاء بعدها حرف من هذه الحروف فمخرجها الخيشوم، لا علاج على الفم في اخراجها))[٤].

أما القسم الثاني من العلماء فقد جعل الغُنَّة من الصفات ينقل القاري عن الجعبري أنَّه قال: ((الغُنَّة صفة النون ولو تنويناً والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين))[٥]. ويذكر كذلك عن ابن الجزري أنّه جعل الغُنَّة من الخيشوم والتي تعد من صفات النون إذ يقول:((الغُنَّة تارة تكون صفة، وتارة تكون حرفاً، وهو النون والميم المدغمتان والمخفاتان، وهو مذهب المصنف))[٦].

ويذكر ابن الجزري في كتابه النشر:((المخرج السابع عشر الخيشوم، وهو للغنة وهي تكون في النون والميم الساكنتين حالة الاخفاء، أو ما في حكمه من الادغام بغنة))[٧]. ويعقب ابن الناظم –أحمد بن محمد الجزري– على والده لجعله الغُنَّة من المخارج فيقول:((الغُنَّة من الصفات... وكان ينبغي أن يذكر عوضها مخرج النون المخفاة فإنّ مخرجها من الخيشوم وهو حرف بخلاف الغُنَّة))[٨].

---

(١) الرعاية:١٣٣.

(٢) المصدر السابق :١٨٢، ويُنظر: اللآلئ السنية:٨٥، والمنح الفكرية:٩٥.

(٣) الموضح في التجويد:٧٩.

(٤) المصدر السابق:٨١.

(٥) المنح الفكرية:٩٣، ويُنظر: إبراز المعاني من حرز الأماني:٧٥٠.

(٦) المنح الفكرية:٩٤.

(٧) النشر في القراءات العشر:٢٠١/١، والمنح الفكرية:٩٤–٩٥.

(٨) الحواشي المفهمة:١٤٠، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:١٠٧

أما القسطلاني فيرى أنَّ الغُنَّة من الصفات، ولا عمل للسان بها إذ يقول:((المخرج السابع عشر، وهو آخر المخارج للغنة وتخرج من الخيشوم وهو الأنف، وتكون في النون ولو تنويناً والميم في حالة الاخفاء، وأما ما في حكمه الادغام بغنة لا عمل للسان فيها، وهي من الصفات، ولو ذكر موضعها النون المخفاة لكان أوْلى))[١].

وشابه القاري القسطلاني، فجعل الغُنَّة من الصفات، وليست من المخارج، إذ قال: ((الغُنَّة من الصفات؛ لأنها صوت أغن، لا عمل للسان فيه، فكان اللائق ذكرها مع الصفات، لا مع مخارج الذوات))[٢]، ودليل ذلك ((وبرهان الغُنَّة: سد الأنف، ولهذا لو أمسكت الأنف لا يمكن خروجها))[٣].

فالملاحظ على نصوص القسطلاني والقاري أنَّهما كانا مدرِكيْنِ للفروق التي تتميز بها النون الخفيفة عن الغُنَّة. ويعد ما ذكره المرعشي أوضح دليل للتفرقة بينهما، حيث ميّز بين النون الخفيفة أو المخفاة (الغُنَّة)، وبين الغُنَّة، حيث قال: ((إنْ قلت: ما الفرق بين النون المخفاة وبين الغُنَّة؟ قلت: هما متحدتان ذاتاً؛ لأنّ كلّاً منهما صوت يخرج من الخيشوم، لكن ذلك الصوت في الأصل للنون والميم الساكنتين المظهرتين كما في (عَنْ)، و(لَمْ) ويسمى حينئذٍ غنة، وقد تخفى النون الساكنة، ومعناه أنْ يعدم ذاتها وتبقى صفتها التي هي الغُنَّة كما في (عنك)، وسميت الغُنَّة الباقية من النون نوناً مخفاة، وبالجملة إنّ الغُنَّة تطلق على الصوت الخارج من الخيشوم سواء قام بالحرفين المذكورين أو قام بنفسه، وفي اصطلاح أهل الأداء تختص بما قام بالحرفين المذكورين))[٤].

أما علماء الصوت المحدثون فقد أطلقوا عليه مصطلح التجويف الأنفي، وهو((تجويف يندفع الهواء من خلاله عندما ينخفض الحنك اللين فيفتح الطريق أمام الهواء الخارج من الرئتين ليمر من طريق الأنف، وهذه هي الحال عند النطق بالنون والميم العربيتين))[٥].

---

(١) اللآلئ السنية:٨٥، ولطائف الاشارات:٣٥٠.

(٢) المنح الفكرية:٩٣.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) جهد المقل:١٣٧.

(٥) علم الأصوات العام(بشر):١٤٠، ويُنظر: علم الأصوات(مالمبرج):٩٢، والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي:٤٩، والدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث:٢٨.

الفصل الثاني

صفات الأصوات عند القسطلاني والقاري

المبحث الأول: **الصفات الرئيسة (العامة)**

المبحث الثاني: **الصفات الفرعية (الخاصة)**

توطئة

إنَّ دراسة علم الصوت اللغوي لا يَقِفُ عند المخارج وحدَها، إنَّما يهتم بما يشوبُ هذه المخارج من صفاتٍ تمنحُ الصوت نغمةً مستقلةً تفصلهُ عن بقيَّة الأصوات سواءً أكان في المجاميع الصوتية أم بصوته المفرد، وما يحمله من صفاتٍ قوةً وضعفًا تُمكِّن الصوت من التناوب الوظيفيِّ عند بقيَّة الأصوات فـ((الكثير من الحروف تشارك غيرها في المخرج، فنجدُ الحرفين والثلاثة تخرجُ من مخرجٍ واحدٍ))[١]. ولتحقيق ذلك تقتضي معرفة الصفة الخاصة لكلِّ صوت، يقول براجشتراسر: ((لا يكفي لمعرفة الحرف وتميزه تحديد المخرج وحده، دون علاقة ثانية هي صفة الحرف))[٢].

إنَّ معرفة الصفات له أهميَّة كبرى ولاسيّما لدى علماء العربية وعلماء التجويّد، فالأول يهدف من دراسة المخارج والصفات لتحقيق الإدغام، يقول سيبويه: ((وإنَّما وصف لك حروف المعجم بهذه الصفات، لتعرف ما يحسن فيه الإدغام، وما يجوز فيه، وما لا يحسنُ فيه ذلك ولا يجوز فيه))[٣]. أمَّا الثاني أي علماء التجويد فكانوا بأشدِّ الحاجة لمعرفة هذه الصفات من علماء العربية؛ وذلك لأنَّهم يحرصون على الاعتناء بالنطق السليم للقرآن الكريم وإعطاء الصوت صفته ومستحقَّه[٤].

الصفة مفهومها وفوائدها

الصفة لغةً: اسمٌ مِنْ وصَفَ الشَّيءَ يَصِفُهُ، إذا ذكره بحليتِهِ ونعتِهِ، والمصدر وَصْف وَصفِه، وقيل: الوَصفُ المصدر، والصفة الحِلية؛ أي: الاسم [٥]. قال القسطلاني: ((الصفات جمع صفة، وهي لفظ يدلُّ على معنىً في موصوفهِ، أمّا باعتبار محلِّه أو باعتبار نفسه. فالأوّل كحروف الحلق والثاني كالجهر والهمس))[٦]. ويدلُّ هذا المفهوم الذي قدَّمه

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٩٥.

(٢) التطور النحوي: ١٣.

(٣) الكتاب: ٤٣٦/٤. وينظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد: ٩٧.

(٤) ينظر: المصطلح الصوتي عند ابن سينا: ٤٨.

(٥) ينظر: العين: ١٦٢/٧، والشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: ٤٢.

(٦) اللآلئ السنية: ٢١، ٨٦. لطائف الإشارات: ٣٥٢.

القسطلاني عن الصفات أنَّه كان متنبّهًا لحقيقتها فميّزها باعتبار المحل (المخرج) الذي من أجله توجد الصفات، وباعتبار النفس بوصفه نتاجاً تكيفه أداء النطق.

أما علي القاري فعرَّفها من الجانب اللغوي فقال: ((الصفة ما قام بالشيء من المعاني كالعلم والسواد))[١]. ويذكر القاري أنَّ الاسم لا يكون صفة، لكنَّ الأخير يرد اسمًا وهو الشائع في العربية، إذ يقول: ((قد تطلق الصفة ويراد بها النعت النحوي، والمراد بها هاهنا عوارض تعرض للأصوات الواقعة في الحروف من الجهر والرخاوة والهمس والشدَّة وأمثال ذلك))[٢].

وقد تابع في هذا الوصف ما ذهب إليه طاش كبرى زادة (ت-٩٦٨هـ) في تعريفهِ للصفات بأنَّها عوارض[٣]. والعوارض من عَرَض ومعناه الظهور والبروز، قال الجوهري: ((عَرَض لهُ أمرُ كذا يعرض، أي ظهر، وعرضت له الشيء، أي أظهرته لهُ وأبرزته إليه))[٤]. وإذا كان العرض كلّ ما ظهر أو برز ((فإنَّ هذا يعني أنَّ الأمور التي تمتاز بها الأشياء من غيرِها تُسمَّى أعراضًا، ولمّا كان التمايُز سمة الأعراض فهذا يعني أنَّها لا تفترق عن مفهومِ الصفةِ التي ينماز بها صوت من صوت حال نطقهِ))[٥].

فالنصوص المتقدِّمة توضّح أهميَّة الصفة؛ لِمَا لها من دورٍ في تمييز الأصوات المشتركة حتى ((داخل المجموعة الواحدة؛ فبها يفرق بين أصوات المخرج الواحد (ط، د، ت)، (ظ، ذ، ت)، (ص، ز، س) وغيرها مما يشابهها))[٦]. إذ ينقل مكي عن المازني نصًا يبيِّن فيه دور الصفة في تمييز الأصوات عن بعضها قائلاً: ((قال المازني[٧]: إنَّ الذي فصل بين الحروف التي أُلِفَ منها الكلام سبعة أشياء: الجهر، والهمس، والشدَّةُ والإرخاء، والإطباق، والمدّ، واللين، قال: لأنَّك إذا جهرتَ، أو همستَ، أو أطبقتَ، أو شَدَّدتَ، أو مددت، او ليَّنتَ، اختلفت أصوات الحروف التي من مخرج واحد. قال: فعند ذلك يأتلف

---

(١) المنح الفكرية: ٩٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: شرح المقدمة الجزرية (طاش كبرى): ٨٧. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ١٩٥.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٠٨٢/٣.

(٥) الأصوات المفردة عند أبي حيان الأندلسي في ضوء الدراسات القديمة والحديثة: ٥٢.

(٦) منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات وأثرهما في كتب أهل الأداء: ٨١.

(٧) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقيَّة، أبو عثمان المازني(ت٢٤٩هـ)، من مازن شيبان ،من أهل البصرة.الأعلام:٦٩/٢.

الكلام، ويُفهم المراد. قال: ولو كانت المخارج واحدة، والصفات واحدة، لكان الكلام بمنزلة أصوات البهائم))[١]. قال الرمّاني(ت ـ٣٨٤هـ)[٢]: ((لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً؛ لأنَّه ليس بينهما فرق إلّا الإطباق، ولصارت الظاء ذالاً، ولصارت الصاد سينًا، فسبحان من دقة كل شيء حكمته))[٣].

وللصفة أيضاً أثرٌ كبيرٌ في معرفةِ قوة الحرف إذا ما اجتمعت مع حرفٍ آخر؛ لتبيين ما يجوز إدغامه وما لا يجوز؛ لأنَّ أي صوت يحمل صفة القوة يمتنع إدغامه مع غيره حتى لا تذهب صفتهِ هذه[٤]. ولم يختلف القسطلاني والقاري مع ما ذكره علماء العربية وعلماء التجويد بشأن الصفة وأهميتها في تمييز الأصوات إذ يقول القسطلاني: ((وفائدتها تمييز الحروف المشاركة في المخرج؛ لأنَّ المخرج للحرف كالميزان يعرف الكمية والصفة كالناقد يعرف بها الكيفية – الهيئة))[٥].

وهناك من يحتج في قدرة الله عن طريق الصفات، فيروي لنا القاري نصًّا يقول فيه إنّ ((الإمام أبا حنيفة (رحمهُ الله تعالى) ناظر معتزليًا فقال له: قل ((با)) فقال: ((با))، ثمَّ قال: قل ((حا))، فقال: ((حا))، فقال له: بيِّن مخرجهما، فبيَّنهما، فقال: إنْ كنت خالق فعلك فاخرج الباء من مخرج الحاء، فبهت المعتزلي))[٦].

أُسس تصنيف الصفات: على الرغم من الجهود التي بذلها علماء العربية في دراسة الصفات وفائدتها، إلّا أنَّهم لم يهتموا بتوضيح التقابل بين الصفات كاهتمامهم بعددها، فلم يكن في حديث سيبويه عن صفات الأصوات شيء في أسس تصنيفها[٧].

تعدُّ محاولة ابن جني مقدمة في التفريق بين الصفات التي لها ضدّ من غيرها –أي التي ليس لها ضدّ– وذلك عندما قسَّم صفات الحروف إلى ثنائيات إذ ذكر ثنائية ((الجهر

---

(١) الرعاية: ٨٠.

(٢) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ،أبو الحسن الرماني، ولد سنة (٢٩٦هـ)و(ت٣٨٤هـ)،الأعلام:٣١٧/٤.

(٣) المنح الفكرية:٩٦ـ ٩٧. وينظر: الممتع في التصريف: ٦٧٤/٢.

(٤) ينظر: منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات وأثرهما في كتب أهل الأداء: ٨٢.

(٥) اللآلئ السنية: ٨٦، وينظر: المنح الفكرية: ٩٦.

(٦) المنح الفكرية: ٩٧.

(٧) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويّد، إبراهيم نعمة(اطروحة دكتوراه): ١١٧.

والهمس))، و((الشدة والرخاوة))، و((الإطباق والانفتاح))، و((الاستعلاء والانخفاض))، و...الخ[١].

وكان لعلماء التجويّد فضل في تقسيم الصفات، إذ كانت نظرتهم إلى صفات الأصوات نظرة تقديم أسس شاملة لتصنيف الأصوات التي تنضوي تحتها التقسمات الفرعية، فصنفوا صفات الأصوات إلى صفات مميزة وصفات مُحسنة[٢]. وقسمها بعضهم على ذاتية وعرضية[٣]. فالذاتية ((الجهر والهمس))، و((الشدة والرخاوة))، والعرضية التي تلحق الأصوات من جراء التركيب كالترقيق والمدّ والقصر[٤]. فضلاً عن تقسيمات أُخر، كتقسيمها على صفات قوية وضعيفة، وأخرى متوسطة بينهما، ويقسمون الحروف بقدر ما فيها من صفات القوة والضعف إلى قوية وضعيفة ومتوسطة[٥]. والأشهر تقسيمها على صفات لها ضدّ وصفات ليس لها ضدّ[٦]. وهو من أشهر التصنيفات والمعتمد عليه لدى علماء التجويّد المتأخرين.

أما عددها فهي في خلاف عند علماء العربية ، فسيبويه ذكرها عند (باب الإدغام)، وحدد سبع عشرة صفة، تناوب عليها العلماء من بعده تقصيراً وتطويلاً، فكانت على مذاهب:

المذهب الأول: هو مذهب مكي بن أبي طالب القيسي، إذ ذكر في كتابه الرعاية أنَّ عدد الصفات أربع وأربعون صفةً، قال: ((لم أزل أتَتَبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها، حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقبًا، صفات لها وصفت بذلك على معان لعلل ظاهرة فيها))[٧].

المذهب الثاني: مذهب أبي عمرو الداني، الذي جعل الصفات ست عشرة صفةً، ونجد هذا في قوله: ((اعلموا أنَّ أصناف هذه الحروف التي تتميّز بها بعد خروجها من مواضعها التي

---

(١) يُنظر: سر صناعة الإعراب: ٧٥/١، والخلاف الصوتي عند علماء التجويّد: ١١٧.

(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد:١٩٨.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: ٣٥٣ – ٣٥٦،والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٢٠٣.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٠٣.

(٥) ينظر: الرعاية: ٥٧ – ٥٩. وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٠٣،والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها:١٣٧.

(٦) ينظر: شرح طيبة النشر(محمد الجزري): ٣١، ٣١. والحواشي المفهمة: ١٤٣. الدقائق المحكمة في شرح المقدمة:٣١.

(٧) الرعاية: ٥٧.

بيَّناها ستة عشر صنفًا))[١]. ويرى بعض علماء التجويّد أنَّ سبع عشرة صفة ((كافية لمن أراد تحصيل علم التجويّد وإتقان التلاوة))[٢].

المذهب الثالث: مذهب ابن الجزري، والصفات عنده ثماني عشرة صفةً[٣]. وهو المذهب المشهور والمعتمد عليه لدى من جاء بعده، ولاسيَّما شرّاح المقدمة الجزرية[٤]. وذكر بعضهم أنَّ الصفات عند ابن الجزري سبع عشرة صفة[٥]. وهو غير صحيح، والأصحّ ما ذكرناه أولاً.

المذهب الرابع: وهو مذهب البركوي، وفيه جعل الصفات أربع عشرة وانفرد بهذا الرأي وحده[٦].

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥.

(٢) إبراز المعاني: ٧٥٥، نقلاً عن الخلاف الصوتي عند علماء التجوّيد: ١١٤.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر:١/ ٢٠٢ – ٢٠٥، والوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم: ٧٩.

(٤) ينظر: شرح طيبة النشر: ٣١، ٣١. والحواشي المفهمة في شرح المقدمة : ١٤٢ – ١٤٣.

(٥) ينظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة: ٣١. والهادي شرح طيبة النشر: ٩٣/١. وفتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية: ٣٧/١. والقول السديد في علم التجويد: ١٦٠.

(٦) يُنظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويّد: ١١٦. والقول السديد في علم التجويد: ١٦١.

المبحث الأول: الصفات الرئيسة

سميت هذه الصفات بالمميزة وتنحصر في (الجهر والهمس، والشدَّة والرخاوة والتوسط بينهما، والإطباق والانفتاح، والتفخيم والترقيق، والاستعلاء والاستفال، والذلاقة ولإصمات)، وتعد هذه الصفات محلّ خلاف بين علماء التجويّد من حيث عددها، فمنهم من عدَّها أربعاً لها ضدّ، فتكون ثماني بعد إسقاطهم الذلاقة والإصمات، وهو ما فعله سيبويه[١]. وتبعه بعض علماء التجويّد من المتقدمين في ذلك[٢].

وعدَّها بعضهم الآخر خمس صفات بإدخالهم الذلاقة والإصمات فتكون بذلك عشرة[٣]، وهو ما سار عليه علماء بحثنا –القسطلاني والقاري– وسوف نبيِّن هذا فيما يأتي:

أولاً: الجهر والهمس:

الجهر لغة: هو الإعلان والارتفاع[٤]. وأما في **الاصطلاح** فهو: ((الصوت الذي يهتز معه الوتران الصوتيان))[٥]، وهذا المصطلح يختلف عما ذكره القدماء في اعتمادهم على النفس والصوت في تحديده. قال القسطلاني: ((الجهر لغة :الإعلان وشدَّة الصوت وسميت بذلك لمنع النفس أن يجري معها))[٦].

إنَّ الناظر في هذا النص يلاحظ أنَّ القسطلاني قد جمع بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، إلّا أنَّه لم يذكر المعنى الاصطلاحي نصًا، وأشار إليه في معرض حديثه عن سبب التسمية، وقد كان مفهومه قريباً جداً من مفهوم سيبويه في أنَّه: ((حرف أشبع الاعتماد في موضعهِ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت))[٧].

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤ – ٤٣٦.

(٢) ينظر: التحديد: ١٠٥.

(٣) ينظر: القول السديد:١٦١،والميزان في أحكام تجويد القرآن:٦٩.

(٤) ينظر: العين:٣/٣٨٨– ٣٨٩ ، والضاد في النظام الصوتي العربي مع دراسة كتب الفروق: ٢٥.

(٥)الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٢.

(٦) اللآلئ السنية: ٨٨.

(٧) الكتاب: ٤/٤٣٤.

فجعل النفس هو المعيار الأساس الذي يحكم به لتحديد الصوت المجهور من المهموس كما فعل سيبويه[١]. غير أنَّه زاد (شدة الصوت)، وكما معروف في اللغة الشدة هي القوة[٢].

فهذا يعني أنَّ الجهر من أهمِّ صفاته القوة، وهذا الوصف يطابق ما جاء به مكي بن أبي طالب القيسي في تعريفه للجهر بأنَّه: ((حرف قوي الاعتماد عليه،...، في موضع خروجه، وإنَّما لقب هذا المعنى بالجهر؛ لأنَّ الجهر الصوت الشديد القوي))[٣]. وكذلك تابعه أبو عمرو الداني، وعبد الوهاب القرطبي في استعماله للفظة الإعلان للتعبير عن الجهر[٤].

يبدو مما تقدَّم أنَّ القسطلاني كان مدركاً لأثر هذه الأصوات في السمع، من حيث وصفه للجهر بالقوي الشديد الذي يترتب عليه الإعلان. وأمّا القاري فلم يختلف مع سابقيه من العلماء في مفهومه للجهر، إلّا أنَّه لمذهب مكي أقرب من غيره؛ وذلك باستعماله القوّة والشدَّة أيضًا مع الجمهور، حيث قال: ((الجهر: الصوت القوي الشديد، وسميت مجهورة لمنع النفس وحصره أن يجري معها لقوتها وقوة الاعتماد عليها عند خروجها))[٥]. لكن القوة لا تعد إضافة للوصول إلى معرفة الجهر؛ لأنَّ القوة لا تختص بالمجهور فقط، فالأصوات الشديدة أيضاً توصف بالقوة[٦]. ولذا جاء القاري بمفهوم أكثر وضوحًا وأوسع فهمًا للجهر يقول فيه: ((إنَّ النفس الخارج الذي هو صفة حرفٍ إنْ تكيَّف بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان الحرف مجهورًا، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان ذلك الحرف مهموسًا))[٧].

---

(١) ينظر: الأصوات العربية بين التحول والثبات: ٢٧.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦٠٥/٧ .

(٣) الرعاية: ٥٨، وينظر: لطائف الإشارات: ٣٥٤.

(٤) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥، والموضح في التجويّد: ٨٨،والخلاف الصوتي عند علماء التجويد:١٢٧.

(٥) المنح الفكرية: ٩٨، ويُنظر: الرعاية: ٥٨.

(٦) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٩٢.

(٧) المنح الفكرية: ٩٩.

فهذا النص يظهر أنَّ قوة الصوت، ترجع إلى تكيّف النَّفَس كله، أو عدم تكيّفه بكيفية الصوت الخارج (الحرف)، وهنا يتفق القاري في تعريفه مع ما قاله أحمد بن مصطفى الملقب بـ((طاش كبرى زادة)) في تعريفه للصوت المجهور[١].

ونلاحظ على نص القاري أيضًا أنَّه يتفق ويقترب من نص سيبويه الذي ذكره السيرافي عن الأخفش، في التوصل إلى الفرق بين المجهور والمهموس إذ قال: ((سألت سيبويه عن الفصل بين المهموس والمجهور، فقال: المهوس إذا أخفيته، ثم كررته، أمكنك ذلك، وأما المجهور، فلا يمكنك ذلك فيه، ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى، فقال: "ألا ترى كيف يمكن وكرر الطاء والدال، وهما من مخرج التاء فلم يمكن"))[٢].فطريقة القاري وطريقة سيبويه تتفقان على أنَّ الصوت القوي المجهور لا يقع ولا يمكن حدوثه عند إخفاء الصوت به.

ويعقب المرعشي على نصّ القاري في التفريق بين الجهر والهمس، فيقول:((هذا الفرق إنَّما يتحقق في القراءة جهرًا، فالمراد من الصوت القوي الجهر، وقوله: (بلا صوت) يعني بلا صوت جهري [يجري] مع مبدأ الحرف))[٣].

ويكاد هذا النص الذي قدَّمه القاري يقترب من التعريف الكامل للمجهور والمهموس الذي نجده عند المحدثين، فتفسيره لكلمة (الصوت) تعني (الصوت المجهور) أي النغمة المتولدة من ذبذبة الوترين الصوتيين، إذًا فالمجهور سوف يكون الحرف (الصوت) الذي يصاحب نطقه اهتزاز الوترين الصوتيين، وما يترتب على ذلك من نغمة صوتية [٤].

فالمحدثون بسبب امتلاكهم مختبرات صوتية حديثة وأجهزة تشريح متطورة مكنتهم من معرفة ما في الحنجرة من غضاريف وأوتار، ومنها الوتران الصوتيان اللذان هما رباطان مرنان يعترضان الحنجرة أفقيًا، ولهما وضع خاص مع كل صوت، فقد يبتعدان ويسمحان للهواء بالمرور ،حال نطق الأصوات المهموسة، ...، أو يقتربان حال النطق بالأصوات

(١) ينظر: شرح المقدمة الجزرية: ٩٠.

(٢) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ١١٤، وأصوات العربية بين التحول والثبات:٢٧. وينظر: التعليل الصوتي عند في ضوء علم الصوت الحديث:١٠٣.

(٣) جهد المقل: ١٤٢ – ١٤٣.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ١١٩ – ١٢٠، وشرح المقدمة الجزرية (الشرح الكبير) يجمع بين التراث الصوتي العربي القديم والدرس الصوتي الحديث:٢٨٧ ، ٢٩١ .

المجهورة، بحيث يتذبذب الوتران، ويصدران نغمات مختلفة، والتي تكون صفة الجهر في الأصوات المجهورة [١].

والأصوات المجهورة عند القسطلاني، كما هي عند سابقيه من العلماء[٢] تسعة عشر حرفًا هي: ((الظاء، والام، والقاف، والياء، والدال، والباء، والطاء، والعين، والميم، والراء، والزاي، والضاد، والألف، والواو، والهمزة، والذال، والنون، والغين، والجيم، ويجمعها: ظل قيد بطعم رزقنا وإذا نعج))[٣].وهي ذاتها لدى القاري، غير أنَّهُ لم ينص عليها صراحةً، وإنَّما نستنتج ذلك من ذكره لضدها –المهموسة– حيث قال: ((وضدها المجهورة))[٤].

أما **الهمس في اللغة** فهو ((حس الصوت في الفم))[٥]، أو ((الصوت الخفي))[٦].

وفي **الاصطلاح** هو: ((الصوت الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق))[٧]. وقد ربط القسطلاني بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للهمس، فذكر أنَّ الهمس: ((لغة: الخفاء، وسميت مهموسة؛ لجريان النفس معها، ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها))[٨]. فوصف القسطلاني للصوت المهموس بالخفاء، هو وصف سبقه فيه كل من مكي بن أبي طالب القيسي[٩] ، وأبي عمرو الداني[١٠].

وأمّا من حيث الاصطلاح فنجد القسطلاني قد تمسَّك بتحديد سيبويه للصوت المهموس عند قوله: ((حرف أُضْعِفَ الاعتمادُ في موضعِه حتى جرى النَّفَسُ معه))[١١]. غير أنَّه زاد عليه بوصفه لهذه الحروف وما تحمله من قوة وضعف، فيرى أنَّ أقوى الحروف

---

(١) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٨٩، وينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٠، ٢٢، وعلم الأصوات اللغوية: ٤٧،وشرح المقدمة الجزرية(غانم قدوري):٢٨٧،والخلاف الصوتي عند علماء التجويد:١٣٠ـ١٣١.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٣) اللآلئ السنية: ٨٧.

(٤) المنح الفكرية: ٩٨.

(٥) العين: ٤/١٠.

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٣/٩٩١، والمحكم والمحيط الأعظم: ٤/٢٢٥.

(٧) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٣، وعلم الأصوات(بشر: ١٧٤.

(٨) اللآلئ السنية: ٢١، ٨٧.

(٩) يُنظر: الرعاية:٥٧ –٥٨.

(١٠) يُنظر: التحديد في الاتقان والتجويد: ١٠٥.

(١١) الكتاب: ٤/٤٣٤.

همساً هي الصاد والخاء[١]. وهذا ما نجده عند مكي في قوله: ((فالصاد والخاء أقوى من غيرهما؛ للإطباق والاستعلاء والصفير الذي في الصاد، والاستعلاء في الخاء))[٢]. وعند ابن الجزري[٣]. ومن جاء بعده[٤].

أما علي القاري فلم تختلف نظرته (للهمس) عن سابقيه من علماء العربية وعلماء التجويد فقد سار على هديهم في جعلهم المهموس (خفيّاً)، فقال: ((الهمس في اللغة: الخفاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٥]. والمراد به حس مشي الأقدام، ...، وسميت مهموسة لجريان النَّفَسِ معها لضعفها ولضعف الاعتماد عليها عند خروجها))[٦].

كما اتفق القاري مع سيبويه في رؤيتهِ للمهموس بأنَّه نفس يخرج من الفم وليس من الصدر[٧]. فيقول: ((إنَّ الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج ذلك بدفع الطبع يسمى نفسًا، وإن خرج بالإرادة وعرض له تموّجٌ بتصادم جسمين يسمى صوتًا))[٨].

أما المحدثون فقد وضعوا طريقة تكاد تقترب كثيرًا من نصّ القاري في التمييز بين المجهور والمهموس، وتنصّ على((ثلاث مراحل، الأولى: إخفاء صوت الحرف إلى أدنى ما يمكن، والثانية: تكرار الصوت بالحرف، والثالثة: فهي إجراء النفس مع الإخفاء والتكرار، فإذا سمع الصوت الذي يلفظ وحده بوضوح وبصوت مرتفع، ولم تؤدِّ التجربة إلى تحول صوت الحرف، فالحرف مهموس، أمّا إذا تحوّل صوت الحرف إلى صوت آخر فهو مجهور، ويذكر أنَّك لو جربت ذلك مع الثاء، لوجدتها ثاء كما هي، ولو جربت ذلك مع الذال لسمعتهما ثاءً أيضًا لا ذالًا)) [٩].

---

(١) يُنظر: اللآلئ السنية: ٨٧.

(٢) الرعاية: ٥٨.

(٣) ينظر: شرح طيبة النشر: ٣١.

(٤) ينظر: الحواشي المفهمة: ١٤٣.

(٥) طه/١٠٨.

(٦) المنح الفكرية: ٩٨.

(٧) يُنظر: الكتاب: ٤/٤٣٤، والمنح الفكرية: ٩٨.

(٨) المنح الفكرية: ٩٨.

(٩) البحث الصوتي في شروح المفصل: ٧٤، وينظر: الأصوات العربية بين التحول والثبات: ٢٧ – ٢٨، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٠٥ – ١٠٦.

والأصوات المهموسة لدى القسطلاني هي ذاتها عند القاري ولم يختلفا فيها، وتكون على عشرة أحرف هي: ((الفاء، والحاء، والثاء، والهاء، والشين، والخاء، والصاد، والسين، والكاف، والتاء)) [١]. باتفاق جلّ العلماء[٢].

وتجتمع هذهِ الحروف في كلمة مركّبة، بغض النظر عمّا إذا كانت تُمثّل معنى أم لا، وتتمثّل بعبارة (فحثه شخص سكت). وجمعها بعضهم في (حثت كسف شخصه)، وبعضهم في (سحثته كف شخص) ، وابن الحاجب في (ستشحثك خصفه)[٣]، واتّبعوا في طريقتهم هذهِ ابن جني(ت ـ٣٩٢هـ) حيث برزت هذه الظاهرة –عملية تجميع الحروف– في عهدهِ، حيث ذكرها بعد أن ذكر حروف الهمس فقال: ((ويجمعها قولك ستشحثك خصفه))[٤].

وكان المحدثون قد اختلفوا مع القدماء في تحديدهم لعدد الأصوات المهموسة فجعلوها (اثنا عشر) صوتًا[٥]، إذ زادوا على هذهِ الأصوات ثلاثة أصوات أُخر، هي ((القاف)) و((الطاء)) و((الهمزة)) عند من يراها مهموسة[٦]. في حين وصف القدماء هذه الأصوات بالجهرِ [٧].

مشكلة الهمزة :

يُعدّ صوت الهمزة محل خلاف بين القدماء والمحدثين، فقد عدَّها علماء اللغة القدماء بانَّها صوت مجهور[٨]. وتابع القسطلاني والملا علي القاري القدماء في هذا، فعدّوها صوتًا مجهورًا[٩].

أمّا المحدثون فانقسموا في الحكم عليها على قسمين، منهم من يرى بأنَّها صوت مهموس؛ نتيجة لإقفال الوترين الصوتيين حال النطق بها، والذي يمنع من حدوث الجهر في

---

(١) اللآلئ السنية: ٨٧. والمنح الفكرية: ٩٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤، والرعاية: ٥٧، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥.

(٣) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٢٥٩/٣ واللآلئ السنية: ٨٧.

(٤) سر صناعة الإعراب: ٧٥/١، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٠٥.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٣

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة العربية: ١٢٤، ودروس في علم أصوات العربية:٣٥.

(٧) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/٤.

(٨) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها: ٤٣٤/٤، سر صناعة الإعراب: ٨٣/١، شرح المفصل: ٥٢٢/١.

(٩) ينظر: اللآلئ السنية: ٨٧. والمنح الفكرية: ٩٧ – ٩٩.

هذا الصوت[١]. ويرى القسم الآخر بأنَّها صوت ليست بالمجهور ولا بالمهموس؛ ((لأنَّ فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقًا تامًّا، فلا نسمع لهذا ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلّا حين تنفرج فتحة المزمار ذلك الانفراج الفجائي الذي يُنتج الهمزة))[٢].

واتجه قسم من المحدثين إلى البحث والتعليل في السبب الذي جعل القدماء يصفون الهمزة بالجهر، فقال بعضهم أنَّ السبب يرجع إلى الطريقة التي كان القدماء ينطقون بها الهمزة، إذ كانوا ينطقونها متبوعة بحركة؛ والحركة مجهورة، فأثّر جهر ذلك على نطق الهمزة، حتى نسبوا جهرها للهمزة نفسها [٣].

((وحمل بعضهم الآخر على أنَّهم وصفوا الهمزة مسهلة، وهي حينئذٍ أشبه بحروف اللين التي هي أصوات مجهورة))[٤]. ويُستبعد هذا الرأي لما فيه من التوهم لأنَّ؛ القدماء كانوا يميزون بين الهمزة المحققة والهمزة المسهلة، فسيبويه يقول: ((اعلم أنَّ الهمزة تكون فيها ثلاثة أشياء: التحقيق والتخفيف والبدل. فالتخفيف قولك: قرأتُ ورأس وأشباه ذلك، وأمّا التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين وتبدل وتحذف))[٥]. فسيبويه ((لم يغفل الحديث عن الهمزة المحققة، ويبني على هذا أنَّ حديثه وحديث القدماء من بعده لا يعني بالضرورة أنَّهم وصفوا الهمزة المسهلة بين بين))[٦].

وجاء الدكتور غانم قدوري بوجهة نظر يمكن عن طريقها حلّ هذا الخلاف، فقال: ((إذا حاولنا اختبار موضع الهمزة على حسب طريقة علماء العربية في إدخال همزة الوصل على الحرف والنطق به ساكنًا فإننا نجد حينئذٍ سلسلة صوتية تتكون من (همزة + حركة + همزة) = (إءْ)، وهذه السلسة الصوتية حين ننطق بها مستقلة ستبدأ عملية التصويت بها بفتح الوترين بعد ضغط الهواء خلفهما، ثم تذبذب الوترين لإنتاج صوت الحركة، سواء أكانت

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، سمير شريف: ١٠٧، ودروس في علم الأصوات اللغوية: ٢٥، واللغة العربية معناها ومبناها:٧٩.

(٢) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٨٧. وينظر: مناهج البحث في اللغة: ٩٥، ٩٧.

(٣) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ: ١٥٩ – ١٦١، وعلم الأصوات عند سيبويه وعندنا، أ. شادة، صحيفة الجامعة المصرية: ١٤، والدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٠٧.

(٤) الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٠٧. وينظر: مناهج البحث في اللغة: ٩٧.

(٥) الكتاب: ٥٤١/٣.

(٦) التفكير الصوتي عند مكي: ١١٢.

فتحة أم كسرة أم ضمة، ثم يعقب ذلك تضام الوترين مرة أخرى ثم انفراجهما بعد ذلك بهدوء، ومن هنا نلاحظ طغيان ذبذبة الوترين الصوتيين على الأحداث الصوتية الأخرى في عملية الأختبار، وربما كانت مثل هذهِ الحالة مصدر وصف الهمزة بأنها صوت مجهور، ولكن الهمزة المجردة غير المسهلة نفتقد معها ذبذبة الوترين التي هي مصدر الجهر))[١]، وهنا توصف بالهمس.

مشكلة الطاء:

الخلاف في صوت الطاء، يكون في أنَّه صوت مجهور عند علماء العربية القدماء، وعلماء التجويد[٢]. وهو كذلك عند علماء بحثنا إذ وافقا القدماء في عدّه من الأصوات المجهورة[٣]، في حين عدها المحدثون صوتاً مهموسا[٤]. وذهب الملا علي القاري مع هذا الرأي فذكر أن بعضهم يخرج الضاد طاء مهملة كالمصريين [٥]. وهو ما أكده الدكتور إبراهيم أنيس إنه يشبه الضاد التي نعرفها الآن والتي ينطقها المصريون[٦].

وهذا الكلام يقودنا إلى ما ذكره سيبويه في قوله: ((لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سينًا، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد من الكلام؛ لأنَّه ليس شيءٌ في موضعها غيرها))[٧].

فهذا النصّ يدل بصريح العبارة على أنَّ ((الطاء العربية هي النظير المطبق للدال، وإنه إذا أزيل الإطباق عنها صارت دالاً، وهذا الوصف ينطبق على الضاد التي ينطقها الناس في مصر. فهي النظير المطبق للدال، وهذا يعني تحولاً حصل في نطق الطاء والضاد معًا؛ لأن الطاء اليوم إذا أزيل عنها الإطباق صارت تاء؛ لأنها مهموسة، وليس بينها

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٠٧.

(٢) ينظر : الكتاب :٤/٤٣٤، سر صناعه الإعراب: ١/٢٩٩ الرعاية: ٥٨، التحديد في الإتقان والتجويد : ١٠٥.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية : ٨٧، المنح الفكرية :٩٨ــ٩٩.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): ٦٢.

(٥) يُنظر: المنح الفكرية:١٧٨ .

(٦) ينظر: الاصوات اللغوية:٦٢.

(٧) الكتاب: ٤/٤٣٦، وينظر: سر صناعه الإعراب: ١/٧٦.

وبين التاء من فرق سوى الإطباق. وأمَّا الضاد العربية إذا أزيل،... عنها الإطباق صارت دالاً)) [١].

النصوص المتقدمة تثبت أن الخلاف الحاصل في الجهر والهمس في اكتساب الطاء صفة الهمس نتيجة لتغير هذا الصوت على ألسنة الناطقين[٢].

مشكلة القاف:

أصاب صوت القاف ما أصاب صوت الهمزة والطاء من تطور صوتي، إذ حولها من صفة الجهر التي وسهما بها القدماء[٣] إلى صفه الهمس كما ذكر المحدثون[٤]. وهو صوت مجهور عند القسطلاني والقاري[٥].

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ الاختلاف الحاصل في صوت القاف، يعود إلى نطق القدماء للقاف القديمة نطقًا يقترب كثيراً من الجيم القاهرية التي تنطق لليوم[٦]. و((ربما كانوا يتكلمون عن قاف تختلف عن قافنا الحاضرة. ليس من البعيد أنهم يقصدون بالقاف ذلك الصوت الذي تمكن تسمية "بالجاف" أو ما يشبه الكاف الفارسية. وهو ذلك الصوت الذي نسمعه في بعض جهات الصعيد... وهو شبيه بالجيم القاهرية، أو هي من حيث الأثر السمعي)) [٧].

وهنالك رأي آخر للقاف يتمثل في ((وصف القدماء لهذا الصوت أنه ربما كان يشبه تلك القاف المجهورة التي نسمعها الآن بين القبائل العربية في السودان وبعض القبائل في جنوب العراق، فهم ينطقون بها نطقاً يخالف نطقها في معظم اللهجات العربية الحديثة، وإذ نسمعها منهم نوعاً من "الغين")) [٨].

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد :٢٠٨.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٦٣,٦٢، ٨٢،وعلم الاصوات، كمال بشر : ١٧٤.

(٣) ينظر :الكتاب :٤/٤٣٤،سر صناعة الإعراب:١/٧٥.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٨٢، وعلم الأصوات(كمال بشر):١٧٤.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية :٨٧،المنح الفكرية :٩٨

(٦) ينظر:الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس) :٨٢.

(٧) علم الأصوات(كمال بشر) :٢٧٨- ٢٧٩.

(٨) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس) :٨٢.

ورفض الدكتور غانم قدوري الحمد هذه الاحتمالات مستنداً في قوله على ما ذكره سيبويه في تحديده لمخرج القاف، إذ جعل القاف من نقطة أعمق من التي تخرج منها الكاف[١]. ثم يذكر أنَّه ((من غير المحتمل أن يغيب عن سيبويه أن (الكاف المجهورة) تخرج من موضع الكاف العربية المهموسة نفسه، ولو أنَّه أراد بالقاف حين وصفها بالجهر (الكاف المجهورة) لجعلهما من مخرج واحد على نحو ما فعل بعدد من الأصوات مثل :(ع ح، غ خ، ط د ت، ص ز س، ظ ذ ث) فكونه فرَّق بين مخرج القاف ومخرج الكاف ينفي هذا الاحتمال)) [٢].

أمَّا في نطق القاف غيناً فيشير الدكتور غانم قدوري الحمد إلى أنَّه ((من غير المعقول أنْ يغيب عن نظر علماء العربية وعلماء التجويد ذلك القرب الشديد بين نطق القاف ونطق الغين ولو أن سيبويه حين وصف القاف بأنها صوت مجهور أراد صوتاً يشبه ألغين لما وصف القاف بأنها صوت شديد)) [٣]. فالغين صوت رخو بإجماع أكثر العلماء[٤].

يشير الدكتور حسام النعيمي إلى أن صوت القاف لم يدخله أي تغيير، ودليل ذلك اتفاق جميع قُراء القرآن الكريم على نطقه في صورة واحدة بالفصيح وعدم تحوله[٥]. وهذا ما توصل إليه القسطلاني والقاري من قبل.

ثانياً: الشدَّة والرخاوة وما بينهما:

الشدة في **اللغة:** الصلابة والقوة[٦]. وفي **الاصطلاح** : ((هو أن يحبس الهواء الخارج من الرئتين حَبْسًا تامًا في موضعٍ من المواضع، وينتجُ عن هذا الحَبْس أو الوَقْف أن يضْغَطَ الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء، مُحدِثًا صوتًا انفجاريًا))[٧].

---

(١) ينظر: الكتاب :٤/٤٣٣، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٥.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٥، ينظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد : ١١٤.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢١٧.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤، الأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي: ٩١.

(٥) ينظر: الأصوات العربية بين التحول والثبات:٢٩ــ٣٠.

(٦) ينظر: العين: ٦/٢١٣ ، وتهذيب اللغة: ١١/١٨٢ – ١٨٣.

(٧) علم الأصوات(بشر): ٢٤٧.

تناول علماء العربية هذه الصفات بالشرح والتحليل، واعتمدوا في تصنيفهم لها على كيفية مرور الهواء في مخرج الحرف ((فإذا حُبسَ النفس في مخرج الحرف حبسًا تامًا ثم أُطلقَ بعد ضغطهِ لحظة كان الصوت شديدًا(انفجارياً)، وإذا حصل تضييق لمجرى النفس في مخرج الحرف دون أن يحتبس كان الصوت رخوًا(احتكاكياً). وبعض الأصوات يحصل في أثناء النطق به اعتراض لمجرى النفس في مخرجه، ولكن من غير أن يحص حبس تام، لأنَّ النفس يجد له منفذًا يتسرب منهُ، ويسمى الصوت حينئذٍ متوسطًا))[١]. وتوصل المحدثون إلى هذه المفاهيم وتشابهوا مع القدماء فيها[٢].

لم يشر القسطلاني إلى مفهوم الشدة في كتابه اللآلئ السنية، وإنَّما اكتفى بذكر حروف الشدة بقوله: ((شديدها لفظ أجد قط بكت))[٣]. ولكنه أشار إليها في كتابه (لطائف الإشارات) عند حديثه عن سبب تسميتها فقال: وسميت بالشديدة ((لأنَّه اشتدَّ لزومها لموضعها، وقويت فيه حتى حبس الصوت عند لفظها أنْ يجري معها، لقوة الاعتماد عليها))[٤].

الملاحظ على نصّ القسطلاني أنَّه اعتمد على حبس الصوت وعدم جريانه في وصفه لهذه الصفات، وهو في ذلك يتفق مع سيبويه حين عرَّف الشِدَّة في قولهِ: ((هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه))[٥]. إلّا أنَّه زاد عليه عبارة (اشتدَّ لزومها لموضعها)، وبهذه العبارة يكون موافقاً لما ذهب إليه علماء التجويّد بمفهومهم للأصوات الشديدة، فوصف مكي الصوت الشديد بأنَّه ((حرف اشتدَّ لزومه لموضعه، وقوي به حتى منع الصوت أنْ يجري معه عند اللفظ به))[٦]. وهذا المفهوم نجد ما يقاربه من الداني حين قال:((حرف اشتدَّ لزومه لموضعه، حتى منع الصوت أنْ يجري معه، نحو: اج والحج، فليس يجري في الجيم صوت))[٧].

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢١٩ـ٢٢٠.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٢٦ – ٢٨، ودروس في علم الأصوات، جان كانتينيو: ٢٤.

(٣) اللآلئ السنية: ٨٧.

(٤) لطائف الإشارات: ٣٥٤.

(٥) الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٦) الرعاية: ٥٨.

(٧) التحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥.

فنرى اتفاق القسطلاني مع مكي والداني في أنَّ الصوت الشديد هو ما اشتدَّ لزومه لموضعه، ولتوضيح المقصود من هذه العبارة نذكر ما جاء في المعجم من معنى اللزوم هو الالتزام والاعتناق وعدم المفارقة(١). وعلى هذا فإنَّ معنى لزوم الصوت لموضعه، ثبات هذا الصوت لموضع تكوّنه وملازمته لهُ وعدم مفارقته، أي أنَّ الصوت الشديد يلازم موضعه، أمّا الصوت المجهور فقد يكون شديدًا وقد يكون رخوًا(٢).

ويكاد يكون هذا المفهوم الأقرب للمفهوم الذي ذكره سيبويه، من حيث اعتماده جريان الصوت لوصف هذه الصفة وبيان كيفية حدوثها، وباتفاق أكثر علماء العربية(٣). إلّا المبرِّد فقد جاء بمفهوم مغاير في جعل النفس هو أساس تكوّن هذه الصفة، إذ قال: ((ومنها حروف تمنع النفس وهي التي تسمّى شديدة))(٤). فأحدث مفهومه هذا التباسًا وخلطًا عند بعض المحدثين بين معنى الجهر ومعنى الشِدَّة(٥).

في حين رأى بعضهم الآخر أنَّه لا فرق بينهما إذ إنَّ ((الاثنين مرتبط بعضهما ببعض، فتشكّل الأول يعني بالنتيجة تكوّن الثاني والعكس صحيح؛ لأنَّ جريان النفس يعني تكوّن الصوت وعدم جريانه، يعني عدم تكوّن ذلك الصوت، أي إذا تكوّن الصوت، فهذا يعني أنَّ النفس جرى، وإن لم يحدث ذلك، فإنَّ النفس منع من الجريان))(٦). وقد فرَّق إبراهيم أنيس بين منع الصوت، ومنع النفس مستندًا في ذلك على قول سيبويه، فقال: منع النفس مع المجهور عملية تتم في الحنجرة، أما منع الصوت فمكانهُ مخرج الحرف(٧).

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥/ ٢٠٢٩ .

(٢) ينظر: البحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري: ٧٦.

(٣) ينظر: الأصول: ٤٠٢/٣، وسر صناعة الإعراب: ٧٥/١،والرعاية: ٥٨، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥، وشرح الهداية: ٧٨.

(٤) المقتضب: ١٩٤/١.

(٥) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١١٦.

(٦) التفكير الصوتي عند مكي: ١١٤، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١١٦، والأصوات اللغوية(عبدالقادر): ١٤٨.

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ١١٨.

ولم يختلف الأمر عند القاري في نظرته للشِدَّة عن سابقيهِ من العلماء في الجانب اللغوي، فوصفها بالقوة فقال: ((والشِدَّة في اللغة: القوة))[١]. لكنه اختلف معهم في المعنى الاصطلاحي، من حيث رؤيته إلى عدم إمكانية مدّ الصوت بالحرف الشديد، فقال: ((إذ انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصارًا تامًّا فلا يجري جريانًا سهلاً يسمى شديدًا، فإنَّك لو وقفت على كلمة ((الحج)) لم يجرِ الصوت ويكون راكدًا محصورًا، حتى لو رمت مدّ الصوت لا يمكنك ذلك))[٢].

وقد تابع القاري في مفهومه للشِدَّة ما ذهب إليه طاش كبرى زادة ولم يزد عليه شيئًا في قوله: ((إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصارًا تامًّا فلا يجري يسمّى شِدَّةً، كما في (الحَجّ) فإنَّك لو وقفت على قولك(الحَجّ) وجدت صوتك راكدًا محصورًا، حتى لو رُمْتَ مَدَّ صَوْتِكَ لم يمكنك))[٣].ووصف الدكتور غانم قدوري الحمد إضافتهم هذهِ من الإضافات الإيجابية؛ لإدراكهم ما يجري في الحروف الشديدة من حصر للصوت[٤].

أمّا من ناحية التسمية فيتابع القاري سيبويه ومن وافقه في ذلك، فيذكر أنَّ سبب تسميتها بالشديدة ((لمنع الصوت أنْ يجري معها؛ لأنَّها قويت في مواضعها فلزمتها الشِدَّة))[٥].

والأصوات الشديدة عند القسطلاني والقاري ثمانية أصوات هي: الهمزة، والجيم، والدال المهملة، والقاف، والطاء المهملة، والباء الموحدة، والكاف، والتاء المثناة من فوق مجتمعة في ثلاث كلمات وهي أجد قط بكت[٦]. وهي كذلك عند سيبويه[٧]. وجلّ علماء العربية والتجويد[٨].

---

(١) المنح الفكرية: ١٠٠.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها: ١٠٠.

(٣) شرح المقدمة الجزرية: ٩٠.

(٤) ينظر: شرح المقدمة الجزرية شرح يجمع بين التراث الصوتي العربي القديم والدرس لصوتي الحديث: ٢٩٤.

(٥) المنح الفكرية: ١٠٠.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ٢٢، ٨٨، والمنح الفكرية: ٩٩ – ١٠٠.

(٧) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٨) ينظر: المقتضب:١/١٩٤ـ١٩٥، وسر صناعة الإعراب: ١/٧٥، والرعاية: ٥٨، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥.

كما ذكرنا وافق المحدثون القدماء في منهجهم الذي وضعوه لتقسيم الصفات، تبعًا لطريقة مرور الهواء في مخرج الصوت، لكنهم اختلفوا في التسمية، إذ استعمل المحدثون مصطلحات مغايرة للقدماء، فقابلوا الشدة بمصطلحات متعددة منها: الانفجارية[١]، والوقفية[٢]، والاحتباسية[٣]، والانسدادية[٤]، والآنية[٥]، والانغلاقية[٦]، والصمّاء[٧]. واختلفوا كذلك في عدد الحروف الشديدة، إذ أخرج المحدثون الجيم من الحروف الشديدة، وزادوا عليها صوت الضاد[٨].

أما الرخاوة في **اللغة** فهي اللين[٩]. وتأتي كذلك بمعنى الهش[١٠]، أمّا في **الاصطلاح**: فهي الأصوات التي لا ينحبس الهواء انحباسًا محكمًا عند النطق بها، وإنَّما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيّقًا جدًا مما يسمح بمرور النفس مُحدِثًا نوعًا من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعًا لنسبة ضيق المجرى[١١].

لم يُعرِّف القسطلاني هذه الصفة، وإنَّما ذكر حروفها فقط قائلا:((حس حظ هذ وضغط يافذ))[١٢]. إلّا أننا نجد ملامح هذه الصفة في كتابه الآخر (لطائف الإشارات)، إذ ذكرها بعد ذكره للحروف الشديدة والمتوسطة، فيقول: ((والرخوة فيما عداهما من الحروف لجري الصوت مع لفظها لضعف الاعتماد، ويبين ذلك: أنَّه إذا وقفت على الجيم فقيل

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٥-٢٦، والمدخل إلى علم الأصوات: ٦٦,٦٣، وعلم اللغة مقدمة للقارئ: ١٥٣.

(٢) ينظر: دراسة الصوت اللغوي: ١٤١، والتشكيل الصوتي في العربية: ٥٢.

(٣) ينظر: محاضرات في اللغة: ٩٤، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري:٩٤.

(٤) ينظر: أسس علم اللغة: ٨٢.

(٥) ينظر: التطور النحوي: ١٤، ودروس في علم أصوات العربية:٣٥.

(٦) ينظر: علم الأصوات (مالمبرج): ٨٥ـ٨٦.

(٧) ينظر: مقدمة في فقه اللغة العربية: ٢٢٩، والبحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري دراسة في ضوء علم اللغة القديم: ٧٦.

(٨) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٦، المدخل إلى علم الأصوات المقارن: ٤٠، علم الأصوات (مالمبرج): ١١٢ - ١١٤.

(٩) ينظر: مقاييس اللغة: ٥٠١/٢.

(١٠) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٣٥٤/٦، وتاج العروس: ١٣٧/٣٨.

(١١) ينظر: الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): ٢٦.

(١٢) اللآلئ السنية: ٢٢، ٨٨.

((الحَـجّ)) وشـبهه انحصـر الصـوت فلـم يَجْـر فـي مخرجـه، وإذا وقـف علـى السـين فقيـل: ((الطس)) جرى الصوت معها، وأمكن أن يمدّ مع النطق بها، وهو معنى رخاوتها، وذلك مدرك ضرورة بأدنى تمييز وتأمل))[١].

يلاحظ على كلام القسطلاني أنَّه متابع لسيبويه في جعل جريان الصوت ضابطاً للرخاوة، إذ عرفها بأنَّها الحروف التي يجري فيها الصوت، في قوله: ((أجريت فيه الصوت إنْ شئت))[٢]. ولكننا نجده في اللآلئ السنية ينحو منحى المبرِّد، عندما زاد النفس على هذه الصفة، فيقول: ((بأنَّها حروف يجري معها الصوت والنفس لرخاوتها، وبرهان ذلك: لو نطقت بـ(اجلس، وافرش) جرى معها الصوت والنفس))[٣]. إذ ذكر المبرِّد النفس من قبل عند حديثه عن الرخو، فقال: ((فأمّا الرخوة فهي التي يجري النفس فيها من غير ترديد))[٤].

ويفهم من النصوص السابقة أنَّ الصوت الرخو يتكون عند جريان النفس، في حين جمع القسطلاني بين الصوت والنفس وجعلهما ضابطاً لرخاوة الصوت. وقد أكّد بعض العلماء ممن جاؤوا بعده هذا، ومنهم القاري الذي ذكر ذلك، حين علّل لسبب تسميتها بالرخاوة فقال: ((سميت بذلك لجري النفس والصوت معها، حتى لانت عند النطق بها، وضعف الاعتماد عليها))[٥]. ومن المتأخرين المرعشي في قوله: ((إنَّ الرخاوة جريان الصوت والنفس، إذا علمت هذا فاعلم أنَّ صوت الحرف ونفسه، إمّا ان يحتبسا بالكليّة فيحصل صوت شديد وهو في الحروف الشديدة، أو لا يحتبسا أصلاً، بل يجريان جريًانا كاملاً، وهو في الحروف الرخوة))[٦].

ولم يختلف مفهوم الرخاوة عند القاري عن مفهوم القسطلاني، غير أنَّه استعان بالمعنى اللغوي لبيان هذه الصفة فقال: ((والرخاوة في اللغة اللين))[٧]، وفرَّق القاري بين الشديدة والرخوة بقوله: ((إذا انحصر صوت الحرف في مخرجه انحصارًا تامًّا، فلا يجري

---

(١) لطائف الإشارات: ٣٥٥.

(٢) الكتاب: ٤/٤٣٥.

(٣) اللآلئ السنية: ٨٨.

(٤) المقتضب: ١/١٩٥.

(٥) المنح الفكرية: ١٠٠.

(٦) جهد المقل: ١٤٦.

(٧) المنح الفكرية: ١٠٠.

جريانًا سهلاً يسمى شديدًا،...، وأمّا إذا جرى الصوت جريانًا تامًّا، ولا ينحصر أصلاً يسمى رخوةً))[١]. ثم يذكر لنا مثالاً يبيَّن فيه قصده من جريان الصوت وانحصاره فيقول: ((لو وقفت على قولك (الحج) وجدت صوتك راكدًا، محصورًا، حتى لو رمت مدَّ صوتك لم يمكنك، وأمّا، ... في ((الطش)) فإنَّك إذا وقفت عليها وجدت صوت الشين جاريًا بمدةٍ إن شئت))[٢].وعلى هذا يكون المدّ في الصوت الشديد غير ممكن حتى لو حاولنا ذلك؛ لأنَّه يصبح راكدًا محصورًا عند الوقف عليه مثل الجيم في كلمة الحج، أمّا في الصوت الرخو فيكون جاريًا ممدودًا مثل صوت الشين في كلمة الطش؛ إذ يمكننا مدّه إن أردنا ذلك لامتداد النفس معه كما ذكر القاري في قوله: ((سميت رخوة لجري النفس والصوت معها))[٣].

ويمكننا القول: إنَّ نظرته هذه للأصوات الرخوة تتفق مع ما توصّل إليه المحدثون عندما أطلقوا عليها مصطلح المتمادة[٤]. والتي ((تشير إلى أنَّ الحروف الرخوة قد تجاوز مداها الفيزيائي مدى الحروف الشديدة، أي أنَّه تقبل التمديد بعكس الحروف الشديدة التي لا تقبل التمديد))[٥].

وكذلك أطلقوا عليها مصطلح الاحتكاكية[٦]. معتمدين طريقة النطق، فتتكون هذه الأصوات عندما ((يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من مواضع القناة الصوتية، بفعل عضو أو أكثر من أعضاء الكلام، وينتج الصوت المسموع عن احتكاك الهواء المزفور أو رنينه على مستوى التضييق فيحدث الاحتكاك في حال كان النطق مشدودًا، وبه تنتج الأصوات الاحتكاكية))[٧]. وأطلق عليها بعضهم الآخر مصطلح الاستمرارية ليعبِّر عن الرخاوة إذ قال: ((هي خروج الصوت مستمرًا في صورة تسرّب للهواء، محتكًا بالمخرج))[٨].

---

(١) المنح الفكرية: ٩٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها:٩٩.

(٣) المصدر السابق: ١٠٠.

(٤) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي(السعران): ١٥٣، ١٧٩.

(٥) البحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري: ٨١.

(٦) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ:١٧٢، وعلم الأصوات العام،(بشر): ١٥١، والأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٢٦.

(٧) علم الأصوات العام(بسام بركة): ١١٩ـ١٢٠.

(٨) علم الأصوات(مالمبرج): ١١٣.

والأصوات الرخوة عند القسطلاني ستة عشر صوتًا وهي: ((الحاء، والسين المهملتان، والخاء، والظاء، والشين المعجمان، والصاد المهمل، والهاء، والزاي، والواو، والضاد، والغين المعجمتان، والثاء المثلثة، والياء المثناة تحت، والألف، والفاء، والذال المعجمة، ويجمعها ((حس خظ شخص هز وضغت يافذ))[١]. أمّا القاري فلم يذكر هذه الأصوات، وإنَّما اكتفى بذكر الأصوات الشديدة، والأصوات المتوسطة، وجعل لفظة ((ما عداها)) –أي ما عدا الأصوات الشديدة– للحروف الرخوة[٢].

من هذا يتضح مخالفة كلّ من القسطلاني والقاري علماء العربية[٣]، والتجويّد[٤]، الذين عدّوها ثلاثة عشر صوتًا، في حين جعلها القسطلاني والقاري ستة عشر حرفًا. وذلك بزيادة حروف المدّ الثلاثة – الألف، والواو، والياء– للأصوات الرخوة، في حين جعلها علماء العربية مع الحروف المتوسطة[٥].

وأمّا المحدثون فلم يختلفوا مع القدماء في عددها، إذ جعلوها ثلاثة عشر صوتًا[٦]. وهي ذاتها لدى القدماء ماعدا صوت الضاد إذ أخرجوه من الصفات الرخوة، وضموه إلى الحروف الشديدة[٧].

مشكلة الضاد

اختلفت آراء العلماء في صوت الضاد فقد عدّها القدماء من الأصوات الرخوة، ويكون مخرجها من((أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس)) [٨]. وهي عندهم صوت رخو مجهور مطبق مستطيل[٩]. وقد وافقهم القسطلاني والقاري في ذلك[١٠].

---

(١) اللآلئ السنية: ٨٨.

(٢) ينظر: المنح الفكرية: ١٠٠.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٤ـ٤٣٥، وسر صناعة الإعراب: ١/١٧، ٧٥.

(٤) ينظر: الرعاية: ٥٩، والتحديد والإتقان والتجويّد: ١٠٦.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية:٨٨،والمنح الفكرية(هامش المحقق):١٠٠.

(٦) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ (السعران): ١٧٨,١٧٢، ودروس في علم أصوات العربية:٣٥.

(٧) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٢٤.

(٨) الكتاب: ٤/٤٣٣,٤٣٥، وينظر: سر صناعة الإعراب: ١/٦٠.

(٩) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٢٧.

(١٠) ينظر: اللآلئ السنية:٩٨ ،٨١، والمنح الفكرية: ١٧٧.

ويرى المحدثون أنَّها صوت شديد[١] ، تنطق ((بالتصاق مقدمة اللسان باللثة والأسنان العليا التصاقًا يمنع مرور الهواء الخارج من الرئتين، كما ترتفع اللهاة والجزء الخلفي من سقف الحلق (المسمّى بالطبق) ليسد التجويف الأنفي في الوقت الذي تتذبذب فيه الأوتار الصوتية، وترتفع مؤخرة اللسان قليلاً نحو الطبق، ثم تزال هذه السدود فجأة فيندفع الهواء المحبوس إلى الخارج، فتسمع صوت الضاد))[٢].

ومن النصوص المتقدمة يتضح الاختلاف بين الضاد القديمة والحديثة، إذ تخرج الأولى من حافة اللسان وهي رخوة، أمّا الأخيرة فمخرجها الأسنان واللثة وهي شديدة[٣].ويرى بعض المحدثين أنَّ الضاد القديمة لا يوجد لها نظير يقابلها شيءٌ من الأصوات، بدليل قول سيبويه: ((لولا الإطباق ... لخرجت الضاد من الكلام لأنَّه ليس بشيء من موضعَها غيرُها))[٤]. أمّا الضاد الفصيحة الحديثة، فهي المقابل المطبق أو المفخم للدال (أي الضاد التي ينطقها أهل مصر، فالدال صوت ينطق في لغتهم بالطريقة نفسها التي ينطق بها صوت الضاد) مع فارق واحد، هو أن مؤخرة اللسان ترتفع قليلاً في اتجاه الطبق عند نطق الضاد، ولا يحدث ذلك مع الدال[٥].

ولا تقتصر مشكلة الضاد على المحدثين فقط، وإنَّما تُعدّ مشكلة قديمة في العربية، فقد ذكر سيبويه من الحروف غير المستحسنة (الضاد الضعيفة) إلى جانب الضاد الفصيحة[٦].

وأشار بعض العلماء إلى صعوبة نطق هذه الضاد، ممّا أدّى إلى التغيّر في لفظها والإخلال في قراءتها، إذ يقول مكي: ((الضاد أصعب الحروف تكلّفًا في المخرج، وأشدّها صعوبة على اللافظ، فمتى لم يتكلّف القارئ في إخراجها على حقها أتى بغير لفظها، وأخلّ بقراءته))[٧].

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٤٩، وعلم الأصوات(بشر):٢٥٩.

(٢) زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء: ٩ – ١٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ١٠.

(٤) الكتاب: ٤/٤٣٦.

(٥) ينظر: زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء: ١٠ – ١١، وأصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٥٠.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤/٤٣٢، والدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٢٧.

(٧) الرعاية: ١٢٤.

وقال ابن الجزري: ((اعلم أنَّ هذا الحرف ليس من الحروف حرف يعسُر على اللسان غيره))[١]. وبما أنَّهُ حرف عسير في النطق، صعب على ألسنة بعض الناس مما أدى إلى تغيير نطقه في لهجاتهم، وأكَّد علي القاري هذا في قوله: ((وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، وألسنة الناس فيه مختلفة، فمنهم من يخرجه ظاءً، ومنهم من يخرجه دالاً مهملة أو معجمة، ومنهم من يخرجه طاء مهملة كالمصريين ومنهم من يُشمُّه ذالاً، ومنهم من يشربُها بالظاء المعجمة لكن لمّا كان تمييزه عن الظاء مُشْكِلاً بالنسبة إلى غيره أمر الناظم بتمييزه عنه نطقًا))[٢].

ويشير الدكتور حسام النعيمي إلى أنَّ التعدد في صور نطق الضاد، أدى إلى اضمحلال الضاد القديمة، وخروجها من الألسن العربية اليوم، إلّا أنَّ بعض هذه الأصوات التي ذكرها القاري أعلاه، ما زالت حيّة إلى وقتنا الحاضر، وتدور على ألسنة أكثر العرب في النطق الفصيح[٣].

ومن هذه الأصوات هي الضاد التي تنطق ظاء، وهو نطق شائع في العراق[٤]. وبعض المناطق الشمالية من المغرب[٥]. ويذكر ابن الجزري أنَّ بعض العرب في النطق ((يجعل الضاد ظاءً مطلقًا؛ لأنَّه يشارك الظاء في جميع صفاتها كلها، ويزيد عليه بالاستطالة، فلولا الاستطالة واختلاف المخرجين لكانت ظاء، وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق))[٦].

يدلنا هذا النص على أنَّ مشكلة التشابه بين الضاد والظاء، يمكن التفريق بينهما من خلال المخرج، وهذا ما أكّده القاري، إذ استطاع التمييز بين الضاد والظاء، في قوله: ((وقد انفرد الضاد بالاستطالة، حتى يتصل بمخرج اللام، لما فيه من قوة الجهر والإطباق والاستعلاء))[٧].

---

(١) التمهيد في علم التجويد: ١٣٠.

(٢) المنح الفكرية: ١٧٧-١٧٨.

(٣) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والثبات:٥٠ــ٥١.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٥٠.

(٥) ينظر: أصوات العربية بين التحوّل والثبات: ٥١، والتمهيد في علم التجويد:١٣٠

(٦) التمهيد في علم التجويّد: ١٣٠.

(٧) المنح الفكرية: ١٧٧.

وكذلك أدرك الفرق بينهما، إذ أكّد بيانهما عند التلاقي والمجاورة لئلا يختلط أحدهما بالآخر فتبطل صلاته [١]. فنلاحظ اهتمام القاري بكل جوانب هذه الأصوات، حتى أنَّه بيَّن حكم الصلاة عند مخالفة شروطها، من حيث عدم تمييزها عن الظاء، مستندًا في قوله على آراء من سبقوه فينقل عن اليمني أنَّه قال: لو قُرِئَتْ ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[٢] بالإدغام تفسد الصلاة[٣].

وينقل عن ابن المصنف أنَّه قال: ((وليحترز من عدم بيانها فإنَّه لو أبدل ضادًا بظاء أو بالعكس بطلت صلاته لفساد المعنى))[٤]. ثم يقول: ((وخلاصة المرام ما ذكره ابن همام[٥]: من أنَّ الفصل إن كان بلا مشقّة كالطاء مع الصاد فقرأ (الطالحات) مكان (الصالحات)[٦] تفسد، وإن كان بمشقّة كالظاء مع الضاد، والصاد مع السين، والطاء مع التاء قيل: تفسد، وأكثرهم لا تفسد))[٧].

ما ذكر من النصوص تؤيد الشبه بين صوت الضاد وصوت الظاء، وعلى الرغم من نطق كثير من العرب الضاد بمعنى الظاء، إلّا أنَّهم لم يحققوا الضاد بصورتها القديمة؛ لأنَّ ذلك ليس سهلاً على اللسان اللافظ للعربية اليوم[٨]. ومن كل ما تقدَّم يظهر لنا أنَّ عليًّا القاري كان متنبّهًا لحقيقة التطوّر الذي حصل في الضاد، كما تنبّه غيره من العلماء الذين سبقوه حتى حذروا منه القرّاء والمجوديّن، وكل الأسباب التي ذكرها تشترك في هذا التطوّر، فضلاً عن أنَّ هناك أسباباً أخرى لا ندركها ولا نملك أي دليل أدّى إلى إحداث هذا التطوّر.

---

(١) يُنظر: المنح الفكرية: ١٩٣.

(٢) الانشراح/ ٣.

(٣) يُنظر: المنح الفكرية:١٩٤.

(٤) المنح الفكرية:١٩٣ ،وينظر: الحواشي المفهمة: ٢٢٤.

(٥) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بن همام،(ت٨٦١هـ). ينظر: فتح القدير:٢٢٣/١.

(٦) البقرة/٢٥.

(٧) المنح الفكرية: ١٩٤.

(٨) ينظر: جهد المقل: ١٤١، ودراسة صوتية في كتاب المنح الفكرية: ١٣١ .

الحروف المتوسطة:

هي الأصوات التي تجمع بين الشدة والرخاوة، فهي ليست بالشديدة ولا بالرخوة[١]. ولم يضع القسطلاني هذهِ الصفة مستقلة بين الصفات، إنَّما ذكرها في أثناء حديثه عن الصفات الرخوة والشديدة، فيرى أنَّها سميت بهذا الاسم؛ ((لجريان بعض الصوت معها وحبس بعضه، أو لجريانهِ معَها جريانًا ضعيفًا، وهو منسوبٌ الى بَيْنَ بَيْن أي التوسط بين شيئين))[٢]. ووصفت بهذا الوصف؛ لأنَّ الرخوة إذا نطق فيها في نحو: (اجلس) و(افرش)، جرى معها الصوت والنفس لرخاوتهما والشديدة إذا نطقت بها في نحو: اضرب واقعد، انحبس الصوت والنفس معها ولم يجر لشدتهما، والتي بين الرخوة والشديدة إذا نطق بها بنحو: أنعم واعلم، لم يجرِ الصوت والنفس معها جريانهما مع الرخوة ولم ينحبسا انحباسهما مع الشدة فتدبر[٣].

أول ظهور لهذا المصطلح (التوسط) نجده عند سيبويه، إلّا أنَّه لم يقدِّم له تعريفًا محددًا، وإنَّما ذكره في وصفه للعين، حيث وصفها بين الشديدة والرخوة فقال: ((وأمّا العين فبين الرخوة والشديدة))[٤]. ثم بعد ذلك يذكر الأصوات الأخرى (اللام، والنون، والميم، والراء) فيكون بذلك عددها خمسة أصوات. يذكر المبرِّد أنَّ أصل هذه الأصوات هي أصوات شديدة في الأصل، وإنَّما يجري فيها النفس؛ لاستعانتها بصوت ما جاورها من الرخو، كالعين التي يستعين المتكلم عند اللفظ بها بصوت الحاء والتي يجري فيها الصوت؛ لانحرافها واتصالها بما قد تقدمنا في ذكره من الحروف، وكالنون التي تستعين بصوت الخياشيم؛ لما فيها من الغُنَّة، كحروف المدّ واللين التي يجري فيها الصوت للينها[٥].

من النصِّ المتقدِّم يرى المبرِّد أنَّ صفة المتوسط تحدث نتيجة لمخالطة الأصوات أصواتًا أخرى مجاورة لها مثل العين والحاء التي ذكرها. أمّا القسطلاني والقاري فهما يخالفان هذا الاتجاه؛ لأنَّهما يجعلان الصوت والنفس المعيار للحكم على هذه الصفة كما ذكرنا.

---

(١) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس):٢٧.

(٢) اللآلئ السنية:٨٨.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ٨٨، والمنح الفكرية: ١٠١.

(٤) الكتاب: ٤/٤٣٥.

(٥) ينظر: المقتضب:١/١٩٦، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري: ١٣١، والعربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي: ٥٢.

أمّا بالنسبة للأصوات المتوسطة وعددها فيبدو أنَّ هنالك اختلافًا بين العلماء فيها، وأشار القسطلاني إلى الاختلاف، إذ جعلها سيبويه خمسة أصوات كما أشرنا سابقًا، في حين جعلها المبرِّد ثمانية اصوات بعد زيادته حروف المدِّ الثلاثة، الألف، والواو، والياء[١]. وتابع المبرِّد جلّ علماء العربية في هذا[٢]، وعلماء التجويّد[٣]. ومنهم من جعلها سبعة حروف بعد إخراجه الألف من هذه المجموعة[٤]. وجعلها الداني[٥]، وبعض شرّاح الجزرية خمسة أصوات ومنهم القسطلاني والقاري[٦].

فيذكر القسطلاني هذه الحروف مجموعة بعبارة (من رعل)، ووافقه القاري في هذا، لكنّه اختلف معه في تركيب العبارة فجمعها بقوله (لن عمر).وأطلق المحدثون على هذه الأصوات مصطلح (الأصوات المائعة)[٧]. ولم يختلفوا مع القدماء في هذه الأصوات غير إخراجهم لصوت العين، والألف، وبذلك تكون حروف التوسط عندهم (اللام، والميم، والنون، والراء، والواو، والياء)[٨].يقول جان كانتينو في هذا ((لا يبقى مجال للشك في صحة هذا الترتيب –التوسط– إلّا فيما يتعلق بحرف العين، وما عدا ذلك فإنَّ الترتيب مطابق لترتيب العلماء الأصوات العصريين))[٩].فعدّوها صوتًا احتكاكيًّا (رخوا)[١٠]، في حين هي عند القدماء صوت متوسط بين الشدة والرخاوة كما ذكرنا، وسبب ذلك يرجع إلى ((عدم انتباه القدامى إلى ذلك لضعف ما يسمع لها من حفيف إذا ما قيست بصوت الغين))[١١].

وأمّا الألف، فيرى الدكتور حسام النعيمي أنَّ وصفه ضمن الحروف المتوسطة صحيح، إذ قال: ((أمّا الألف فإنَّ اتساع مخرجه لا يسمح بوقوف الهواء عنده ليرى أيجري

---

(١) ينظر: المقتضب: ٢١٥/١.

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٧٥/١، وسر الفصاحة: ٣٠، وشرح شافية ابن الحاجب ٢٦٠/٣.

(٣) ينظر: الرعاية: ٥٩، والموضح في التجويّد:٨٩ – ٩٠، والتمهيد في علم التجويد: ٩٨.

(٤) ينظر: مخارج الحروف وصفاتها: ٨٩.

(٥) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٥.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ٨٨، والمنح الفكرية: ١٠٠.

(٧) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٤٧، وعلم الأصوات اللغوية(مناف): ٤٧.

(٨) ينظر: علم الأصوات اللغوية(مناف): ٤٧.

(٩) دروس في علم أصوات العربية: ٣٦.

(١٠) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٨٧، وعلم اللغة مقدمة للقارئ: ١٧٢ـ١٧٣، وعلم الأصوات اللغوية(مناف): ٤٧.

(١١) منهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات وأثرهما في كتب أهل الأداء: ٨٨.

بـه أم لا، حتـى يحكـم عليـه بهـذا أو بـذاك، ولـذا كـان الوصـف المناسـب أنَّـه بـين الشـدة والرخاوة))[١].

ثالثاً: الاستعلاء والاستفال:

الاسـتعلاء لغـةً: العلو والارتفـاع[٢]، أمّـا فـي **الاصـطلاح:** فهـو ((أن يسـتعلي أقصـى اللسان عند النطق بالحرف إلى جهة الحنك الأعلى))[٣]. وعرَّف القسطلاني الاستعلاء بأنَّه ((ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بحروفه))[٤]. ويتفق في مفهومه هذا مع الداني في قوله: ((سميت مستعلية؛ لأنَّ اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك))[٥].وسار القاري على هدى ما جاء به سابقوه، فيعلل سبب تسميتها بالمستعلية، فيقول: ((وسميت بالمستعلية لاستعلاء اللسان عند النطق بها إلى الحنك الأعلى))[٦].

وعدَّ القسطلاني الحروف المستعلية سبعة أحرف هي: الخاء المعجمة، والصاد المهملة، والضاد، والغين المعجمتان، والطاء المهملة، والقاف، والظاء المعجمة تجمعها ثلاث كلمات ((خص ضغط قظ))[٧]. ولم يخرج القاري عن هذا الترتيب فوافق القسطلاني ومن سبقه فيها[٨]. وينقل أنَّ مكي ((زاد عليها الألف، وهو تَوْهُم؛ فإنَّ الألف تابع لما قبله، فلا يوصف بترقيق ولا تفخيم، وأعلاه الطاء))[٩].

واتفق المحدثون مع ما ذكره القدماء في فكرتهم لمفهوم الاستعلاء، في ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى، وفي عدد حروفها[١٠]. وذكر بعضهم أنَّ الاستعلاءَ صفةٌ تعود على بعض الأصوات الحلقية، وهي القاف، والغين، والخاء، نتيجة ارتفاع اللسان بجزئه الخلفي

---

(١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٧.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣٥٢/٢.

(٣) جهد المقل: ١٥١.

(٤) اللآلئ السنية: ٢٣.

(٥) التحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٦ – ١٠٧

(٦) المنح الفكرية: ١٠٣.

(٧) اللآلئ السنية: ٢٣، ٨٩.

(٨) ينظر: الكتاب: ١٢٩/٤، والمقتضب: ٤٦/٣، وسر صناعة الإعراب: ٧٦/١، والرعاية: ٦٣، والتحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٦، والتمهيد في علم التجويد: ١٠٠، والمنح الفكرية: ١٠٢.

(٩) النشر في القراءات العشر: ٢٠٣/١، ولطائف الإشارات لفنون القراءات: ٣٥٥

(١٠) ينظر دروس في علم أصوات العربية: ٣٦ــ٣٧.

نحو اللهاة فيخرج الصوت غليظًا مفخّمًا، ولكن دون المبالغة في تغليظ النطق، فالمهم هو أن يتوفر للصوت القيمة التي تميّزه عن غيره بوصفه وحدة صوتية مستقلة(١).

أمّا **الاستفال** فهو نقيض العلو، يقول الفارابي: ((السُفْلُ، والسِفلُ، والسُفولُ، والسَفالُ، والسُفالَةُ بالضم: نقيض العُلْوِ، والعِلْوِ، والعُلُوُّ، والعَلاوَةِ. والسافِلُ: نقيض العالي))(٢). وفي **الاصطلاح:** ((هو انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى قاع الفم))(٣).

استعمل القسطلاني الاستفال مقابلًا لمصطلح الاستعلاء، بقوله: ((المستفلة ضد المستعلية))(٤)، ثم ذكر تعريفها اللغوي متبعًا في ذلك علماء اللغة، إذ قال: ((الاستفال لغة: الانخفاض، وسميت بذلك لأنَّ اللسان إذا نطق بها انحطَّ عن الحنك))(٥).

وتعريف القسطلاني لهذا المصطلح يوافق تعريف العلماء الذين سبقوه، فقد استعمل سيبويه هذا المصطلح ليدلّ به نزول اللسان وانحداره نحو قاع الفم(٦). ووافقه جلّ علماء العربية في هذا المفهوم(٧).

وأمّا علي القاري فقد اتبع أثر من سبقه من علماء العربية والتجويّد، ولم يختلف عنهم في شيء، فذكر أنَّ الحروف المستفلة هي ما عدا المستعلية، ذاكرًا سبب تسميتها بالاستفال مبيِّنًا وضع اللسان حال النطق بها ((وما عداهما –أي ما عدا المستعلية– مستفلة؛ لانخفاض اللسان عن الحنك عند لفظها))(٨).

وحروف الاستفال عند القسطلاني والقاري اثنان وعشرون حرفًا هي: ((الهمزة، والهاء، والألف، والعين، والحاء المهملتان، والكاف، والجيم، والشين المعجمة، والياء المثناة تحت،

---

(١) ينظر: دراسة صوتية في كتاب المنح الفكرية: ١٣٧، وعلم اللغة العربي (الصوت)، د. حيدر مجيد، كلية التربية الأساسية : ١٦

Uomustansiriyah.edu.iq

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥/١٧٣٠.

(٣) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٤٣.

(٤) اللآلئ السنية: ٨٩.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤/١٣٠، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٤٣ــ١٤٤.

(٧) ينظر: المقتضب: ٣/٤٦ – ٤٧، وسر صناعة الإعراب: ١/٧٦، وسر الفصاحة: ٣١، وشرح المفصل: ٥/٥٢٢.

(٨) المنح الفكرية: ١٠٣.

واللام، والنون، والراء، والدل المهملة، والتاء، والياء الموحدة، والميم، والواو))[١].يقول القسطلاني: ((هي كلّ الحروف ما عدا المستعلية)) [٢]، ويجب أن نذكر ((أنَّ تعميم صفة الاستفال على جميع الحروف عدا المستعلية فيه مسامحة، إذ أصوات الحلق والشفة لا دور للسان فيها مستعليًا أو مستفلاً فهي أصوات محايدة)) [٣]. واتفقت رؤية المحدثين لمفهوم الاستفالة مع ما تصوّره القدماء من حيث استعمالهم مصطلح الاستفال ضد التصعُّد[٤].

رابعاً: الإطباق والانفتاح:

الإطباق عند علماء **اللغة:** ((هو غطاءُ كل شَيءٍ والجَمْعُ أطباق)) [٥]. أمّا في **الاصطلاح:** ((هو أن يتخذ اللسان عند النطق بالصوت شكلاً مقعرًا منطبقًا على الحنك الأعلى، ويرجع إلى الوراء قليلاً))[٦].

قال القسطلاني: ((الإطباق هو تلاقي طابقتين: اللسان والحنك الأعلى عند لفظهما، وهو أبلغ من العلو، وهو لغةً: التلاصق والتساوي))[٧]. وقد أشار سيبويه إلى هذا عند وصفه لحروف الإطباق، إذ وصفها بأنَّها الحروف ((التي إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك الأعلى، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف))[٨].

فنصّ سيبويه يبيِّن أنَّ الصوت لكي يكون مطبقًا يلزم أن ترتفع مؤخرة اللسان نحو أقصى الحنك الأعلى. وسار جلّ العلماء ممن جاؤوا بعده على هذا الوصف الذي ذكره[٩].

---

(١) اللآلئ السنية: ٨٩، وينظر: المنح الفكرية: ١٠٣.

(٢) اللآلئ السنية: ٢٣.

(٣) الخلاف الصوتي عند علماء التجويّد: ١٥٣.

(٤) ينظر: التطوّر النحوي: ١٦، ودروس في علم الأصوات: ٣٧، والخلاف الصوتي عند علماء التجويّد: ١٥٣، ومعجم الصوتيات: ٣٦.

(٥) المحكم والمحيط الأعظم: ٢٩١/٦.

(٦) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٣٢.

(٧) اللآلئ السنية: ٩٠.

(٨) الكتاب: ٤٣٦/٤.

(٩) ينظر: سر صناعة الإعراب:٧٦/١، والرعاية:٦٣، والتحديد في الإتقان والتجويّد:١٠٦، والموضح في التجويّد: ٩٠.

ومنهم القاري إذ قال: إنَّها سميت بالإطباق؛ ((لانطباق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند خروجها،...، وهو لغةً: الإلصاق. وضدَّها المنفتحة))[١].

ويرى القسطلاني والقاري أنَّ الإطباق أبلغ من الاستعلاء[٢]، وقد ذكر ذلك الشيخ خالد الأزهري(ت ـ٩٠٥هـ) في قوله: ((وزعم بعضهم أنَّ الاستعلاء يستلزم الإطباق، والحقّ أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقتين؛ لأنَّه يستلزم من الإطباق الاستعلاء، لا العكس. بيان ذلك أنَّك إذا نطقت بالصاد وأخواتها استعلى اللسان، وانطبق إلى الحنك على وسط اللسان، وإذا نطقت بالخاء، والغين، والقاف استعلى أقصى اللسان إلى الحنك من غير إطباق))[٣]. وحروف الإطباق هي: ((الصاد، والضاد، والطاء، والظاء))[٤]. باتفاق أكثر علماء العربية[٥].

ويصف القسطلاني هذه الحروف بصفة القوة[٦]، متبعًا في ذلك مكي حين فرَّق بينها وجعل لكل صوت درجة أعلى من غيرها في النطق ((فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها؛ لجهرها وشدَّتها، والظاء أضعفها في الإطباق لرخاوتها وانحرافها، والصاد والضاد متوسطان في الإطباق))[٧]. وعلى هذا((يجب أن يراعي ناطق الصوت تلك المقادير من حيث القوة والضعف؛ لأنَّ الإخلال فيها يزيل الحرف عن موضعه))[٨].

ويرى المرعشي في هذا: ((إعطاء الضاد المعجمة إطباقًا أقوى كإطباق الطاء المهملة يزيله عن مخرجها))[٩]. والمعنى الحديث للإطباق يتقارب مع ما وصفه القدماء، فالإطباق عند المحدثين هو ارتفاع مؤخر اللسان حال النطق بالصوت نحو الطبق، إذ يتقعر اللسان فيرتفع أقصاه وطرفه مع تقعر وسطه[١٠].

---

(١) المنح الفكرية: ١٠٣ – ١٠٤.

(٢) ينظر: اللآلئ السنية:٩٠،والمنح الفكرية:١٠٤.

(٣)الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية: ٤٤.

(٤) اللآلئ السنية: ٩٠، والمنح الفكرية: ١٠٣.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤٣٦/٤، وسر صناعة الإعراب: ٧٦/١، الرعاية:٦٢ـ ٦٣، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٦.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ٩٠.

(٧) الرعاية: ٦٣.

(٨) الضاد في النظام الصوتي العربي مع دراسة كتب الفروق: ٢٩.

(٩) كيفية أداء الضاد: ٢٢.

(١٠) ينظر: مناهج البحث في اللغة:٨٩، ٩٤، وعلم اللغة مقدمة للقارئ: ١٥٥، ١٧٤.

أما الانفتاح في اللغة: فهو ((ضد الإغلاق))[١]، وفي **الاصطلاح:** ((هو انفتاح ما بين وسط اللسان والحنك وعدم انحصار الصوت بينهما عند النطق بالحرف))[٢]. وعرَّفه القسطلاني قائلاً: ((والانفتاح لغةً: الافتراق، وسميت بذلك لانفتاح اللسان والحنك وخروج الريح من بينهما عند النطق بهما))[٣]، ويعلِّق في كتابه (لطائف الإشارت) على من أطلق هذه التسمية على الأصوات فيقول: ((وفي تسميتهم بالمنفتحة تَجَوُّز،...، لأنَّ الحرف لا ينفتح، وإنَّما ينفتح عنده اللسان عن الحنك، وكذلك المستعلية، إلّا أنْ يُقال: سميت لخروج صوتها من جهة العلو))[٤].

إنَّ المفهوم الذي ذكره القسطلاني أقرب إلى تعريف مكي في قوله:((سميت بالمنفتحة؛ لأنَّ اللسان لا ينطبق مع الريح إلى الحنك الأعلى عند النطق بها، ولا تنحصر الريح بين اللسان والحنك، بل ينفتح ما بين اللسان والحنك وتخرج الريح عند النطق بها)) [٥]. أمّا علي القاري فقد سار على هدي الذين سبقوه أمثال مكي والقسطلاني، ولم تختلف نظرته عنهم، فيرى أنَّه سمي بهذا الاسم؛ ((لانفتاح ما بين اللسان والحنك وخروج الريح من بينهما عند النطق بها))[٦].

وأصوات الانفتاح خمسة وعشرون صوتًا هي: ((الهمزة، والهاء، والألف، والعين، والحاء المهملتان، والغين والخاء المعجمتان، والقاف، والكاف، والجيم، والشين المعجمة، والياء المثناة تحت، واللام، والنون، والراء، والدال المهملة، والتاء المثناة فوق، والذال المعجمة، والثاء المثلثة، والسين المهملة، والزاي، والفاء، والواو، والياء الموحدة، والميم))[٧]. وهي كذلك عند القاري على الرغم من عدم ذكره لها، وإنَّما نستنتج ذلك من حديثه عن الحروف المطبقة وجعلها ضد المنفتحة[٨].

---

(١) مجمل اللغة: ٧١٠.

(٢) جهد المقل: ١٥٣.

(٣) اللآلئ السنية: ٩٠.

(٤) لطائف الإشارات: ٣٥٦.

(٥) الرعاية: ٦٣.

(٦) المنح الفكرية: ١٠٤.

(٧) اللآلئ السنية: ٩٠.

(٨) ينظر: المنح الفكرية: ١٠٤.

خامساً: الذلاقة والإصمات:

الذلاقةُ لغةً: ((ذلق: حَدُّ كلَّ شيءٍ ذَلَقُه، ...، والذَّلقُ تحديدك إياه. وذَلَقته وأذلقته: حددته))[١]. وتأتي بمعنى الطلاقة والخفة[٢].وفي **الاصطلاح:** ((هي صفةٌ لعدد من الأصوات، متقاربة المخارج، يشيع استعمالها في الكلام العربي))[٣]. أو هو ((اعتماد الحرف على ذلق اللسان أو ذلق الشفة –أي طرفيها عند النطق بها))[٤].قال القسطلاني: ((المنذلقة وضدَّها المصمتة، وهي ستة أحرف: الفاء، والراء، والميم، والنون، واللام، والباء الموحدة، وسميت بذلك لخروجها من ذلق اللسان والشفة وهو طرفهما))[٥].

يُعدّ الخليل أول من ذكر مصطلح الذلاقة، وجعل حروفها الضابط في الحكم على عروبة الكلمة وتميزه من الدخيل في قوله: ((إنَّ حروف الذلق والشفوية ستة وهي:(ل، ن، ف، ب، م)، وإنَّما سميت هذه الحروف ذلقًا؛ لأنَّ الذلاقة في المنطق إنَّما هي بطرف أسلة اللسان والشفتين وهما مدرجتا، هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية (ر ل ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية (ف، ب، م) مخرجهما من بين الشفتين خاصة. لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلّا في هذه الأحرف الثلاثة فقط ،...، فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من الحروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أنَّ تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست في كلام العرب؛ لأنَّك لست واجدًا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية إلّا وفيها من الحروف الذلق أو الشفوية واحد أو اثنان أو أكثر))[٦].

يُرجِع القاري سبب جمع هذه الحروف في مصطلح واحد على الرغم من أنَّها تنتمي إلى حيّزين الشفة وطرف اللسان إلى معنى ((الذلاقة)) فيقول: ((يقال لها مذلقة لخروجها من ذلق اللسان... وبعضها من ذلق الشفة))[٧].وأمّا الذلق فجعله خاصًا بأصوات طرف اللسان،

---

(١) العين: ١٣٤/٥ .

(٢) ينظر: الصحاح: ١٤٧٩/٤.

(٣) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٠٣.

(٤) الروضة الندية في شرح متن الجزرية: ٣٥.

(٥) اللآلئ السنية: ٩٠.

(٦) العين: ١٢/١، ٥١ – ٥٢.

(٧) المنح الفكرية: ١٠٥.

ودليل ذلك أنَّ الخليل فصل بينهما في قوله (الحروف الذلق والشفوية)[١]. أمّا سبب اختيار العلماء لأصوات الذلاقة في تحديد الحروف العربية وتمييزها من الدخيلة فيقول القاري: ((وإنَّما ذلك يرجع لخفتها، فلذلك عادلوا بها الثقيلة؛ ولأجل ما ذكر حكموا بأنَّ عسجدًا اسم للذهب اعجمي لكونه من بنات الأربعة وليس فيه حرف من حروف المذلقة))[٢].

والأصوات المذلقة هي: الفاء، والراء، والميم، والنون، واللام، والباء، مجموعة في عبارة (فر من لب) [٣].وينقل القاري نصًّا عن مكي يذكر فيه: ((أنَّ الألف ليست من المذلقة ولا من المصمتة؛ لأنَّها هوائية لا مُستقر لها في المخرج))[٤]. ووافق المحدثون القدماء في أنَّ معنى الذلاقة هي الخفة[٥]. قال الدكتور إبراهيم أنيس: فالذلاقة ((لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف وهو القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثّر أو تلعثم، فذلاقة اللسان كما نعلم جودة نطقه في أثناء الكلام))[٦].غير أنَّ بعضًا منهم يرى أنَّ هذا المصطلح ليس له دلالة صوتية محددة، وهي ألصق بالدراسة الصرفية[٧].

أما الإصمات في اللغةِ: فقد جاء في العين: ((الصَّمْتُ: طول السكت))[٨]. وقيل أيضًا: ((المصمت: هو الذي لا جوف له))[٩]. أمّا في **الاصطلاح:** فهو ((ثقل الحرف عند النطق به لخروجه بعيدًا عن طرف اللسان والشفتين))[١٠]. أو هي: ((الأصوات التي أصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها –صعوبتها– على اللسان))[١١].قال

---

(١) ينظر الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري: ١٤٢، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٢٣.

(٢) المنح الفكرية: ١٠٥.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ٢٣، ٩٠، والمنح الفكرية: ١٠٥.

(٤) المنح الفكرية:١٠٥، وينظر: الرعاية: ٦٦.

(٥) ينظر: فقه اللغة: ١٥٢.

(٦) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ١٠٥، والدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري: ١٤٤.

(٧) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد:٢٥٧.

(٨) العين: ١٠٦/٧.

(٩) لسان العرب: ٢٥٨/٣.

(١٠) العميد في علم التجويّد: ٦٢.

(١١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٠٤.

القسطلاني: ((المصمتة ضد المذلقة،...، وسميت بذلك لأنَّها من الصمت وهو المنع، إذ لم نجد كلمة رباعية، فما فوقها بناؤها من الحروف المصمتة؛ لثقلها إلّا ما ندر كمسجد))[١].

فالقسطلاني يوافق ابن جني في مفهومه لحروف الإصمات في قوله: ((سميت الحروف... مصمتة، أي صمت عنها أن تتبنى كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلاقة))[٢]. وهذا رأي أغلب علماء العربية[٣].ووافق علي القاري سابقيه في مفهوم الإصمات فقال: ((الإصمات هو المنع))[٤]. مستشهدًا لذلك بنص الأخفش[٥] الذي قال: ((لأنَّ من صَمَتَ مَنَعَ نفسه من الكلام))[٦].

أمّا الحروف المصمتة فهي ثلاثة وعشرون حرفًا عند القسطلاني والقاري: ((الهمزة، والهاء، والألف، والعين، والحاء المهملتان، والخاء والعين المعجمتان، والقاف والكاف، والجيم، والشين المعجمة، والياء، والضاد المعجمة، والطاء المهملة، والدال المهملة، والتاء المثناة، والظاء المعجمة، والثاء المثلثة، والذال المعجمة، والصاد، والسين، والزاي، والواو))[٧].

ووافق هذا الكلام الذي ذكره علماء العربية وعلماء التجويّد في مفهوم الإصمات، ونجد المحدثين جاؤوا بالمفهوم ذاته ولم يخرجوا عن السياق الذي ساروا عليه في أنَّ ((الأصوات المصمتة ضد المذلقة، وهي أصوات العربية –ما عدا المذلقة الستة ،...، وسميت مصمتة؛ لأنَّها أصمتت –أي منعت أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب إذا كثرت حروفها.. فهي ممنوعة من إفرادها في كلمة مؤلفة من أربعة أصوات أو أكثر))[٨].

---

(١) اللآلئ السنية: ٢٣، ٩١.

(٢) سر صناعة الإعراب: ٧٨/١.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ٤٥/١، والرعاية: ٧٣ – ٧٤، والموضح في التجويد: ٩٥، وشرح الشافية: ٢٥٨/٣، والتمهيد في علم التجويد: ٩٧.

(٤) المنح الفكرية: ١٠٥.

(٥) هو أبو الحسن، سعيد بن مسعدة، البلخي ،البصري ،المعروف بالأخفش الأوسط(ت٢١٥هـ)،ينظر:الأعلام:١٠١/٣.

(٦) المنح الفكرية:١٠٥.

(٧) اللآلئ السنية: ٩١، وينظر: والمنح الفكرية: ١٠٥.

(٨) علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا): ٢٣٧.

سادسا: التفخيم والترقيق

التفخيم لغة: ((فخم: فَخُمَ يَفْخُم فخامةً فهو فخم أي: عبل –الضخم– [١]. وفلان فخم فلان أي: يبجله ويجله. وتفخيم الكلام: تعظيمه. والرفع في الكلام تفخيم)) [٢].

واصطلاحا: ((هو عبارةً عن سِمَنٍ يدخلُ على جِسْمِ الحرفِ فيمتلئُ الفَمُ بصداه)) [٣]. ويعرف أيضًا بأنَّه ((الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان، بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي، عند نطق الصوت))[٤].

لم يذكر القسطلاني والقاري صفتي التفخيم والترقيق مع الصفات، وإنما أفرداها بباب خاص في التراكيب، وتنبَّه الدكتور غانم قدوري الحمد إلى ذلك، فقال: ((يذهب كثير من علماء التجويد إلى اعتبار الترقيق والتفخيم من الأحكام التي تخص الأصوات في حالة التركيب)) [٥]. والتزامًا منا بمنهجية البحث المتبعة لدى أكثر العلماء في وضعهم لهذين المصطلحين ضمن الصفات المتقابلة، قررنا تضمينها مع الصفات.

ولم يختلف القسطلاني مع علماء الأصوات السابقين له في مفهوم التفخيم؛ إذ ذكر أنَّ حروف الاستعلاء السبعة –الخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، والقاف– هي حروف التفخيم على الصواب كما أفاد الناظم[٦]؛ وذلك ((لكونها أقرب حروف اللسان إلى الحنك فأشبهت حروف الاستعلاء فكانت مفخمة مثلها))[٧].

وعلى الوصف الذي ذكره القسطلاني للسان مع حروف الاستعلاء فإن حروف الإطباق كذلك تشارك في التفخيم كما ذكر مكي في قوله: ((حروف التفخيم وهي حروف الإطباق المذكورة، يتفخم اللفظ بها لانطباق الصوت بالريح مع الحنك، ومثلها في

---

(١) العين: ١٤٨/٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٨١/٤.

(٣) مرشد القارئ: ٧٣ – ٧٤.

(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٤٥.

(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٥٠، وينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٤٨.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ٨٩.

(٧) المصدر السابق: ١١٣.

التفخيم))[١]. وأكده القسطلاني في قوله: ((الإطباق يلاقي طابقتين: اللسان، والحنك الأعلى عند لفظها، وهو أبلغ من العلو))[٢].

مايز القسطلاني بين أصوات التفخيم متفقًا في ذلك مع مكي، فذكر أنَّ الطاء أعلى هذه الحروف، لكنه اختلف معه في طريقة التمييز، إذ نظر مكي إلى المنطقة التي ((ينحصر الصوت فيها بين ظهر اللسان والحنك الأعلى إذ يرتفع أقصى اللسان، ويتراجع إلى الجدار الخلفي للحلق من جهة، ويتصل طرف اللسان عند مخارج هذه الأصوات من جهة أخرى، مما يسبب في انحراف الصوت، بين المنطقة المقعرة من وسط اللسان، وما يقابلها من الحنك، فيخرج الطاء أقوى في الأطباق والتفخيم))[٣]. أما القسطلاني فصنفها على أساس ارتفاع اللسان كما ذكرنا في النصِّ المتقدم.

وأيّد المحدثون ذلك، فوحدوا بين هذه المصطلحات الثلاثة – الاستعلاء، والإطباق، والتفخيم[٤]، فضلًا عن أصوات الاستعلاء والأطباق، فقد ذكر القسطلاني أصواتاً أخرى توصف بالتفخيم وهي الألف، واللام، والراء، أما تفخيم الألف فذكر القسطلاني أنَّ الألف ((إذا كان بعد حرف مستعل، فإنها تكون تابعة له في التفخيم، للزومها فتحته)) [٥].

وقد سبق سيبويه القسطلاني في جعله الألف من الحروف المفخمة؛ إذ ذكرها مع الأصوات الفروع التي ((يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار، وهي... ألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة)) [٦].

يشير القسطلاني إلى اختلاف آراء العلماء، في تفخيم الألف، فينقل عن ابن الجزري قائلاً: ((قال في النشر: الصحيح أنَّ الألف لا توصف بترقيق، ولا بتفخيم بل هي بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقًا وتفخيمًا)) [٧].

---

(١) الرعاية: ٦٨.

(٢) اللآلئ السنية: ٩٠، وينظر: الدرس الصوتي عند القسطلاني ،صباح كاظم بحر (رسالة ماجستير): ٣٦.

(٣) الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي، بكر محمد أبو معيلي(رسالة ماجستير): ٤٦.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٥٣ – ١٥٥، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٤٨.

(٥) اللآلئ السنية: ١٠٨.

(٦) الكتاب: ٤٣٢/٤.

(٧) اللآلئ السنية: ١٠٨،والنشر في القراءات العشر:٢١٥/١.

وحسب ما ورد عن القسطلاني، يتضح أنَّ لتفخيم الألف صفتين، كما يذكر الدكتور عبد العزيز الصيغ: ((صفة أساسية ثابته، وبها تكون الألف صوتًا مفخمًا، وهي الألف اللهجية التي ذكرها سيبويه لغة لأهل الحجاز، وصفة ثانية وهي صفة غير ثابتة، وإنَّما مكتسبة وهي تشبه التفخيم في صوتي الراء واللام، وهذه الصفة تكون لصوت الألف حين تتبع ما تقدمها من الأصوات المطبقة أو المستعلية، وعبارة ابن الجزري يؤكد فيها أنَّ صوت الألف لا يوصف بتفخيم ولا ترقيق يؤكد أن صوت الألف المفخمة الذي ذكره سيبويه صوتًا لأهل الحجاز صوت لهجي)) [١].

يشير القسطلاني إلى أنَّ بعضًا من المتأخرين، أنكروا تفخيم الألف فيقول: ((رأيت تأليفًا للإمام أبي عبد الله محمد بن بصنمان سماه: (التذكرة والتبصرة لمن نسي تفخيم الألف او أنكره) قال فيه: (اعلم أيّها القارئ أنَّ من أنكر تفخيم الألف فإنكاره صادر عن جهله، أو غلظ طباعة، أو عدم اطلاعه أو تمسُّكه ببعض كتب التجويد التي أهمل مصنفوها فيها التصريح بذكر تفخيم الألف)، والدليل على جهله أن الألف في قراءة ورش ﴿طَالَ﴾[٢]- بتفخيم اللام-، و﴿فِصَالًا﴾[٣] -ورش وخلف بتغليظ اللام- وما أشبهها مرققة وترقيقها غير ممكن، لوقوعها بين حرفين مغلظين، والدليل على غلظ طباعهِ أنَّه لا يفرق في لفظه بين ألف (قال) وألف (حال) حالة التجويد)) [٤]. لكنه يرد عليه ويرى بأنَّه لا يمكن أن يحمل كلامه هذا على وجه الإطلاق فيقول: إنَّما ((ما وقع في كلام بعض الأئمة ،...، محمول على التنبيه على ما يفعله بعض الأعاجم من المبالغة في لفظها إلى أن يصيروها كالواو- فينبغي التحرّز عن مثل هذا التفخيم-[٥]))[٦].

أما علي القاري فيخص حروف الاستعلاء، وحروف الإطباق بالأخص، والألف واللام والراء في التفخيم، لكنه قيدها بشروط كما فعل القسطلاني ومن سبقه من العلماء، فيقول في تفخيم الألف: ((إذا كانت بعد حرف مستعلٍ فإنها تكون تابعة له في التفخيم، بناءً على

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) الأنبياء/٤٤.

(٣) البقرة/٢٣٣.

(٤) اللآلئ السنية: ١٠٨-١٠٩و(الهامش).

(٥) ينظر: المنح الفكرية: ١٣٣، ١٣٧.

(٦) اللآلئ السنية: ١٠٩.

القاعدة المقررة، من أنَّ الألف ملازمة للحرف الذي قبلها، بدليل وجودها بوجوده وعدمها بعدمه، ولذلك لا يكون قبل الألف إلّا مفتوح، فحيث كانت الألف مع حرف مستعلٍ أو شبهه مما يستحق التفخيم، استعلت الألف للزومها له ففخمت))[١]. ويعلل لمحمد الجزري سبب تفخيمه للألف فيقول: ((قال المصنف في نشره: ((إنَّ الألف إذا وقعت بعد حرف التفخيم تفخم إتباعاً لما قبلها نحو : ﴿طال﴾، و﴿قال﴾، و﴿العصا﴾؛ لأن الألف لا حيز لها حتى توصف بالترقيق والتفخيم، فتكون تابعة لما اتصلت به)) [٢].

ثُمَّ يُشكل عليه – ابن الجزري– قوله في كتاب التمهيد من أنَّ تفخيم الألف بعد حروف الاستعلاء خطأ فيقول: ((به –أي بالنص المذكور في النشر الذي يؤكد فيه تفخيم الألف– يعلم ضعف ما مشى عليه المصنف في التمهيد وجزم به شيخه ابن الجندي، إذ قال: ((إنَّ تفخيمها بعد حروف الاستعلاء خطأ)) [٣]، ثُمَّ يتدارك قوله بعد ذلك فيقول: ((لا ينغي حمل كلامه على إطلاقه كما جوزه بعض الشراح، فإن المصنف صنف "التمهيد" أولاً في سن البلوغ، والعمدة على تصنيفه "النشر" فإنه وقع آخر، وهو الحق كما جزم به القسطلاني))[٤].

ويعللّ له في موضع آخرَ فيقول إنَّه يمكن أنْ يحمل كلامه على ((حمل التفخيم الذي ضده الترقيق المعروفين عند أهل التحقيق على التفخيم العرفي اللغوي عند العامة بعيد عن اصطلاح الخاصة، وأما الإطلاق والتقييد فقد وقع في كلام الفصحاء والبلغاء مما لا ينكره أحد من العقلاء)) [٥].

وردَّ القاري على قول الشارح الرومي قوله المنصوص على أنَّ ((السكوت عن التحرز عن تفخيمه إذا كان بعد حرف مستفل فذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى التصريح بذكره، إذ يعرف كل من له أدنى دراية، أنَّ الحروف إذا فخمت تفخم حركتها، وإذا رققت رققت، فكذا ما يكون تابعاً لحركتها –أعني الألف– وهذا من الظهور، بحيث لا يساعد اللسان خلافه فلا

---

(١) المنح الفكرية: ١٣١ــ١٣٢.

(٢) المصدر السابق: ١٣٢، والنشر في القراءات العشر: ٢١٦/١.

(٣) المنح الفكرية: ١٣٢.

(٤) المصدر السابق: ١٣٣.

(٥) المصدر السابق: ١٣٤.

حاجة إلى التعرض لأمثاله)) [١]. فيقول: ((قلت أما قوله (أنه أمر ظاهر) فليس يقول به الأكابر وعلى تقدير ظهوره عند الخاصة، لابد من تقريره وتحريره في مقام تعليم العامة)) [٢].

ويُشْكِل الملا علي القاري على من قال بأنَّ مراد المصنف من الألف الهمزة فيقول: ((وقد أبعد شارح حيث قال: الظاهر أنَّ مراده بالألف الهمزة مطلقاً مصدَّرةً كانت أو متوسطة أو متأخرة، اذ الألف القائمة، لازمة لفتحة ما قبلها، فتلزمُ صفَتهُ أيضًا من ترقيق وتفخيم لها)) [٣]. فيقول: ((ووجه البعد لا يخفى؛ إذ الهمزة حيزها محقق وهي حلقية، والألف جوفية هوائية فلا يصح إطلاق أحدهما على الآخر إلّا على طريقة مجازية دون إرادة حقيقية مع أنَّه لا فائدة حينئذٍ لذكرها مع دخولها في عموم ما قبلها وإنما حَذَّرَ من تفخيم الألف لانفتاح الفم عند التلفظ بها، وذلك يؤدي إلى تسمين الحرف وتفخيمه)) [٤].

أما في تفخيم الراء فيقول القسطلاني: ((والتفخيم في الراء هو الأصل بدليل عدم افتقاره الى سبب، ولكونها أقرب حروف اللسان إلى الحنك، فاشتبهت حروف الاستعلاء، فكانت مفخمة مثلها)) [٥]. وتفخم كذلك إذا كانت ساكنة، ووقعت ((قبل حرف من حروف الاستعلاء، فإنَّها تكون مفخمة لجميع القراء كـ ﴿فِرْقَة﴾[٦]. لقوة الاستعلاء فإن كان في كلمة أخرى لم يؤثر الانفصال هو عدم لزومه)) [٧]. وأيَّده القاري في هذا التحليل؛ إذ قال: ((إنَّ حرف الاستعلاء إذا كان قبله راء فإنها تفخم كـ ﴿مِرْصَادًا﴾[٨]، و﴿قِرْطَاسٍ﴾[٩]، و﴿فِرْقَة﴾[١٠]، وليس غيرها في القرآن))[١١].

---

(١) المنح الفكرية: ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) اللآلئ السنية: ١١٣.

(٦) التوبة/١٢٢.

(٧) اللآلئ السنية: ١١٤.

(٨) الفجر/١٤.

(٩) الأنعام/٥.

(١٠) التوبة/١٢٢.

(١١) المنح الفكرية: ١٤٦.

وتفخم كذلك كما يذكر القسطلاني: ((إنْ كانت فتحة أو ضمة متصلة بالراء وحال بينها وبينها ساكن غير ممال فخمت؛ لأنَّ التناسب في الجميع، إنَّما يحصل بذلك، والمراد بالحرف الممال، الألف الممالة إمالة كبرى أو صغرى. وإنْ وقفت عليها بالرَّوْم نظرتَ إلى حالها، في فإن كانت مرققه رققه وأن كانت مفخمة فخمه؛ لأنَّ الحركة باقية)) [١].

وقال القاري: ((أنَّها تفخم إذا ضمت أو فتحت، نحو: ((رَبُّ، وَرُؤيا)) [٢]. وقال في موضع آخر: ((إنَّها تفخم إذا كانت ساكنة بعد ضمة أوفتحة، والامثلة: ﴿قُرآن﴾، ﴿قَرْنَ﴾، و﴿قَرْية﴾))[٣].

يقول القسطلاني: إذا جاءت الراء بعد كسرة و((كانت الكسرة ليست أصلاً أي عارضة، وهي ما تعرض في حالة دون أخرى، وتكون متصلة نحو كسر همزة الوصل في نحو ﴿اَرْتَابُوا﴾[٤]، ﴿أرْجعُوا﴾[٥] ومنفصلة بأن تكون في كلمة، والراء في أخرى نحو﴿رَبِّ ٱرجعون﴾[٦]، ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ﴾[٧]، فإنها تكون مفخمة))[٨].

وقد وجَّه القسطلاني فكرته في هذا النصّ وبيَّن المراد منه فوضع تنبيهًا قال فيه: ((تنبيه: الكسرة اللازمة المنفصلة لم تجيء في القرآن قبل راء ساكنه والله أعلم. فإن قلت لم اشترطوا في الكسرة التي قبل الراء اللزوم ولم يشترطوا ذلك في الكسرة التي قبل اللام؟ قلت العلّة في اشتراط لزومها، قوتها بلزومها فآثرت كذلك، وهذا بخلاف العارضة، فإنَّها ضعيفة لزوالها فلم تؤثر، ولم يشترطوا ذلك في اللام كما يأتي؛ لأنَّ أصلها الترقيق فتدبر))[٩].

---

(١) اللآلئ السنية: ١١٥ – ١١٦.

(٢) المنح الفكرية: ١٤٦.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) النور/٥٠.

(٥) يوسف/٨١.

(٦) المؤمنون/٩٩.

(٧) هود/٤٢.

(٨) اللآلئ السنية:١١٤ـ ١١٥.

(٩) المصدر السابق: ١١٥.

وأيّده القاري في ذلك، فقال: إذا كانت الكسرة ((أصلية لا عارضية ولا منفصلة، لأنَّ الأصل هو الاتصال فإنهما تفخمان كـ﴿ارجعي﴾[١]، و﴿الذي ارتضى﴾[٢]، و﴿أَمِ آرتابوا﴾[٣]. وليس المراد أن الكسرة لا تكون موجودة أصلاً على ما يتوهم)) [٤].

وأشار القسطلاني الى اختلاف آراء العلماء في بعض المواضع ومنه في قوله تعالى: ﴿فكان كُلّ فِرْقٍ﴾[٥]، فيذكر أنَّ قومًا فخمها وآخرين رققها، ويذكر عن الداني أنَّه أجاز فيها الوجهين فقال: ((قال الحافظ أبو عمرو الداني: "والوجهان جيدان" والعلّة في اختلافهم: سوغ التفخيم إمكان حرف الاستعلاء، وسوغ الترقيق وقوع الراء بين كسرتين والله اعلم)) [٦].

وأما تفخيم اللام فيذكر القسطلان، أنَّ اللام تفخم؛ لسبب عكس الراء في قوله: ((التفخيم فأنَّه لا يكون فيها إلّا لسبب ويكون في اسم الله تعالى، إذا تقدمها فتحته كـ(يا عبد الله) و﴿قال الله﴾[٧]، أو ضمة نحو﴿لما قام عبد الله﴾[٨]، و﴿يعلمه الله﴾[٩]))[١٠]. وأيّده القاري في ذلك فقال: ((يجوز تفخيم، ...، اللام من اسم "الله" الواقعة بعد الفتحة أو الضمة))[١١] . وزاد عليه فذكر أنَّ اللام إذا صاحبت الطاء،((وهي من حروف الاستعلاء فتفخم تبعًا للطاء البتة، وإنما الكلام في لامه على قاعدة ورش، من أنَّ الطاء إذا تقدمت على اللام، واتصلت بها سواء فتحت أو سكنت تفخم)) [١٢].

---

(١) الفجر/٢٨.

(٢) النور/٥٥.

(٣) النور/٥٠.

(٤) المنح الفكرية: ١٤٧.

(٥) الشعراء: ٦٣.

(٦) اللآلئ السنية: ١١٧، وينظر:التحديد في الإتقان والتجويد:١٥١ـ١٥٧.

(٧) آل عمران/٥٥.

(٨) الجن/١٩.

(٩) البقرة/١٩٧.

(١٠) اللآلئ السنية: ١١٨.

(١١) المنح الفكرية: ١٣١.

(١٢) المصدر السابق: ١٣٥.

أما الترقيق: فهو في اللغةِ: ((نقيض الغَلِيْظ والثخين. وقد رق الشيء يرق رِقَّةَ، وأرقَّهُ، ورَقَقَهُ. وترقيق الكلام: تحسينه)) [١]. وفي الاصطلاح ((هو نحول يدخل على جسم الحرف فلا يملأُ صداهُ الفم ولا يغلقه)) [٢]. ويعرف كذلك بأنهُ: ((الأثر السمعي الناشئ عن عدم تراجع مؤخرة اللسان بحيث لا يضيف فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت))[٣].

وعرف القسطلاني الترقيق فقال: ((هو انحراف الحرف عن صوته)) [٤]. وعرفه القاري فقال: ((الترقيق انحاف صوت الحرف)) [٥]. وقال أيضا: ((ترقيق الحرف انحافه، أي جعله في المخرج نحيفًا وفي الصفة ضعيفًا، وضده التفخيم)) [٦].

لقد ذكر القسطلاني والقاري هذه الصفة مع صوتي اللام والراء في مواضع معينة، فضلًا عن صوت الألف وبعض أحوال الهمزة، وحروف الاستفال، يقول القسطلاني: ((الحروف المستفلة كل الحروف عدا حروف –خُصَّ ضغطٍ قظ– كلها مرققة))[٧]. وأيّده العلّامة القاري فقال:((لا يجوز تفخيم شيء من الحروف المستفلة إلّا اللام من اسم الله)) [٨]. وهو يتابع ابن الجزري في قوله: ((الحروف المستفلة كلها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منها إلّا اللام من اسم الله تعالى)) [٩].

ويذكر القسطلاني أنَّ الألف ترقق إذا كانت بعد حرف مستفل[١٠]. ووافقه القاري في هذا، فذكر أنَّ الألف إذا كانت مع حرف مستفل، استقلت للزومها له فرققت[١١]. أمَّا الهمزة فيروي القسطلاني أنَّها ترقق إذا كان بعدها حرف مجانس ومقارن كـ﴿أعوذ﴾[١٢]،

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٤٨٣/٤.

(٢) مرشد القارئ: ٧٤.

(٣) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:١٥٠.

(٤) اللآلئ السنية: ١١٧.

(٥) المنح الفكرية: ١٤٨.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) اللآلئ السنية: ١٠٨ و(هامش المحقق).

(٨) المنح الفكرية: ١٣١.

(٩) النشر في القراءات العشر: ٢١٥/١.

(١٠) ينظر: اللآلئ السنية: ١٠٨ـ١٠٩.

(١١) ينظر: المنح الفكرية: ١٣٣.

(١٢) الناس/١.

و﴿اهدنا﴾[١]، كان التحفظ بسهولتها أشد [٢]. وقال القاري: يجوز ترقيق الهمزة في كلمة الحمد مستفلا[٣].

أمَّا في ترقيق الراء فيقول القسطلاني: ((إذا كانت الراء مكسورة كسرة لازمة أو عارضة، تامَّة أو ناقصة، سواء كانت أولا أو وسطًا او طرفًا، منونة أو غير منونة، سكن ما قبلها أو تحرك، وقع ما بعدها حرف مستفل أو مستعل، في اسم أو فعل نحو: ﴿رزقا﴾[٤]، و﴿رِجَال﴾[٥]، ﴿وفي الرقاب﴾[٦]، و﴿الغارمين﴾[٧]، و﴿الفجر﴾[٨]، و﴿من نذير﴾[٩]، إذا أتت فكلها مرققة باتفاق، لغلبة الكسرة عليها، حيث كانت فيها فإنها إذا غلبت عليها حال مجاورتها إياها فلا تغلب عليها وهي فيها أوْلى وأحق، فإنها لو فخمت حال كسرتها، لأدَّى ذلك إلى شدة كلفة اللسان، إذ التفخيم يطلب استعلاءه وتصعده، والكسرة تطلب انحداره وتسفله))[١٠]، وهي كذلك عند علي القاري، فلم يختلف عن القسطلاني في شيء؛ إذ قال: ((لا ترقق ـ الراءـ إلّا لموجب وذلك إذا كانت مكسورة كسرة لازمة مثل: ﴿رِجَال﴾[١١]، و﴿الغارمين﴾[١٢]، و﴿الفجر ۞ وليال عشر﴾[١٣] و﴿بالصبر﴾ –الموجب هو أن يقف عليها بالروم ترقق وإن وقف عليها بالسكون تفخم– أو عارضة مثل ﴿وأنحَرْ ۞ إنَّ﴾[١٤]، على قراءة ورش–أي نقل كسرة الهمزة في (إن) الى الراء الساكنة في (وانحر) فتكسر الراء وصلا[١٥]–،

---

(١) الفاتحة/٦.

(٢) ينظر: اللآلئ السنية: ١٠٩

(٣) ينظر: المنح الفكرية: ١٣٨

(٤) البقرة/٢٢.

(٥) النور/٢٢.

(٦) البقرة/١٧٧.

(٧) البقرة/١٧٧.

(٨) الإسراء/٧٨.

(٩) القصص/٤٦.

(١٠) اللآلئ السنية:١١٣ــ ١١٤.

(١١) النور/٣٧.

(١٢) التوبة/٦٠.

(١٣) الفجر/١–٢.

(١٤) التوبة/٦٠.

(١٥) ينظر: المنح الفكرية(الهامش): ١٥٠

تامة نحو ﴿رزقًا﴾ ، أو مبعضة بالاختلاس نحو ﴿أَرِني﴾[١]، أو ممالة أولاً نحو: ﴿رأى﴾[٢]، أو وسطاً نحو: ﴿الذكرى﴾[٣]، أو طرفًا؛ نحو: ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾[٤]، أو وصلا نحو: ﴿ذِكرَى الدَّارِ﴾[٥]، منونة نحو: ﴿ذِكْرًا﴾[٦]، أو غير منونة نحو: ﴿البشرى﴾[٧]، سكنَ ما قبلها كما تقدَّم مثالها، أو تحرك ما قبلها بأي حركة، سواء وقع بعد الراء حرف مستفل،..، أو مستعل كما في ﴿الرَّقَاب﴾[٨]، و ﴿رِزْقًا﴾[٩]، سواء كان في الاسم أو الفعل)) [١٠].

وينقل القسطلاني عن مكي أنَّه جعل الترقيق ضربًا من الإمالة فقال: ((إن ترقيق الراء ضرب من الإمالة وهو مذهب مكي رحمه الله)) [١١]. وأباه الجعبري وعلل ((بأن الإمالة جعل الألف كالياء والفتحة كالكسرة، والترقيق هو انحراف الحرف عن صوته، قال: ويمكن أن يلفظ بالراء مرققة غير مُمالة ومفخمة مُمالة، فمن ثم كانا متباينين، وإنما ذكروا في تأليفهم باب الراءات بعد الإمالة، لاشتراكهما في السبب والمانع، لا أنَّه ضرب منها فتدبره)) [١٢].

وتابعه علي القاري في هذه الالتفاتة؛ فقال: ((قد عبر قوم عن الترقيق في الراء بالإمالة بين اللفظين كما فعله الداني وبعض المغاربة إلا أنه تجوز؛ لأنَّ الإمالة أن ينحو بالفتحة الى الكسرة وبالألف الى الياء، والترقيق إنحاف صوت الحرف، فيمكن التلفظ بالراء مرققة غير ممالة، ومفخمة ممالة وإن كان لا يجوز رواية مع الإمالة إلّا الترقيق، وأيضًا لو كان الترقيق إمالة لم يدخل مع المضموم والساكن وإلّا لكانت الراء المكسورة ممالة وذلك

---

(١) البقرة/٢٦٠.

(٢) الأنعام/٧٦.

(٣) الأنعام/٦٨.

(٤) البقرة/١٢٦.

(٥) ص/٤٦.

(٦) البقرة/٢٠٠.

(٧) يونس/٦٤.

(٨) البقرة/١٧٧.

(٩) البقرة/٢٢.

(١٠) المنح الفكرية: ١٤٩ – ١٥٠.

(١١) اللآلئ السنية:١١٧، وينظر: الرعاية: ٦٨ – ٦٩.

(١٢) اللآلئ السنية: ١١٧.

خلاف إجماعهم، كذا ذكر المصري. والتحقيق،...، يطلق عليه –الترقيق– الإمالة مجازًا لكن الصحيح هو الفرق بينهما بأن الترقيق في الحرف دون الحركة، والإمالة في الحركة دون الحرف))[١].

أما في ترقيق اللام فيذكر الشارحان: ((الترقيق في اللام هو الأصل إذ ليست حرف استعلاء ولا مشابهة لحروف الاستعلاء)) [٢]. ويذكر أنَّ الجميع من القراء أجمعوا على ترقيقها، فيما إذا كانت في غير اسم الله المتقدمة بفتحة أو ضمة[٣].ويذكر كذلك أنها ترقق ((إذا تقدمها كسرة نحو ﴿لله الأمْرُ﴾[٤]، سواء كانت الكسرة في حرف زائد نحو ﴿بالله﴾[٥]، أو أو في جزء كلمة نحو ﴿آيات الله﴾[٦]، أو عارضة، لالتقاء الساكنين نحو ﴿ قل اللهم مالك الملك﴾[٧]، فأجمعوا على ترقيقها عملا بالأصل)) [٨].

(١) المنح الفكرية:١٤٨ـ ١٤٩.

(٢) اللآلئ السنية: ١١٨، وينظر: المنح الفكرية: ١٥٦.

(٣) ينظر:الرعاية:٦٨، واللآلئ السنية: ١١٨، والمنح الفكرية: ١٥٦، والدرس الصوتي عند المرعشي ،منى يوسف حسين(رسالة ماجستير): ٢٨٠.

(٤) الرعد/٣١.

(٥) النساء/٧٠.

(٦) الطلاق/١١.

(٧) آل عمران/٢٦.

(٨) اللآلئ السنية: ١١٨،و ينظر: المنح الفكرية: ١٥٧.

المبحث الثاني: الصفات الفرعية

صفات ثانوية للصوت فهو يحمل صفات قوة وأخرى ضعف تفضي للصوت، زيادة على صفاته الرئيسة تخصيصًا من دون التباس، ونغمة من دون إعاقة في النفس.

أولاً: الصفير:

الصفير لغة: قال الخليل: ((والصفير من الصوت كما تصفِرُ بالدواب إذا سقيت))[١].

ويقال كذلك في لغة العرب الصفير: ((هو الصوتُ بالفمِ والشَّفَتَينِ)) [٢].**وفي الاصطلاح:** صوت يخرج من الحرف عند النطق به يشبه الصفير [٣]. وعرَّف القسطلاني الصفير بقوله: ((صوت زائد بين الشفتين يصحب الصاد وأخواتها عند خروجها وحروفه(ص، ز، س)))[٤].

نلحظ على نص القسطلاني المتقدِّم انفراده بهذهِ الصفة من حيث الخروج، فيرى أنَّها أصوات تخرج من بين الشفتين، وأراه قد توهّم في ذلك، فلا علاقة للشفتين بخروج هذهِ الأصوات، فكان من الأفضل له لو نسبها إلى الثنايا، كما دلَّت عليه كتب القدماء، إذ يعد هذا المصطلح من المصطلحات التي تناولها سيبويه في كتابه قائلاً: ((وأمّا الصاد، والسين، والزاي، ...، حروف صفير، وهنَّ أندى في السمع)) [٥]، وتناولها ممن جاء بعده فقال المبرِّد: ((حروف الصفير: وهي تنسلّ انسلالاً، وهي السين، والصاد، والزاي))[٦]، وموضعها ((من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ولهن انسلال عند التقاء الثنايا لما فيهن من الصفير)) [٧]. وقال ابن يعيش: ((حروف الصفير وهي: الصاد، والزاي، والسين؛ لأنَّ صوتها كالصفير؛ لأنَّها تخرج من بين الثنايا، وطرف اللسان، فينحصر الصوتُ هنالك ويصفر به))[٨].

---

(١) العين: ١١٤/٧

(٢) لسان العرب: ٤٦٠/٤

(٣) ينظر: جهد المقل: ٦٤.

(٤) اللآلئ السنية:٩١,٢٣.

(٥) الكتاب: ٤٦٤/٤.

(٦) المقتضب: ١٩٣/١.

(٧) المصدر السابق: ١٧٤/١.

(٨) شرح المفصل: ٥٢٤/٥.

ولم يختلف علماء التجويد عن علماء اللغة، في تحديدهم مفهوم الصفير، فيقول مكي: ((وحقيقة الصفير أنَّه اللفظ الذي يخرج بقوة مع الريح من طرف اللسان مما بين الثنايا تسمع له حسًّا ظاهرًا في السمع)) [١]. ويعلل الداني سبب تسميتها فيقول: ((سميت بذلك لأنك تسمع فيها شبيهًا بالصفير عند إخراجها من مواضعها)).[٢]

وأمّا علي القاري فقد ذهب إلى ما ذهب إليه علماء العربية والتجويّد في أنَّ الصفير هو صوت يصحب الصاد، والسين، والزاي، وعرَّفه قائلاً: ((الصفير وهو صوت زائد يخرج من بين النفس يصحب هذه الحروف عند خروجها، وهو لغة صوت يُصوَّتُ به للبهائم))[٣].

وقد لاحظ علي القاري أنَّ صفة الصفير، ليست علامة كافية للتمييز بين الحروف، فيذكر صفات صوتية أخرى، تميّز هذه الحروف عن بعضها الآخر، قائلاً: ((اعلم أنَّ السين حرف مهموس من حروف الصفير، ويمتاز عن الصاد بعدم الإطباق، وعن الزاي بالهمس))[٤].

وهذا الكلام يتفق مع ما ذكره مكي من قبل عندما جعل الصفير من علامات قوة الحرف، إذ قال: ((الصاد أقواها للإطباق والاستعلاء اللذين فيها، والزاي تليها في القوة للجهر الذي فيها، والسين أضعفها للهمس الذي فيها)) [٥]. ويلتقي الدرس الصوتي الحديث مع القدماء في مفهوم الصفير، فيذكر الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ صوت الصفير يصاحب الأصوات الرخوة –س، ز، ص– عند خروجها نتيجة لضيق مجرى هذه الأصوات عند مخرجها، فتحدث عند النطق بها صفيرًا عاليًا لا يشركها في نسبة علوّ هذا الصفير غيرها من الأصوات[٦]. يقول: برتيل مالمبرج إنَّ ((الصفير: هو كون الصوت شديد الوضوح في السمع نتيجة الاحتكاك الشديد في المخرج، وصف صادق على ثلاثة صوامت هي السين،

---

(١) الرعاية : ١٥٢، وينظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين: ٩٢.

(٢) التحديد في الاتقان والتجويد: ١٠٧.

(٣) المنح الفكرية: ١٠٦.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) الرعاية: ٦٤.

(٦) ينظر: الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): ٧٣.

والزاي، والصاد)) [١]، ووافقه الدكتور أحمد مختار عمر مبيّنًا سبب التسمية بقوله: ((إنَّ هذه الأصوات سميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها)) [٢].

ثانياً: القلقلة:

القلقــة فــي اللغــة: شـدة اضـطراب الشـيء فـي تحركـه، والتقلقـل: قلّـة الثبـوت فـي المكان[٣]. أمّا في **الاصطلاح:** ((هو اضطراب اللسان عند النطق بالحرف، حتى يُسمع له نبـرة قويّـة خصوصًـا إذا كـان سـاكنًا)) [٤]. قـال القسـطلاني: مفسـرًا سـبب تسـميتها بالقلقلـة ((سميت بذلك، لأنَّها إذا سكنت ضعفت فأشبهت بغيرها فيحتاج إلى ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونها في الوقف، وحروفها قطب جد)) [٥].

وأول من عرَّف هذهِ الصفة سيبويه، إذ وصفها بأنَّها حروف مشربة بقوله: ((إنَّ من الحروف حروفًا مُشْرَبة ضُغِطَتْ من مواضعها، فإذا وقفتَ خرج معها مِن الفم صُوَيْتٌ، ونَبَا اللسانُ عن موضعهِ، وهي حروف القَلْقَلَة)) [٦]. وسار علماء العربية على وصف سيبويه مع اختلاف اللفظ، فيصفها المبرِّد بالنبرة في قوله: ((واعلم أنَّ من الحروف حروفًا محصورة في مواضعها، فتسمع عند الوقف على الحرف منها نبرة تتبعه، وهي حروف القلقلة)) [٧].

إنَّ الناظر إلى النصوص المتقدِّمة، يلاحظ اتفاق القسطلاني مع مذهب المبرِّد أكثر من اتفاقه مع سيبويه، فقد عبّر سيبويه عن القلقلة بكلمة صويت، في حين عبر المبرِّد عنها بالنبرة كما ذكرت وتابعه القسطلاني في وصفها من أنَّها صوت يشبه النبرة، وكذلك خصّ سيبويه والمبرِّد القلقة بالوقوف، في حين زاد القسطلاني على الوقف لفظة السكون في قوله:

---

(١) علم الأصوات: ١٢٠.

(٢) دراسة الصوت اللغوي: ١١٨.

(٣) ينظر: العين: ٢٦/٥، وتاج العروس: ٣٠/ ٢٧٩ .

(٤) العميد في علم التجويّد: ٦٥

(٥) اللآلئ السنية: ٢٣، ٩٢.

(٦) الكتاب: ١٧٤/٤.

(٧) المقتضب: ١٩٦/١.

((ظهور صوت يشبه النبرة حال سكونها في الوقف، وإلى زيادة إتمام النطق بها، فذلك الصوت في سكونها أبين منه في حركتها)) [١].

يوضح القسطلاني في هذا النصّ أنَّ القلقة تكون في الصوت الساكن الموقوف عليه أبين منه في الحركة[٢]؛ وذلك لأنَّ هذه الأصوات ((إذا سكنت ضعفت وعند ضعفها تكون شبيهة بغيرها من الأصوات فيؤتى يشبه النبرة كي تميزها، وكي يكمل النطق بها فكأنَّما نطقها فيه نوع من النقص يتممه الصويت، أو شبه النبرة))[٣]. وهو بذلك يخالف ما ذهب إليه المتأخرون في أنَّ القلقة لا تكون خاصة في الوقف فقط، وإنَّما في الوصل أيضًا؛ إذ قال: ((ذهب متأخرو أئمتنا إلى تخصيص القلقة بالوقف تمكينا بظاهر ما ورد من عبارة المتقدمين انَّ القلقة تظهر في هذه الحروف بالوقف، فظنوا انّ المراد بالوقف ضد الوصل، وليس المراد سوى السكون... وقوى الشبه في ذلك كون القلقلة في الوقف العرفي أبين))[٤].

وتناول علماء التجويّد القلقة بالشرح والتوضيح تبعاً لعلماء العربية، فذكر مكي أنَّها سميت بالقلقلة؛ وذلك ((لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن –حروف القلقلة– وإرادة إتمام النطق بهنّ؛ فذلك الصوت في الوقف عليهن ابين منه في الوصل بهنّ))[٥]. قال الداني أنَّها حروف مشرَّبة، إذا وقِفَ عليها خرج من الفم صويت[٦]. وذكر القرطبي القلقلة، في قوله: ((واعلم انَّ في الحروف حروفًا تَحفَزُ في الوقف وتُضغطُ من مواضعها، وهي حروف القلقلة،.... لأنَّك لا تستطيع الوقف عليها إلّا بصوت ينبو معه اللسان عن موضعه، وذلك لشدة الحفز والضغط)) [٧]. أما علي القاري فقد استعمل المعنى اللغوي إلى جانب المعنى الاصطلاحي في تعريفه للقلقلة، ومن المعنى اللغوي حدد سبب التسمية إذ قال: ((إنَّما وصفت بذلك –القلقلة– لأنَّها حين سكونها لاسيما إذا وقف عليها تقلقلَ المخرجُ حتى

---

(١) اللآلئ السنية: ٢٣، ٩٢، ٩٣.

(٢) ينظر: الرعاية: ٦٤، وجهد المقل: ١٥٠.

(٣) الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري: ١٤٨ – ١٤٩.

(٤) اللآلئ السنية: ٩٣.

(٥) الرعاية: ٦٤.

(٦) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١٠٩.

(٧) الموضح في التجويّد: ٩٣.

يسمع له نبرة قوية لِما فيها من شدّة الصوت الصاعد بها مع الضغط دون غيرها، وهي في اللغة التحرك والاضطراب)) [١].

والملاحظ على نصّ القاري أنَّه استعمل لفظة (المخرج) للتعبير عن كيفية حصول القلقلة، وأراه أكثر دقّة في تعبيره هذا، فهو يوافق طاش كبرى زادة في استعماله لكلمة المخرج حين قال: ((القلقلة لغةً التحرّك والاضطراب، وسميت هذه الحروف بذلك لأنَّها إذا وقف عليها تقلقل المخرج حتى يسمع له نبرة قوية))[٢].

أمّا عدد حروف القلقلة فهي خمسة: ((القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء))[٣]، مجموعة في عبارات مختلفة التركيب مثل ((قطب جد)) [٤]، و((جد بطق))[٥]، و((طبق جد))[٦]. ولم يختلف في هذا سوى المبرِّد الذي جعلها ستة بعد زيادته لصوت الكاف إليها[٧]. وينقل القسطلاني عن ابن الجزري أنَّ سيبويه ذكر معها التاء فقال: ((قال الناظم: "وذكر سيبويه معها التاء مع أنَّها من المهموسة وذكر لها نفخًا وهو قوي في الاختبار"))[٨]. وهذا كلام غير دقيق، فلم يذكر سيبويه التاء مع حروف القلقلة.

لقد ذكر علماء التجويّد أنَّ هذه الحروف لكي تتصف بصفة القلقلة يجب ان يجتمع في أصواتها الشدّة والجهر؛ وذلك لأنَّ الشدّة –كما يذكر المرعشي– تحصر صوت الحرف لشدّة ضغطه في المخرج، والجهر يمنع جري النفس عند انفتاح المخرج، فيلتصق المخرج التصاقًا مُحكمًا فيقوّي الصوت الحادث عند انفتاح المخرج[٩].

وبما أنَّ الشدّة والجهر من شروط حصول القلقلة، كان ينبغي على العلماء أن يدرجوا الهمزة مع أصوات القلقلة، لِما تحمله من صفات –الجهر والهمس– فهي مجهورة شديدة؛ إلّا أنَّهم لم يفعلوا ذلك، معللين سبب إخراجها لِما ((يدخلها من التخفيف حالة السكون، ففارقت

(١) المنح الفكرية:١٠٦ــ ١٠٧.

(٢) شرح المقدمة الجزرية: ٩٨.

(٣) الكتاب: ١٧٤/٤، وينظر: سر صناعة الاعراب: ٧٧/١، واللآلئ السنية: ٩٢، والمنح الفكرية: ١٠٦.

(٤) النشر في القراءات العشر: ٢٠٣/١، ومتن الشاطبية حرز الاماني ووجه التهاني: ٩٣/١.

(٥) الرعاية: ٦٤، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٩.

(٦) الموضح في التجويّد: ٩٣.

(٧) ينظر: المقتضب: ١٩٦/١.

(٨) النشر في القراءات العشر: ٢٠٣/١، واللآلئ السنية: ٩٢.

(٩) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٥٩، وجهد المقل: ١٤٨.

أخواتها، ولِما يعتريها من الإعلال)) [١]. أو لأنَّها صوت يشبه التهوّع، كما نقل المرعشي عن مكي في قوله: ((ولعلَّ سبب ذلك ما في الرعاية أنَّ الهمزة كالتهوّع وكالسعلة، فجرت عادة العلماء بإخراجها بلطافة ورفق، وعدم تكلّف في ضغط مخرجها، لئلا يظهر صوت يشبه التهوّع والسعلة)) [٢].

أمّا صوت القاف والطاء، فلِما تمتاز به هذه الأصوات من صفة الجهر عند القدماء جعلوها من أصوات القلقلة، والتي تُتْبَع صوت زائد عند الوقوف عليها؛ بسبب شدّتها واستعلائها كما ذكر القسطلاني[٣]، وهما صوتان مهموسان عند بعض المحدثين[٤]. إلّا أنَّ ذلك لا يمنع من عدّهما ضمن أصوات القلقلة، وينقل القسطلاني عن مكي والشاطبي أنَّ اصل هذه الحروف القاف، قائلاً: ((وأصل هذه الحروف القاف –مكي– وإليه أشار الشاطبي بقوله: وأعرفهنّ القاف)) [٥].

وأمّا رؤية المحدثين للقلقلة، فإنها تقارب ما ذكره علماء التجويّد من قبل، فيعرفها جان كانتينو بأنَّها ((حروف لها صوت شديد الوقع؛ لأنَّها جمعت بين الجهر والشدَّة، أي أنَّها تتمثل في خمسة أحرف شديدة ومجهورة هي، القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء. وإذا كانت هذه الحروف آخرة في الكلمة ووقف عليها كانت القلقلة شديدة جدًا وسميت (قلقلة كبرى)، وإذا كانت وسطًا سميت القلقة بخلاف ذلك أي قلقلة صغرى)) [٦].

---

(١) النشر في القراءات العشر: ٢٠٣/١، واللآلئ السنية: ٩٢.

(٢) جهد المقل: ١٥٠.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ٩٣.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٢٦٠.

(٥)ا للآلئ السنية: ٩٣، ينظر الرعاية: ٦٤، ومتن الشاطبية: ٩٣/١.

(٦) دروس في علم أصوات العربية:٣٧ـ٣٨.

ثالثاً: اللين:

اللين لغةً: ((ضد الخشونة. يقال: لان الشيء يلين لينًا، وشيء لينٌ مخفف منه))[١].

وفي الاصطلاح: ((هو اندفاع الهواء عند النطق بالصوت من الرئتين مارًا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم، في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيّق مجراه)) [٢]. أي ((إخراج الحرف من مخرجه في سهوله وعدم كلفة)) [٣].

تُعدّ صفة اللين من مصطلحات الدرس القديم، تناولها علماء العربية ، فأول من استخدمها الخليل وسمّاها بالهوائية؛ لأنَّها لا يتعلق بها شيء، وخصها بصوت الألف والواو والياء[٤]. ثم تابعه سيبويه في ذلك واستقر هذا المصطلح على يده، إذ قام بتعريف هذه الأصوات فأفرد الواو والياء عن الألف، واطلق عليها مصطلح (اللينة) في قوله: ((ومنها اللينة، وهي الواو، والياء؛ لأنَّ مخرجها يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها، كقولك: واي، الواو إن شئت أجريت الصوت ومددت))[٥]، وأفرد الألف بمصطلح خاص سمّاه المد[٦]. وميّز الواو والياء اللينة مِن الواو المدّية والياء المدّية، فيذكر أنَّ الواو إذا سبقت بالضمّة، والياء بالكسرة سميتا بالمدّية، وإذا سكنت هذه الحروف وما قبلها متحرك بالفتح فارقتا صفة المدّ نحو: اخشَيْ ياسرًا، واخشَوْا واقدًا؛ لأنَّهما ليسا بحرفي مدّ كالألف[٧].

وسار القسطلاني على ما جاء به سيبويه، واتفق معه في صفة اللين، فقال: ((اللين: صفة خاصة بحرفي "الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما))[٨]. ولم يختلف الملا علي القاري مع ما ذكره سيبويه والقسطلاني، غير أنَّه نظر إلى الجانب النطقي في التفريق بينهما، فضلًا عن الحركات التي ذكرها سيبويه فقال: ((اللين وحروفه اثنان، واو، وياء، إن سُكِّن الواو والياء وانفتح ما قبلهما يسمى لينًا لقلّة المدّ فيهما بالنسبة إلى حروف المدّ التي

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢١٩٨/٦.

(٢) الأصوات اللغوية، (إبراهيم أنيس): ٢٨، والمصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٦٠.

(٣) العميد في علم التجويّد: ٦٦.

(٤) ينظر: العين: ٥٨/١، وتذكرة النحاة: ٢٩.

(٥) الكتاب: ٤٣٥/٤.

(٦) يُنظر: الكتاب: ٤٤١/٤، والبحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري (ت-٥٣٨هـ) :٨٤.

(٧) يُنظر: الكتاب: ٤٤٢/٤، والبحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري (ت-٥٣٨هـ) :٨٤.

(٨) اللآلئ السنية: ٢٤ ٩٣.

حركة ما قبلها من جنسها؛ وذلك لأنَّ في حروف المدِّ مدًّا أصليًا، وفي حروف اللين مدًّا ما –أي مد غير محدد تمامًا ولكنه أقل من حركتين[١]– يضبط بالمشافهةُ كلٌ منهما)) [٢]. فكما ذكرنا يرى علي القاري في هذا النصّ ((أنَّ اصوات اللين تقصر مدة النطق بها مقارنة بأصوات المدّ التي يمكن إطالة الصوت بها نتيجة لاتساع مخرجهما الذي لا يمثل نقطة محددة؛ لأنَّ نشوء أصوات اللين في مخرج محقق يحد من درجة امتدادها)) [٣].

لقد اتفق المحدثون مع القدماء في أنَّ الأصوات اللينة من الممكن أن تكون ضمن الأصوات الصامتة؛ لقلّة وضوحها السمعي، إذا ما قيست بأصوات المدّ، وكذلك لقصر هذه الأصوات، يقول إبراهيم انيس: ((الياء والواو صوت انتقالي. ومن أجل هذه الطبيعة الانتقالية ولقصرهما وقلّة وضوحهما في السمع إذا قيسا بأصوات اللين، امكن أن يُعدّا من الأصوات الساكنة))[٤]. واللين عندهم ((هو المصوت، وأصوات اللين هي الأصوات المصوتة أو الحركات، ويكون المخرج متسعًا بحيث يمر الهواء دون حوائل تعترضه))[٥].واصطلحوا على الأصوات اللينة الياء والواو تسمية شبه صوت اللين[٦].

رابعاً: التكرير:

التكرير **في اللغة** من الكَرّ: ويعني الرُّجوع، وإعادة الشَّيء يقال: كَرَّرتُ الشيءَ تكريرًا وتكرارًا[٧]. **وفي الاصطلاح:** هو ((ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف)) [٨]. أو هو ((عبارة عن ضربات متتالية للسان على اللثة))[٩].

تُعدّ هذه الصفة خاصة بصوت الراء، وبها تميزت من جميع الحروف. قال القسطلاني: ((المكرر هو حرف الراء، والتكرار إعادة الشيء وأقلّه مرة،..، ومعنى قولهم

---

(١) المنح الفكرية(الهامش): ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) دراسة صوتية في كتاب المنح الفكرية: ١٤٧.

(٤) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٤٤، ودراسة صوتية في كتاب المنح الفكرية: ١٤٧.

(٥) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٦٤.

(٦) ينظر: الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٤٣.

(٧) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٨٠٥/٢ .

(٨) جهد المقل: ١٥٦، والهادي في شرح طيبة النشر في القراءات العشر: ٩٦/١.

(٩) علم الاصوات(مالمبرج): ١١٩.

مكرر: إنَّ لـه قبول التكرير؛ لارتعاد طرف اللسان بـه عند اللفظ، كقولهم لغير الضاحك: إنسان ضاحك، واتصاف الشيء أعم من أن يكون بالفعل والقوة)) [١].

وهذه الصفة من مصطلحات سيبويه التي ذكرها في كتابه، وخصّ بها حرف الراء، فقال: ((المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجَافَى للصوّت كالرّخوة، ولو لم يكرَّر لم يَجْرِ الصوت فيه، وهو الراء)) [٢]. وقال في موضع آخر: ((الراء إذا تكلمتَ بها خرجتْ كأنَّها مضاعفة)) [٣]. وتابَعهُ جلّ علماء العربية، ممن جاؤوا بعده على هذا الوصف للراء[٤]، وكذلك علماء التجويّد[٥].

ويشير القسطلاني إلى اختلاف علماء التجويّد في هذه الصفة أهي لازمة للراء أم لا؟ فينقل عن مكي أنَّه قال بإخفائها فقال: ((قال مكي: ولا بُدَّ في القراءة من إخفاء التكرير. وواجب على القارئ أن يخفي تكريره ولا يظهره، فمتى أظهره فقد حمل من الحرف المشدد حروفًا، ومن المخفف حرفين))[٦]. وتكريره لحن عند الجعبري، فيجب التحفظ عنه لا به[٧]. وللسلامة من هذا التكرار، فينقل القسطلاني عن الجعبري قائلاً: ((وطريق السلامة منه أن يلصق اللافظ به ظَهْرَ لسانه بأعلى حنكه لصقًا محكمًا مرة واحدة ومتى ارتعد حدث من كل مرة راء)) [٨].

وتابع علي القاري خطى سابقيه، فخصَّ هذه الصفة بالراء فقط؛ إذ يعرفها قائلاً: ((التكرير: إعادة الشيء، وأقلّه مرة على الصحيح، ومعنى قولهم : إنَّ الراء مكررٌ، هو أنَّ الراء له قبول التكرير؛ لارتعاد طرف اللسان به عند التلفظ، كقولهم لغير الضاحك "انسان ضاحك"، يعني أنَّه قابل للضحك، وفي الجَعْلِ إشارةٌ إلى ذلك، ولهذا قال ابن الحاجب : ((لما تحسِبُهُ من شبه ترديد اللسان في مخرجه)) [٩]. وحذر من تكرير الراء، ورأى أنَّ في

---

(١) اللآلئ السنية: ٩٤ – ٩٥.

(٢) الكتاب: ٤/٤٣٥.

(٣) المصدر السابق: ٤/١٣٦.

(٤) ينظر: المقتضب: ٣/٤٨، وسر صناعة الإعراب: ١/٧٧.

(٥) ينظر: الرعاية: ٧٠، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٨، والموضح في التجويّد: ٩٢.

(٦) اللآلئ السنية: ٩٥، وينظر: الرعاية: ١٣٥.

(٧) ينظر: اللآلئ السنية: ٩٥، وشرح الواضحة في تجويد الفاتحة(المرادي): ٤٤.

(٨) اللآلئ السنية: ٩٥، وكنز المعاني في شرح حرز الأماني: ٣١٧، وينظر: شرح الواضحة في تجويد الفاتحة: ٤٤.

(٩) المنح الفكرية: ١٠٨، وينظر: شرح الشافية لابن الحاجب: ٣/٢٥٨.

((تكريره لحن، فيجب معرفة التحفّظ عنهُ للتحفّظ به، وهذا كمعرفة السحر ليتجنب عن تضرره وليعرف وجه دفعه)) [١].

ويحذِّر القاري من تكرار الراء في اللفظ؛ لكي لا يتحول الصوت الواحد إلى أصوات متعددة، وخصوصًا إذا كانت مشدَّدة، إذ يقول: ((والحاصل أنَّك إذا قلت مثل﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[٢]، فلا تترك لسانك أن تضطرب بالراء، بل أحفظها من مخرجها، لئلا تكون لافظًا في موضع الراء الواحدة المشدَّدة براءات متعددة))[٣]. وهذا لا يعني إعدام تكريره بالكليّة؛ لأنَّ ارتعاد اللسان معه عند اللفظ صفة لازمة، لكن يجب عدم المبالغة فيه، بحيث يأتي التكرار مع الراء أثناء نطقها لمرة واحدة، حتى لا يصل حد بهذا الصوت حدَّ القبح كما وصفها ابن الطحّان[٤].

وقد أدرك علي القاري أثر التكرار على الأحكام الصوتية، إذ يذكر نصًّا لابن الحاجب ينقله أبو شامة يبيّن فيه ذلك الأثر، فيقول: ((فحسن إسكان ﴿يَنْصُرْكُمُ﴾ و﴿يُشْعِرُكُمْ﴾، ولم يحسُنْ إسكان "يقتُلُكم" و "يسمعكم"، وحسن إدغام مثل﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ﴾[٥] أحسن منه في﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾[٦]، ولم يُمَل "طالب" و "خاتم"، وأميلَ "طارد" و "غارم"، وامتنعوا من إمالة "راشد" ولم يمتنعوا من إمالة "ناشد"، وكل هذه الاحكام راجعة في المنع والتسويغ إلى التكرير الذي في الراء))[٧].

وأقرَّ المحدثون هذه الصفة وخصوها بالراء ووافقوا القدامى في وصفهم لها، إذ إنَّها تتكون نتيجة ضربات متتالية للسان على اللثة[٨]. ((وتكون في الراء الساكنة مثل فَرْد وفَرْض

---

(١) المنح الفكرية: ١٠٨ – ١٠٩.

(٢) الفاتحة/ ٣.

(٣) المنح الفكرية: ١٥٥.

(٤) ينظر: جهد المقل: ١٥٧، ومرشد القارئ: ٤٨.

(٥) آل عمران/ ١٢٠.

(٦) آل عمران/ ١٤٠.

(٧) المنح الفكرية: ١٠٩، ينظر: إبراز المعاني في حرز الأماني: ٧٥٤، والجهد الصوتي عند علي القاري في كتابه المنح الفكرية ،نيران كنعان(رسالة ماجستير): ١٥٠ – ١٥١.

(٨) ينظر: علم الأصوات(مالمبرج): ١١٩، وعلم اللغة مقدمة للقارئ: ١٧١، والأصوات اللغوية: ٦٦.

أو المشدَّدة مثل: الرَّحْمَن الرَّحْيم، وأمّا في المتحركة، فتكاد تفقد هذه التكرار، وتصير راء لمسيّة او احتكاكية، وينبغي عدم المبالغة في تكرارها))[١].

خامساً: الانحراف:

الانحراف في اللغة: تغيّرُ الشيءِ عن موضعهِ، والميل عنه كأن تقول: تَحَرَّفَ فلانٌ عن فلان وانحَرَف، واحرورَف واحد، أي: مَالَ[٢].**أمّا في الاصطلاح:** وهو ((الميل بالحرف عن مخرجه عند النطق به حتى يصل بمخرج آخر)) [٣]. أو بمعنى أوضح: ((هو صفة لصوت يتصل في إنتاجه طرف اللسان مع اللثة، فينحرف مرور الهواء، فيخرج من جانبي اللسان)) [٤].

وعرَّف القسطلاني الانحراف بالمعنى اللغوي فقال: ((الانحراف: لغة الميل))[٥]. وحدده بحرفين هما اللام والراء، ذاكرًا سبب انحرافهما في قوله: ((ويكون في الراء واللام؛ لأنَّ اللام فيها انحراف إلى طرف اللسان، والراء فيها انحراف إلى ظهر اللسان وميل قليل إلى جهة اللام، ولذلك يجعلها الألثغ لامًا)) [٦]. أمّا في كتابه (لطائف الإشارات)، فقد بيَّن أنَّ سبب الانحراف، يرجع للانحراف في المخرج، إذ يقول: ((حرفا الانحراف، وهما اللام والراء على الصحيح، لانحرافهما عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما)) [٧].

وبهذا التحديد يكون القسطلاني قد وافق سيبويه في جعله صفة الانحراف خاصة باللام والراء، إذ عرفَّها قائلاً: ((المنحرف، وهو حرفٌ شديد جَرى فيه الصَّوت لانحراف اللسان مع الصوت، ولم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة، وهو

---

(١) علم الأصوات(مالمبرج): ١١٩.

(٢) ينظر: العين: ٢١١/٣، ولسان العرب: ٤٣/٩.

(٣) العميد في علم التجويّد: ٦٦.

(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٧٧.

(٥) اللآلئ السنية: ٩٤.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) لطائف الإشارات: ٣٥٩.

اللام))[١]،وأمّا وصف الراء فيقول: ((المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام)) [٢].

وأشار القسطلاني إلى اختلاف العلماء في أصوات هذهِ الصفة، إذ تتبعهم فلاحظ انقسامهم على طائفتين: إحداهما رأت أنَّ الانحراف خاص بحرفين هما: اللام والراء، وهو مذهب سيبويه، ومكي، وابن الجزري، إذ يقول: ((وفي النشر حرفا الانحراف اللام والراء على الصحيح، قلت: وهو مذهب مكي، ونُسب إلى الكوفيين –الداني–، قال الجعبري: وهو مذهب سيبويه)) [٣]. وقد أخذ بهذا القول. في حين خصَّت الطائفة الأخرى الانحراف بصوت اللام فقط، فيقول: ((وفي اللام فقط، وهو مذهب الداني، وابن الحاجب، ونسب إلى البصريين ـابن الجزري ـ)) [٤].

واتفق علي القاري مع علماء العربية الذين سبقوه في استعمال مصطلح الانحراف، وجعله صفة لحرفي اللام والراء معًا، ولم يختلف عمَّا أورده القسطلاني في شيء، إذ يرى أنَّ الانحراف يكون في المخرج، فيقول: ((ووصف الانحراف صحح ثبوته، وإنَّما قيل اللام والراء منحرفان؛ لأنَّ اللام فيه انحراف وميل إلى طرف اللسان، والراء فيه انحراف إلى ظهر اللسان وميل قليل إلى جهة اللام؛ لذلك يجعلها الألثغ لامًا))[٥].

وامّا علماء الصوت المحدثون، فقد جعلوا الانحراف خاصًا باللام فقط[٦]. وتتكون ((بوضع عقبة في وسط المجرى الهوائي مع ترك منفذ للهواء عن طريق احد جانبي العقبة، أوعن جانبيها، ومن هنا كانت تسميتها بالمنحرف أو (الجانبية)...))[٧].

---

(١) الكتاب: ٤/٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) اللآلئ السنية: ٩٤، وينظر: الرعاية:٧٠ــ٧١، والتحديد: ١٠٨، والنشر في القراءات العشر: ١/٢٠٤، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ٣/٤٩٥، والبحث الصوتي عند الكوفيين ،علاء حسين الخالدي (رسالة ماجستير): ١٠٨.

(٤) اللآلئ السنية: ٩٤، وينظر: التحديد: ١٠٨، وشرح الشافية (لابن الحاجب): ٣/٢٥٨، والنشر في القراءات العشر: ١/٢٠٤.

(٥) المنح الفكرية: ١٠٨.

(٦) ينظر: دروس في علم أصوات العربية: ٣٨.

(٧) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٢٧٥ ـ٢٧٦،وينظر:علم اللغة مقدمة للقارئ: ١٦٩، علم الأصوات العام، كمال كمال بشر: ٣٤٧،واسس علم اللغة:٨٦.

سادساً: التفشي:

التفشي في اللغة: هو الانتشار ((فشا: تَفَشَّأَ الشيء، تفشؤا: انتشر. تَفَشَّأَ بالقوم المرضُ، إذا انتشر فيهم))[١]، و ((تَفَشَّى الشيء، أي: اتسع))[٢]. **وفي الاصطلاح:** هو اشتغال اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر، ما بين الغار واللثة))[٣]. وهو((كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بحرف الشين))[٤].

وخصَّ القسطلاني هذهِ الصفة بحرف الشين وعرَّفها قائلاً: ((التفشي: وهو في الشين وحده،..، وتعني انتشار الصوت عند لفظها))[٥].ويعلّل سبب تسميتها بالتفشي فيقول: ((لأنَّها تفشت –الشين– عند النطق بها حتى اتصلت بمخرج الطاء))[٦].

ويشير القسطلاني إلى اختلاف آراء العلماء في عدد حروف التفشي، فينقل عن مكي انَّهُ زاد على حرف التفشي –الشين– حرفًا آخرًا هو الثاء، وهذا الكلام يحتاج إلى وقفة، فالمتفشي عند مكي هو صوت الشين فقط، ويتبيَّن ذلك في قوله: ((الحرف المتفشي وهو في الشين، وسميت بذلك؛ لأنَّها تفشّت في مخرجها عند النطق بها، حتى اتصلت بمخرج الظاء)) [٧]. ولم يزد الثاء، وإنَّما عبَّر عنها بلفظة (قيل) إذ قال: ((وقد قيل: إنَّ في الثاء تفشيًا)) [٨]. وهذا إنْ دلَّ على شيء، فيدلّ على عدم موافقتهِ لهذا الرأي؛ لأنَّه لا ينسجم مع الضابط الذي وضعه للتفشي من ناحية كثرة انتشار خروج الريح[٩]، حين عرَّفه بأنَّه ((كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق به)) [١٠].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٣/١ .

(٢) المصدر السابق: ٢٤٥٥/٦.

(٣) علم الأصوات(مالمبرج): ١٢٠

(٤) الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: ٥٢

(٥) اللآلئ السنية: ٩٥.

(٦) لطائف الإشارات: ٣٥٩.

(٧) الرعاية: ٧٣.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٩) ينظر: الخلاف الصوتي عند علماء التجويّد: ١٦٨

(١٠) الرعاية: ٧٣.

وينقل عن الداني وابن الجزري أنَّهما حصرا هذه الصفة بالشين فقط[١]. والمتحقق في كتاب التحديد يجد أنَّ الداني توسّع بحروف صفة التفشي، حتى جعلها تشمل صوت الشين والفاء معًا، إذ قال: ((والمتفشي حرف واحد وهو الشين، تفشت في الفم لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج الظاء، وكذلك الفاء تفشت حتى اتصلت بمخرج الثاء، ولذلك تبدل منها، فيقال: جدف، وجدث)) [٢].

ويتابع بعرض آراء العلماء لحروف التفشي فيذكر عن الجعبري أنَّ صاحَبَ درُّ الأفكار –وهو شيخ الجعبري[٣]– قد زاد الفاء إلى حروف التفشي، وبعضهم أضاف الضاد – المبرِّد وابن جني–[٤]، ثم يوضح سبب التفشي بالضاد عائد للمخرج، وفي الشين عائد لصوته أي أنَّ التفشي والانتشار، صفة ذاتية حاصلة فيه عند النطق بها، مستندًا في كلامه على نص الجعبري الذي يقول فيه: ((والتحقيق إنَّ الضاد انتشر بمخرجه وذاك –أي الشين– لصوته))[٥]. وحسم المرعشي هذا الخلاف في حروف التفشي فقال: ((بالجملة إنَّ الحروف المذكورة مشتركة في كثرة انتشار خروج الريح، لكن ذلك الانتشار في الشين أكثر، ولذا اتفق في تفشيه، وفي البواقي المذكورة قليل بالنسبة إليه لذا لم يصفها اكثر العلماء بالتفشي)) [٦].

واستعمل علي القاري مصطلح التفشي، ولم يختلف عن سابقيه أمثال القسطلاني، إذ خصَّ صفة التفشي بحرف واحد وهو الشين، وذكر معناها اللغوي فقال: ((التفشي: الانبثاث والانتشار)) [٧]. وقال كذلك: ((صفة التفشي ثابتة للشين، والمعنى أنَّ الشين موصوف بانتشار الصوت عند خروجها حتى تتصل بحروف طرف اللسان، منها مخرج الظاء المشالة))[٨].

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ٩٥.

(٢) التحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٧ـ١٠٨.

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري (ت:٧٣٢هـ)،الأعلام:١/٥٥.

(٤) ينظر: المقتضب: ٢١٤/١، وسر صناعة الإعراب: ٢٣٠/١، واللآلئ السنية: ٩٥.

(٥) اللآلئ السنية: ٩٥.

(٦) جهد المقل: ١٥٩.

(٧) المنح الفكرية: ١٠٩.

(٨) المصدر السابق: ١١٠.

وتعبير الملا القاري يطابق ما ذكره القرطبي وابن الجزري من حيث انتشار الصوت في التفشي، ويخالف مكي الذي جعل انتشار الريح للتفشي[١]، والأرجح لهذه الصفة استعمال الريح بدلاً من الصوت؛ لأنَّ الأصوات تتكون من خلال خروج الريح أو النفس من داخل الإنسان (الرئتين).

وشابه الدرس الصوتي الحديث القدماء في صفة التفشي، فهي عندهم ((أنْ يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر، ما بين الغار واللثة، وهو صوت صادق على الشين، ولولا التفشي لصارت الشين سينًا، كما يحدث لدى بعض ذوي العيوب النطقية، ولاسيّما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار))[٢].وحال اللسان عند النطق بالشين يبينه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: ((إنَّ منطقة الهواء في الفم، عند النطق بالشين، أوسع منها عند النطق بالسين))[٣].

سابعاً: الاستطالة:

الاستطالة في اللغة: من الطّول، وهي بمعنى الامتداد، مِنْ ذَلِكَ طَالَ الشَّيْءُ يَطُولُ طُولاً: أي امتدَّ[٤]. **وفي الاصطلاح** هو ((أنْ يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر)) [٥]. سمّى القسطلاني هذهِ الصفة بالمستطيلة، وخصَّها بصوت الضاد[٦]. وعرَّفها من الجانب اللغوي والاصطلاحي فقال: ((الاستطالة في اللغة: بُعْدَ المسافتين))[٧]. وفي الاصطلاح هي: ((الامتداد من أول حافة اللسان إلى آخرها))[٨].

---

(١) ينظر: الموضح في التجويّد: ٩٦، والحواشي المفهمة: ١٦٣، وينظر: المنح الفكرية: ٩٨ – ٩٩، ١٠٩ـ١١٠.

(٢) علم الأصوات(برتيل مالمبرج): ١٢٠.

(٣) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٧٥.

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ٤٣٣/٣ ، ولسان العرب: ٤١١/١١.

(٥) علم الأصوات(برتيل مالمبرج): ١٢٠.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ٩٥.

(٧) اللآلئ السنية: ٩٦.

(٨) المصدر السابق ٢٤، ٩٥.

الملاحظ على النصوص المتقدِّمة للقسطلاني، يجد أنَّ التعريف اللغوي يطابق تعريفه الاصطلاحي، من حيث تحديده للاستطالة بمسافة البعد بين أول حافة اللسان وآخره. وينقل عن مكي سبب تسميتها بالاستطالة قائلاً: ((سمّي بذلك –الضاد– لأنَّه استطال عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام؛ وذلك لما فيه من القوة والجهر والإطباق والاستعلاء))[١].

ويذكر بعض الباحثين المحدثين، أنَّ هذه الأسباب ليست كافية بنفسها لوصف الضاد بالاستطالة؛ لأنَّ ما تجمعهُ الضاد من صفات القوة، قد جمعته الطاء أيضًا، إلّا أنَّها لم توصف بالاستطالة[٢].

لقد لاحظ القسطلاني وجود رابطة تجمع المستطيل والممدود فحاول التفريق بينهما قائلاً: ((فإن قلت: ما الفرق بين المستطيل والممدود؟ قلت: الفرق بينهما إنَّ المستطيل جرى من مخرجه، والممدود جرى في نفسه، فتدبّر))[٣].ولم تختلف فكرة القاري عن القسطلاني في مفهوم الاستطالة فعرَّفها لغةً بأنَّها: ((أبْعَدُ المسافتين))[٤].ووافقه كذلك في معناها الاصطلاحي من أنَّها ((الامتداد من أول حافة اللسان إلى آخرها))[٥]. وحددها بصوت الضاد فقط متابعًا في ذلك مكي والداني وغيرهم[٦]. فقال: والضاد حرف مستطيل، يخرج من حافة اللسان، ووصف بذلك لأنَّه يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام، وللتحيّز بين المخرجين باعتبار واحد صَعُبَ اللفظ بها[٧].

واتفق القاري مع القسطلاني في الصلة التي تربط الممدود بالمستطيل، إذ نقل نصًّا عن الجعبري فرَّق فيه بينهما كما فعل القسطلاني ويثبت فيه أنَّ المستطيل جرى من مخرجه، والممدود في نفسه[٨].

---

(١) اللآلئ السنية: ٩٥، ٩٦، وينظر: الرعاية: ٧٢.

(٢) ينظر: الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري: ١٥٧.

(٣) اللآلئ السنية: ٩٦.

(٤) المنح الفكرية: ١١٠.

(٥) المصدر السابق:١١٠,١٧٧.

(٦) ينظر: الرعاية: ٧٢، والتحديد في الإتقان والتجويّد: ١٠٨، والموضح في التجويّد: ٩٦.

(٧) ينظر: المنح الفكرية: ١١٠، ١٧٧.

(٨) ينظر: المصدر السابق: ١١١، وكنز المعاني: ٣١٧.

وجاء المرعشي بتوضيح يكاد يكون أكثر إفهامًا في التفريق بينهما إذ قال: ((إنَّ للمستطيل مخرجًا له طول في جهة جريان الصوت فجرى في مخرجه بقدر طوله، ولم يتجاوزه، ولما عرفت انَّ الحرف لا يتجاوز مخرجه المحقق، وليس الممدود مخرج فلم يجرِ إلّا في ذاته لا في مخرج، إذ المخرج المقدَّر ليس بمخرج حقيقةً، فلا ينقطع إلّا بانقطاع الهواء، ولأجل هذا الفرق اختلفت تسميتاهما، ولو انعكست لصحَّ، لكنهم اختاروا ذلك))[١].ويرى المرعشي أنَّ الصوت المستطيل يحتاج إلى زمن لنطقه أكثر من بقية الحروف، ولكن لا يبلغ زمن الصوت الممدود[٢].

ولم يختلف المحدثون مع القدماء في هذه الصفة وحروفها، فالاستطالة لديهم: ((يقصد بها أنْ يستطيل مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر، وذلك وصف ينطبق على الضاد القديمة الرخوة التي تخرج مما بين جانب اللسان، وبين ما يليه من الأضراس، سواء من يمين اللسان او من شماله، أو من الجانبين، والأكثر من اليمين هذا المخرج القديم للضاد كان يستطيل حتى يتصل بمخرج اللام الجانية؛ ولذلك وصفت بالاستطالة قديمًا، ونطقها بعض الأفارقة لامًا))[٣].

ثامناً: الجرسي والمهتوف:

الجرس لغةً: جاء في العين ((الجَرسُ: مصدر الصَّوتِ المجروس، والجَرسُ: الصَّوتُ نفسه، وَجَرستُ الكلام: تكلّمتُ به، وجَرسُ الحرف: نغمة الصَّوتِ))[٤]. وأمّا الهتف فهو ((الصوت الشديد. هَتَفَ يَهتِفُ هَتْفًا، وهتفتِ الحمامة: ناحت))[٥].

والجرس اصطلاحًا: ((هو قوة وضوح الصوت وعلوِّه عند النطق به)) [٦]. أمّا **الهتف في الاصطلاح** فهو يقابل المعنى اللغوي ويعني ((الصوت الشديد))[٧].

---

(١) جهد المقل: ١٦٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٧٤.

(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٧٤.

(٣) علم الأصوات(برتيل مالمبرج): ١٢٠.

(٤) العين: ٥١/٦.

(٥) المصدر السابق: ٣٤/٤.

(٦) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٨٤.

(٧) الرعاية: ٧٥.

وزاد القسطلاني هذه الصفات إلى مجموعة الصفات المفردة التي ذكرها ابن الجزري، وجعلهما خاصتين بصوت الهمزة[١]. فقال: الجرس والمهتوف: وهما صفتان خاصتان بصوت الهمزة لشدَّة نبرتها[٢]. والمعنى الذي ذكره القسطلاني للجرسي والمهتوف يطابق ما جاء به مكي، إذ ذكر بأنَّ الحرف الجرسي خاص الهمزة، وعلَّل سبب تسميتها قائلاً: ((سميت بذلك؛ لأنَّ الصوت يعلو عند النطق بها، ولذلك استثقلت في الكلام، فجاز فيها التحقيق، والتخفيف، والبدل، والحذف، وبين البين، وإلقاء الحركة))[٣].

وذكر مكي أنَّ الهمزة لها ميزة خاصة عن باقي الأصوات في زيادة صوتها فقال: ((الجرس في اللغة: الصوت، فكأنَّه الحرف الصوتي، أي المصوت به عند النطق به، وكل الحروف يصوَّت بها عند النطق بها، لكن الهمزة لها مزيّة زائدة في ذلك، ...ولذلك قال الخليل: الهمزة كالتهوع، وكالسعلة، فلمّا كان في الصوت بها زيادة على سائر الحروف، نُسِبَتْ إلى نلك الزيادة فقيل لها الجرسي))[٤]. وذكر بعض العلماء هذه الصفة –الجرسي– لكنهم خصوها بالألف[٥].

أمّا الدرس الصوتي الحديث فنسب هذه الصفة إلى غير الصوت الإنساني، يقول تمّام حسّان: ((الجرس أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة، كالنقر على الخشب او الطبلة، وكالاصطدام وضجيج حركة المرور، وما يُسْمَع نتيجة سقوط جسم آخر، وحكِّ جسمٍ بجسم))[٦]. وهو ((الصفة الجوهرية التي يمتاز بها الصوت من صوت لآخر))[٧].

وخصَّ مكي ذلك الهتف بالهمزة فقال: ((الحرف المهتوف: وهو الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوتٍ قوي شديد، والهتف: الصوت الشديد، يقال هتف به، إذا أصوت، وهو في المعنى بمنزلة تسميتهم للهمزة بالجرسي؛ لأنَّ (الجرس): الصوت الشديد، والهتف الصوت الشديد، فسميت الهمزة بذلك؛ لشدة الصوت بها،

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ٩٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الرعاية: ٧١–٧٢.

(٤) المصدر السابق: ٧٢.

(٥) ينظر: جمهرة اللغة: ٤٥/١، وشرح المفصل لابن يعيش: ٥٢٥/٥، والموضح في التجويّد: ٩٦.

(٦) مناهج البحث في اللغة: ٥٩.

(٧) ينظر: مبادئ في اللسانيات: ٤٧، والبحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري: ٩٩.

وقوته))[١]. وينقل مكي أنَّ بعض العلماء استعمل مصطلح المهتوت –بتاءين– بدلاً من المهتوف –الخليل–، فقال: ((لأنَّ الهمزة إذا وقفت عليها (لانت) وصارت إما (واوًا) وإما (ياءً) وإما (ألفًا)))[٢]. فمن النصّ المذكور يتضح أنَّ المهتوف يماثل المهتوت ولا يختلف عنه ويذكر أحد المحدثين ذلك قائلاً: ((المهتوف والمهتوت مصطلحان يدلان على صفة واحدة في صوت الهمزة، وهي قوة هذا الصوت وشدّته))[٣].

وتُعدّ هذه الصفة في الدرس الصوتي الحديث من مصطلحات الضعف، وتختص بثلاثة أصوات، يقول الدكتور عبد العزيز الصيغ ((الهَتّة: هي ضَعْفٌ يعتري اصواتًا ثلاثة وهي الهاء، والهمزة، والتاء يجعل أصواتها خافتة تتطلب جهدًا من الناطق في إيضاحها))[٤].ولم يذكر علي القاري أيًّا من هذه الصفات، واكتفى بالصفات التي ذكرها ابن الجزري في مقدمته.

تاسعاً: الخفية:

الخفاء لغةً: ((يقال: خفاْ خفيًا، وخفي الشيء يخفى، وأخفيته (إخفاء) وهو في خفيةٍ إذا سترته))[٥]. وأمّا **الخفاء في الاصطلاح** فيقصد به: ((عدم وضوح الصوت لاتساع المخرج))[٦]. قال القسطلاني: ((الخفاء الاستتار، سميت بذلك لخفائها باللفظ إذا اندرجت بعد حرفٍ قبلها))[٧]. وخصَّ صوت الهاء بهذه الصفة فقال: ((الخفية وهي الهاء وحدها))[٨]. وهو يتابع ابن الجزري –الناظم– في حرفها. ويذكر القسطلاني اختلاف آراء العلماء في أصوات هذه الصفة، فقد استعمل الخليل صوت الهاء ووصفها بأنَّها مهموسة خفيّة لا صوت

---

(١) الرعاية: ٧٥– ٧٦.

(٢) المصدر السابق: ٧٦.

(٣) المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر: ١٤نقلاًعن الدرس الصوتي عند مكي:٦٧.

(٤) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٧٦.

(٥) مجمل اللغة:٢٩٧.

(٦) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٦٩.

(٧) اللآلئ السنية: ٢٥، ٩٧.

(٨) المصدر السابق: ٩٦.

لها[١]. وتابعه سيبويه في استعماله مصطلح الخفاء، غير أنَّه زاد عليه –الخليل– أصوات المدّ واللين، والنون[٢].

وكما شغلت هذه الصفة حيّزًا لدى علماء العربية، شغلت كذلك حيّزاً عند علماء التجويّد إذ أوردوها في مؤلفاتهم، فيعرفها مكي في قوله: ((الحروف الخفيّة: وهي أربعة (الهاء) وحروف (المدّ واللين)، وإنَّما سميت بالخفيّة؛ لأنَّها تُخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها، إنَّما لفظها في هذا خفي بين حرفين، أو بعد حرف، أو حروف هواء))[٣]. وهي كذلك عند القرطبي في قوله: ((وأمّا الخفيّة فالهاء، والألف، والياء، والواو، وذلك لاتساع مخرجهن، وأوسعهن مخرجًا الألف لأنَّه لا علاج على اللسان فيها كالنفس، ثم الهاء، ثم الياء، ثم الواو، ومما يشرك هذه الحروف في الخفاء: النون إذا سكنت في غير إظهار ولا إدغام ولا قلب))[٤]. أمّا علي القاري، فلم يذكر هذه الصفة أيضًا، إذ لم نجدها مع الصفات التي ذكرها فكان ملتزماً بالترتيب الذي وضعه ابن الجزري. وأمّا الدرس الصوتي الحديث فإنَّه يوافق القدماء في خفاء الهاء، وأمّا في أصوات المدّ فيرى بأنَّها حروف أبعد عن الخفاء[٥].

عاشراً: المدّية – الجوفية– الهوائية:

المدّ لغةً: بمعنى الإطالة في الشيء، كقولنا امتدّ بهم السير أي طال[٦]. **واصطلاحًا** فيقصد به: امتداد الصوت عند نطق الحرف[٧]. وأمّا **الجوفية في المعنى اللغوي فهي:** ((من الجوف، وجوف كل شيء: قعره وداخله))[٨]. **وفي الاصطلاح:** هي ((صفة لأصوات المدّ التي تنسب مخارجها إلى الجوف، وتنتج بمرور الهواء دون حوائل مع اهتزاز الوترين

---

(١) ينظر: العين: ١٧/١.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢١٠/٢، ٢٦٢، ٤٢١ ، ١٦١/٤.

(٣) الرعاية: ٦٦.

(٤) الموضح في التجويّد: ٩٧.

(٥) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ١٧٠.

(٦) ينظر: العين: ١٧/٨.

(٧) ينظر: مرشد القارئ: ٤٦.

(٨) جمهرة اللغة:٤٨٩/١.

الصوتيين)) [١]. ومعنى **الهوائية في اللغة:** قال ابن فارس ((هويّ، الهاء والواو والياء: أصل صحيح يدلّ على خلوّ وسقوط. أصله الهواء بين الأرض والسماء سمّي لخلوه. قالوا: وكل خالٍ هواء)) [٢].وفي **الاصطلاح:** ((صفة لحرف المدّ، وإنَّما سميت بالهوائية؛ لأنهنَّ نسبن إلى الهواء لأنَّ كل واحدة منهن تهوي عند اللفظ بها في الفم، فعمدة خروجها هواء الفم)) [٣].

واستدرك القسطلاني هذه الصفة على ابن الجزري في عدم وضعها مع الصفات، حيث أشار إليها قائلاً: من الصفات –حروف المدّ–، وتسمى الجوفية والهوائية التي لم يذكرها الناظم، وهي صفات خاصّة بحروف المدّ الألف والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها[٤].وقال بسبب تسميتها بالمدّ نقلاً عن الداني في أنَّها ((سميت ممدودة لأنَّ الصوت يمتد بها بعد إخراجها من موضعها)) [٥].

وتابع القسطلاني في استعماله هذه المصطلحات علماء اللغة كالخليل بن أحمد الذي يُعدّ أول من أطلق هذه المصطلحات على الحروف الثلاثة الألف والواو والياء، وزاد معهن حرفًا رابعًا هو الهمزة، وتسمى بالجوفية؛ ((لأنَّها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة)) [٦]. وأمّا سبب تسميتها بالهوائية؛ فلأنَّها ((هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيّز تُنسب إليه إلّا الجوف)) [٧].

ومن علماء التجويّد مكي القيسي الذي أفرد لكل مصطلح صفة خاصة من ضمن الصفات في حين فضّل القسطلاني جمعها بصفة واحدة، فيقول مكي حروف المدّ ثلاثة وهي ((الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة، وإنَّما سميت بحروف المدّ؛ لأنَّ مدّ الصوت لا يكون في شيء من الكلام إلّا فيهن، ...، ولأنَّهن في انفسهن مدات)) [٨]. وقال في صفة الحروف الجوفية: ((ويقال: الحروف الجوف –جمع أجوف–

---

(١) المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢٠٩.

(٢) مقاييس اللغة: ١٥/٦.

(٣) الرعاية: ٦٦.

(٤) ينظر: اللآلئ السنية: ٢٤، ٩٦.

(٥) اللآلئ السنية: ٢٤، وينظر: التحديد في الاتقان والتجويّد: ١٠٧.

(٦) العين: ٥٧/١.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٨) الرعاية: ٦٥.

وهنَّ ثلاثة: الألف، الواو، الياء، وهي حروف المدّ واللين، سماهن الخليل بذلك؛ لأنه نسبهنَّ إلى آخر انقطاع مخرجهن؛ وهو الجوف))[١]. وقال: ((الحروف الهوائية: وهن الجوف))[٢].

وينقل القسطلاني عن العلماء المتقدمين أنَّهم فاضلوا بين هذه الأحرف، إذ جعلوا الألف أمكن من الواو والياء، قائلاً: ((وأمكنهن عند الجمهور الألف، وهو مذهب الداني، والناظم، وابن الحاجب، وابن مالك)) [٣].

ثم ينقل نصّا عن الجعبري يذكر فيه سبب تخصيص العلماء للألف عن الواو والياء فيقول: ((قال الجعبري: ومن تجوَّز بتخصيص الألف، فلزومه ذلك دون أخويه، أنَّهما لا يكونان كذلك إلّا بالقيدين، ومن ثم قال: وأصل ذلك الألف وهو مذهب سيبويه)) [٤]. فقد وصف سيبويه الألف بأنه هاوٍ فقال: ((ومنها الهاوية وهي حروف اتسع هواء الصوت مخرجه أشد من مخرج الياء والواو، لأنَّك قد تضم شفتيك بالواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف)) [٥]. أي أنَّ الالف ((لا يعتمد اللسان عند النطق بها على موضع من الفم))[٦]. بخلاف الواو والياء.

ثم يختم القسطلاني الحديث في هذه الصفات عن اختلاف الجمهور في أيهما أسبق في الظهور الحركات أم الحروف، فيقول: نظر: ((الجمهور على أنَّ الفتحة متولدة من الألف، والكسرة متولدة من الياء، والضمة متولدة من الواو، فتكون الحروف عندهم متولدة قبل الحركات، وقيل عكس ذلك بدليل كل حركة من حرف، ولا حرف من حركة، إذ لا يكون الذاتي مادة للعرض ولا العكس، وقال: قوم الحركة سابقة الحرف لتوقف وجود الحرف عادياً عنها. قال الجعبري: قال أهل التحقيق متقاربان لما يلزم من تقدمهما وتأخرهما قيام العرض بذاته)) [٧].

---

(١) الرعاية: ٧٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) اللآلئ السنية:٩٦، ينظر: التحديد في الاتقان والتجويد: ١٠٧، والنشر في القراءات العشر: ١٩٩/١، ٢٠٤، وشرح شافية ابن الحاجب: ٢٥٨/٣.

(٤) اللآلئ السنية: ٩٦.

(٥) الكتاب: ٤/ ٤٣٥ـ٤٣٦.

(٦) الرعاية: ٦٦.

(٧) اللآلئ السنية:٩٦.

وأمّا الدرس الصوتي الحديث، فيتفق مع القدماء في تسمية الألف، والواو، والياء بحروف المدّ [١].((وجري النفس حال النطق بها لا يعوقه عائق، وإنَّما يجري بها حتى ينفذ الهواء المزفور)) [٢]. ويسموها كذلك بالهوائية؛ لأنَّ ((اللسان في نطقها لا يعتمد على الموضع)) [٣]. ويسميها بعضهم الآخر بالحركات[٤]. أمّا علي القاري فلم يذكر هذه الصفة مع الصفات واكتفى بذكرها مع المخارج.

الحادي عشر: الغنَّة:

الغنَّة لغة: ((هو صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم، يفور من نحو الأنف بعون من النفس)) [٥].وقال آخر: الغنَّة صوت في الخيشوم. والأغن: الذي يتكلم من قبل خياشيمه[٦]. و**الغنَّة اصطلاحًا:** هي ((الصوت الجاري من الخيشوم، وهي صفة مصاحبة للنون والميم في جميع أحوالهما' إلّا إذا أدغما إدغامًا تامًا في صوت خالٍ من الغنَّة))[٧].

وعدَّ القسطلاني الغنَّة من الصفات، وذكرها مع الصفات التي ليس لها أضداد مخالفًا في ذلك ابن الجزري –الناظم– الذي عدَّها مخرجًا وليست صفة، وآخذه على ذلك فقال: ((وهي من الصفات ولو ذكر موضعها مخرج النون المخفاة لكان أوْلى))[٨]. وقال في تعريفها: ((الغنَّة: وتخرج من الخيشوم وهو الأنف، وتكون في النون ولو تنوينًا والميم الساكنين حالة الإخفاء، أو ما في حكمه الإدغام بالغنَّة، لا عمل للسان فيها))[٩].

---

(١) ينظر: دروس في علم الأصوات العربية: ٣٨.

(٢) في صوتيات العربية: ٦٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: المصطلح الصوتي في الدراسات العربية: ٢١٠، وعلم الأصوات العام(بشر): ٢٠٦,١٧.

(٥) العين: ٣٤٨/٤.

(٦) ينظر: المنتخب من غريب كلام العرب: ٦٦٠.

(٧) شرح المقدمة الجزرية، د. غانم قدوري الحمد: ٢٧٥.

(٨) اللآلئ السنية: ٨٥.

(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ثم تناول القسطلاني آراء سابقيه في هذه الصفة شارحًا وموضحًا القصد منها، فيبيّن رأي سيبويه في هذه الصفة والقصد منها، ناقلاً عن أبي حيان ذلك، فيقول: ((قال أبو حيان في (شرح التسهيل): قول سيبويه[١]: ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة، يريد بها النون المخفاة التي لم تبق منها إلّا الغنَّة، فكأنَّه قال: مخرج الغنَّة، وإلّا فالنون الخفيفة في نحو: (يضربن) مخرجها من مخرج المتحركة))[٢]. إنَّما يريد بها النون الساكنة المظهرة[٣].

وينقل عن مكي قوله في الغنَّة، فيقول: ((قال مكي: النون الخفيفة مخرجها من الخيشوم، وهو فوق غار الحلق الأعلى))[٤]. فمكي يتابع هنا سيبويه الذي يجعل النون الخفيفة هي الغنَّة ويحدد مخرجها من الخيشوم. وينقل كذلك قولاً آخر لمكي يفرِّق فيه بين النون الخالصة السكون وبين الغنَّة فيقول: وقال –مكي– الغنَّة نون ساكنة خفيفة، تخرج من الخياشيم، وهي تكون تابعة للنون الساكنة الخالصة السكون غير المخفاة – وهي التي تتحرك مرة، وتسكن مرة–[٥].

ويعترض القسطلاني على مكي في قوله بأنَّ الغنَّة حرف ، مستعينًا بنص للجعبري في ذلك، إذ يقول: ((قال مكي: هي حرف شديد وقال الجعبري: جعله الغنَّة حرفًا غير سديد –بالمهملة– وإن أراد أنَّها ذات محل مغاير فلا يلزم منه حرفيتها))[٦].

قال: وإلى هذا أشرن في العقود[٧]بقولنا:

والغنَّة أبْطلْ قولُ مكّي بها ... في أنَّها حرفٌ وأُمُّ بياني

في أنَّها لا تَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهَا ... وَتَحلُّ حرفًا ربَّة استعملانِ[٨]

---

(١) ينظر: الكتاب :٤/٤٣٤.

(٢) لطائف الإشارات: ٣٥١.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر: ١/٢١٠.

(٤) اللآلئ السنية: ٨٥، ولطائف الإشارات: ٣٥١، وينظر: الرعاية: ١٨٢.

(٥) ينظر: الرعاية: ١٣٣،اللآلئ السنية: ٨٥، لطائف الإشارات: ٣٥١.

(٦) اللآلئ السنية: ٨٥.

(٧) ويقصد به كتاب (عقود الجمان في تجويد القرآن) وهو قصيدة نونية في اثنين وعشرين وثمانمائة بيت، للشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري المتوفى سنة ٣٢هـ، ينظر:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٢/١١٥٤.

(٨) اللآلئ السنية: ٨٥.

وينقل عن الجعبري قوله في الغنَّة الذي نقله كثير من علماء التجويّد الذين سبقوه، فيقول: ((قال الجعبري: والغنَّة صفة النون ولو تنوينًا والميم، تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين او مخفيتين أو مدغمتين، لا تختص بمخرج، بل كل راجع إلى مخرجه، قال: وهذا معنى الداني: وأمّا الميم والنون فيتجافى بهما اللسان إلى موضع الغنَّة من غير قيد، وبرهانه سَدُّ الأنف. وهي في الساكن أكمل من المتحرك، وفي المخفي أزيد من المظهر، وفي المدغم أوفى من المخفي))[1].

فالجعبري يوضح في نصّه هذا أنَّ الغنة صفة ملازمة للنون والميم الساكنتان في جميع الحالات فيقول: ((وذلك محسوس في الأحوال الأربعة: الإخفاء، والإدغام، والحركة، والسكون، ولا ينازع في ذلك إلّا مكابر في الحسيّات))[2].

ويستدرك القسطلاني على الجعبري قوله المتقدِّم في الغنَّة فيقول: ((قول الجعبري إنَّ الغنَّة صفة للثلاثة ولا تختص بمخرج بل كل راجع إلى مخرج تُعُقِّب: بأنَّ الحس يشهد بخلافه في الحركة والسكون؛ لأنَّك إذا نطقت بحرف منها لزم مخرجه؛ متحركًا كان أو ساكنًا، بخلاف المدغم والمخفي، فإنَّهما يتحولان مع ذلك إلى الخيشوم، وهو المختار عند الحذّاق من أهل الأداء والنَّقلة، ووقع للحكري في النجوم الزاهرة: أن ذكر في الشفتين ثلاثة مخارج، ثانيهما: الواو من بينهما بلا انطباق، ثالثها: باء فميم من بينهما بانطباق، ففرق بالانطباق والانفتاح، وأسقط مخرج الغنَّة من المخارج، وذكرها في الصفات وهو حسن إنْ ساعده تباين المخرجين فليتأمّل))[3].

فالنصّ المتقدِّم يبين فيه القسطلاني أنَّ الصفة النطقية للغنة هي سبب إدراجها مع الصفات دون المخارج، وهو وصف حسن كما ذكر.

وأمّا علي القاري فقد أيّد القسطلاني في جعل الغنَّة من الصفات وليست من المخارج، واستدرك على محمد الجزري صنيعهُ هذا، لكنه رغم ذلك لم يذكرها مع الصفات، واكتفى بإدراجها ضمن المخارج التزامًا منه بما ورد عن ابن الجزري في شرحه للجزرية، إذ يقول: ((الغنَّة من الصفات؛ لأنَّها صوت أغن لا عمل للسان فيه، فكان اللائق ذكرها مع الصفات

---

(١) لطائف الإشارات: ٣٥١، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويّد: ٢٦٦.

(٢) لطائف الإشارات: ٣٥١.

(٣) المصدر السابق:٣٥١-٣٥٢.

لا مع مخارج الذوات))[١]. وقال في موضع آخر: ((وعلى كلّ تقدير، فعدُّ الغنَّة من مخارج الحروف السبعة عشر لا يخلو عن إشكال فتدبّر))[٢].

ولم يكن القسطلاني والقاري أول من أشكل على ابن الجزري –الناظم– إدراجه الغنَّة مع المخارج فقد سبقهم إلى ذلك ابنه محمد بن أحمد بن الجزري في كتابه الحواشي المفهمة[٣].

والغنَّة عنده هي: ((أقصى الأنف))[٤]. وأشار إلى ما يثبت ذلك فقال: ((وبرهان الغنَّة في سد الأنف، ولهذا لو أمسكت الأنف لم يمكن خروجها))[٥]. وسبقه إلى ذلك علماء العربية[٦]. والغنَّة عنده هي: ((صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا، ظاهرتين أو مخفاتين او مدغمتين، إلّا أنَّها في الساكن اكمل من المتحرك، وفي المخفى أزيد من المُظهر، وفي المُدغم اوفى من المخفى، ...ومخرجها الخيشوم))[٧].

إذن فالغنَّة عند القاري تستعمل للدلالة على صوتي النون والميم الساكنتين، كما هي عند القسطلاني .

واتفق المحدثون مع القدماء في أنَّ الغنَّة صوت صادر من الخيشوم[٨]. وأطلق عليها عليها بعضهم مصطلح الأنفي، وخصّها بصوت النون والميم[٩].

---

(١) المنح الفكرية: ٩٣.

(٢) المصدرالسابق:٩٤.

(٣) ينظر: الحواشي المفهمة: ١٤٠.

(٤) المنح الفكرية: ٩٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤٣٥/٤، وسر صناعة الإعراب: ٦١/١، والتحديد في الاتقان والتجويّد: ١٠٩.

(٧) المنح الفكرية: ١٩٦.

(٨) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو:٦٠-٦١.

(٩) ينظر: علم الأصوات اللغوية(مناف): ٥٣، ٧٦.

الفصل الثالث

البناء الوظيفي للأصوات عند القسطلاني والقاري

المبحث الأول: الإدغام

المبحث الثاني: المد و القصر

المبحث الثالث: الوقف والابتداء

المبحث الاول: الإدغام

توطئة

تعد ظاهرة الإدغام من أكثر الظواهر الصوتية التركيبية دورانًا في كلام العرب .إذ شغلت حيزًا كبيرًا في مؤلفاتهم ((وجعلوها مدخلًا إلى دراسة التأثير الصوتي بين أصوات العربية، ابتداءً من سيبويه الذي جعله العنوان البارز الذي انضوت تحته الدراسات الصوتية جميعها))[١]، وسبب استعمال العلماء هذا المصطلح الصوتي ينحصر في إرادة الناطق السهولة والاقتصاد في الجهد، وكذلك إحكام اللفظ الصحيح للحروف في حاله تجاورها مع بعض[٢].

والإدغام لغةً: من الدَّغْمُ: وهو ((كَسْرُ الأنفِ إلى باطنهِ هشمًا، تقول دَغَمْتُه دَغْمًا والأَدْغَمُ: الأسَودُ الانفِ و الدَّغْمةَ: اسم من إدغامكِ حرفًا في حرفٍ وأَدْغَمْتُ الفرس اللجام أَدخَلّتهُ في فيهِ))[٣] .وجاء في تهذيب اللغة: ((دَغَمَ الغيثُ الأَرْض يَدْغمها وأَدْغمَها واغتَمَطها واغتمصها: إذا غشيها وقهرها))[٤].

وفي الاصطلاح:- ((وهو وصل حرف ساكن بحرف آخر مثلهُ متحرك، من غير أنْ تفصل بينهما حركة أو وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد يرتفع العضو عنها ارتفاعة واحدة))[٥].

ويُعدّ مصطلح الإدغام من المصطلحات التي استعملها الخليل، ليدل بها على وجود صوتين في مكان واحد، إذ ذكر أنَّ التشديدَ العلامة الدالةُ على الإدغام في قوله: ((اعلم أنَّ الراء في اقشعرَّ وأسبكرَّ هما راءآن أدغِمَتْ واحدة في الأخرى والتشديد علامة الإدغام))[٦].

---

(١) البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد: ١٥١.

(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٣٣١.

(٣) العين:٤/٣٩٥.

(٤) تهذيب اللغة: ٨/٩٥.

(٥) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٣٣٨.

(٦) العين: ١/٤٩.

وقال في موضع آخر: ((فإنْ صَيَّرْت الثنائيّ مثل قَدْ وَهَلْ ولَوْ اسما أدخَلّتَ عليه التشديد فقلت: هذهِ لوُّ مكتوبةٌ ، وهذهِ قدُّ حَسَنةَ الكِتْبة، زِدْتَ واوًا على واو ، ودالًا على دال ، ثم أَدْغَمْتَ و شدَّدْتَ. فالتَّشديُد علامة الإدغام))[١].

ثم تابعه العلماء من بعده بالشرح والتفصيل ، فقد تناوله سيبويه في باب مستقل من كتابه سمَّاه(هذا باب الإدغام)[٢] ، وقسّمه على ثلاثة أقسام: الأول منها (باب الإدغام من حرفين[٣] ، والثاني (باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد)[٤] ، والثالث (باب الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا)[٥] . ويرى بأنَّ الإدغام هو أنْ يدخل الصوت الأول في الآخر والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والاخر من موضع واحد[٦].

ولم يختلف علماء العربية اللاحقون في مفهومهم للإدغام، فيرى المبرد (ت-٢٨٥) أنَّ الإدغام يحصل في ((الحرفين إذا كان لفظهما واحدًا... فإنما تعتمد لهما باللسان اعتمادة واحدة لانَّ المخرج واحد ولا فصل))[٧]. ويعرفه ابن جني قائلًا: ((والإدغام أنْ تصل حرفًا ساكنًا بحرف مثله أو مقارب له من غير أنْ تفصل بينهما بحركة أو وقف فيرتفع اللسان عنها ارتفاعة واحدة، وذلك في قولك: عدَّ وفرَّ وغصَّ))[٨]. وقال أيضًا: ((الإدغام هو تقريب صوت من صوت))[٩] . أما علماء التجويد فلم يختلف مفهومهم للإدغام عن منهج علماء اللغة، فهو عند مكي إدخال شيء في شيء، وذلك في قوله: ((الإدغام معناه إدخال شيء في شيء، فمعنى: أدغمت الحرف في الحرف، ادخلته فيه، فجعلت لفظه كلفظة

---

(١) العين: ١/٥٠.

(٢) ينظر: الكتاب:٤/٤٣١.

(٣) ينظر: المصدر السابق:٤/ ٤٣٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ٤/٤٤٥.

(٥) ينظر: الكتاب:٤/٤٦٠، ومنهجا الخليل وسيبويه في دراسة الأصوات: ١٠٠.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤/١٠٤.

(٧) المقتضب: ١/١٩٧.

(٨) المنصف: ٢/٢٤٠.

(٩) الخصائص: ٢/١٤١.

الثاني، فصارا مثلين والأول ساكن، فلم يكن بدٌّ من أنْ يلفظ بهما لفظة واحدة، كما يصنع بكل مثليين اجتمعا والأول ساكن))[١] .

قال الداني بقوله: ((الإدغام إدخالُ شيء في شيء وتَغْييبُهُ فيه، مأخوذ من قول العرب: أدغمتُ الفرسَ اللجامَ، اذا أدخلته في فيه وقال بعض أهلِ اللغة: الدَّغم التغطية، وقد دغمه إذا غطّاه))[٢] . نجد الداني في هذا المفهوم قد بيّن الجانب اللغوي للإدغام متبعًا في ذلك علماء اللغة، وأما الجانب الاصطلاحي فقد ذكره في كتابه الإدغام الكبير إّذ قال: ((وهو وَصْلُكَ حرفًا ساكنًا بحرف آخرَ مُتَحَرَّك من غير أنَّ يُفْصَل بينهما بحركة أو وَقْف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحدٍ، يرتفع عنهما ارتفاعه واحدةٍ، ويلزم موضعًا واحدًا، و يشتدُّ الحرف))[٣] .

فنلاحظ في نصوص علماء التجويد أنَّ الإدغام لا يحدث إلا عند وجود حرف ساكن وحرف متحرك، حيث يدغم الأول الساكن، في الثاني المتحرك المدغم فيه فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا. غير أن الداني قد زاد على مكي وضع اللسان عند النطق بهذين الحرفين بأنْ يرتفع ارتفاعة واحدة وموضعًا واحدًا. وعرفه القرطبي قائلًا: ((إذا التقى حرفان مثلان أو متقاربان، الأول منهما ساكن و الثاني متحرك، فيقلب أحدهما إلى الآخر، فيجبُ الإدغامُ ، وذلك بأَنْ يجعل الاعتمادُ على الحرفين مَرَّة، فيكونُ النطقُ بهما دَفْعَة من غير وقف على الأول ولا فَصْلٍ بين الحرفين بحركة ولا رَوم، ويكون الحرفان ملفوظًا بهما ويصيران بالتداخل كحرفٍ واحدٍ لا مُهْلَةَ بينَ بعضهِ وبَعْضِهِ، ويَلْزَمُ اللسانُ أو غيره من المخارجِ موضعًا واحدًا))[٤].

أما شُرَّاح الجزرية فلم يختلفوا في مفهومهم للإدغام عن مفهوم مَنْ سبقهم من علماء اللغة والتجويد، فيصف ابن الجزري الإدغام في قوله: ((الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا))[٥]. فهو ((عبارة عن خلط الحرفين و تصيرهما حرفًا واحدًا مشددًا وكيفية

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: ١٤٣/١.

(٢) التحديد: ١٠٠.

(٣) الإدغام الكبير: ٩٢.

(٤) الموضح في التجويد: ١٣٩-١٤٠

(٥) النشر في القراءات العشر: ٢٧٤/١

ذلك أَنْ يصير الحرف الذي يراد إدغامه على جنس الحرف الذي يدغم فيه، فإذا صار مثله حصل حينئذٍ مثلان وإذا حصل مثلان وجب الإدغام حكمًا جماعًا))[١].

أما القسطلاني فيعرفه بأنهُ ((اللفظ بحرفين حرفًا مشددًا))[٢] . في حين نجد أنَّ عليًّا القاري قد جمع المعنى اللغوي والاصطلاحي لبيان دلالته، فقال: ((الإدغام عبارة عن خلط الحرفين و إدخال أحدهما في الآخر- مأخوذٌ من إدغام اللجام في فمّ الفرس- فيصيران حرفًا واحدًا مشددًا يرتفع اللسان عنه ارتفاعةً واحدة، وهو يؤذن بحرفين فصارت الشدة والامتزاج في السمع كالحرف الواحد، وإلا فهما حرفان في الحقيقة وعوض عنه التشديد))[٣]

ومن نصيّ القسطلاني والقاري نلحظ أنهما قد تابعا الخليل في اختياره التشديد علامة للإدغام، وهو لا يتحقق عندهما إلاّ في حال وجود حرفين منسجمين معًا من الناحية الخطية والسمعية فيظهران كالصوت الواحد.

وكان للمحدثين رأي حول ظاهرة الإدغام، إذ أطلقوا عليها مصطلح المماثلة[٤]، والتي عرفها بعضهم قائلًا: ((هو تأثير الأصوات المتجاورة متماثلة أو متقاربة في الصفة بعضها في بعض، وقد يتأثر الأول بالثاني وقد يتأثر الثاني بالأول وهو قليل في اللغة العربية))[٥]. والقصد من وراء الإدغام التخفيف، فقد اتفق جميع العلماء من المتقدمين والمتأخرين في ذلك، يقول سيبويه في الصوتين المتجاورين في كلمة رددت، ووددت علَّة إدغام العرب لهما ((لما كانا من موضوع واحد ثقل عليهم أنْ يرفعوا ألسنتهم من موضوع ثمّ يعيدها إلى ذلك الموضع للحرف الآخر، فلما ثقل عليهم ذلك أرادوا أنْ يرفعوا رفعة واحدة))[٦]، فسبب الإدغام أو علَّة الإدغام كما ذكر سيبويه، هو ثقل اللسان عند النطق بالحرفين، فلأجل التخفيف أوجب الإدغام.

---

(١) الحواشي المفهمة: ٢١١.

(٢) اللآلئ السنية: ٢٦.

(٣) المنح الفكرية: ١٧٥.

(٤) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٣٥.

(٥) معجم مصطلحات اللغة و الادب: ٢٢، و الخلاف الصوتي عند علماء التجويد: ١٨٤.

(٦) الكتاب: ٥٣٠/٣.

ووافق ابن يعيش سيبويه في هذا، فقال: الغرض من الإدغام ((طلب التخفيف؛ لأنّه ثقل عليهم التكريرُ والعودُ إلى حرف بعد النطق به، فصار ذلك ضيقًا في الكلام بمنزلة الضيق في الخَطّو على المقيد، لأنّه إذا منعه القيد من توسيع الخَطّو، صار كأَنّهُ إنّما يقيدَّ قَدَمهُ إلى موضعها الذي نقلها منه، فثقُل ذلك عليه، فلمّا كان تكريرُ الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفَه بأَنْ يدّغموا أحدهما في الآخر، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدةً، ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة، لئلا ينطقوا بالحرف، ثم يعودوا اليه))[١] .

وقال الداني: ((اعلم أَرشدك الله أَنَّ الإدغام تخفيف وتقريب،...، و إِنّما أدغمتْ القراء والعرب طلبًا للتخفيف وكراهة للاستثقال بأَنْ يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها إليه، إذ في ذلك من التكلُّف مالا خفاء فيه، أَلا ترى أَنَّ الخليل رحمه الله شبّه ذلك بمشي المقيد، وبإعادة الحديث مرتين، فخففوا بالإدغام من أجل ذلك مع توفر المعنى به))[٢] .

فالغرض من الإدغام هو تحقيق التتابع الصوتي للسان من دون ثقل، وهو((بمنزلة الضيق في الخَطْو على المقيَّد))[٣]، وهذا ما أكده علماء العربية بمشي المقيد[٤]، قال القسطلاني:((لما كان الحرف الثاني من المثال الأول متماثلًا والثاني من المثال الثاني متقاربًا نزل منزلة التماثل لاتفاق المخرجين ازدحما في المخرج فلا يطيق اللسان بيان الأول منها، لعدم الحركة التي تنقل اللسان من موضع إلى آخر))[٥] . ويتفق القاري مع جمهور أهل العربية قائلًا: ((وفائدته تخفيف اللفظ لثقل عود اللسان إلى المخرج الأول أو مقاربة، فاختار العرب الإدغام طلبًا للخفة؛ لأنَّ النطق بذلك أسهل من الإظهار كما يشهد به الحسُّ والمشاهدة ولذلك شبَّه النحاة الإظهار بمشي المقيد؛ لأَنَّ الإنسان اذا نطق بحرف وعاد إلى مثله أو إلى مقاربه يكون كالراجع إلى حيث فارق أو إلى قريب من حيث فارق، وشَّبَهَهُ

---

(١) شرح المفصل، ٥ / ٥١٣.

(٢) الإدغام الكبير:٩٢ ـ٩٣، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٣٢-٣٣٣، وينظر: الكشف: ١٣٤/١، والموضح في التجويد: ١٤٠.

(٣) يُنظر: شرح المفصل:٥١٣/٥.

(٤) يُنظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ٤٦٩/٢،الممتع في التصريف: ٤٠٣، شرح التعريف بضروري التصريف:٢٤١.

(٥) اللآلئ السنية:٢٦ ،١٢١.

بعضهم بإعادة الحديث مرتين))[١]. هذا التصور لم يكن ببعيد عند المحدثين من تأكيدهم أنَّ الإدغام هو ((التخفيف والتيسير في عملية الإجراء النطقي))[٢] .

أنواع الإدغام.

صنف علماء العربية الإدغام على أنواع عدة، ويعود لسيبويه السبق في هذا التصنيف، فهو أول من قسّم الإدغام إذ جعله على قسمين، سمّى القسم الأول بالمتماثلين والقسم الآخر أطلق عليه مصطلح المتقاربين[٣]. وقد وافق القسطلاني والقاري سيبويه في تقسيمه للمتماثل والمتقارب، غير أَنَّهما زادا عليه قسمًا ثالثًا أطلقا عليهِ مصطلح المتجانس[٤]. ومما يأتي توضيح هذه المصطلحات:

أولًا :- إدغام المتماثل أو (المثلين): وهو اتفاق الحرفين في المخرج و الصفة من غير وجود حاجز يفصل بينهما، كالباء والباء، والتاء والتاء، والياء والياء، والدال والدال[٥].

ثانيًا:- إدغام المتقاربين: وهو أنْ يتفق الحرفان في المخرج أو الصفة كالدال والسين، والضاد والشين[٦].

ثالثًا:- إدغام المتجانسين: يعد هذا النوع من الإدغام من صنع النحاة المتأخرين، فقد ذكره سيبويه ضمن مصطلح المثلين والمتقاربين[٧]. ويقصد بالمتجانسين هو أَنْ يتفق الحرفان مخرجًا و يختلفا صفةً كالدال والتاء، و كذا الثاء والذال[٨].

ويشير القسطلاني و يتابعه القاري إلى وجوب إدغام الجنسين والمثلين إذا سكن الأول منهما كما في قوله تعالى: ﴿ بَل لَّا يَخَافُون ﴾[٩]، و﴿قُل رَّبِّ﴾[١٠] .

---

(١) المنح الفكرية: ١٧٥ـ١٧٦.

(٢) الأصوات اللغوية : ٢٩٩. وينظر الخلاف الصوتي عند علماء التجويد: ١٨٦.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤٣٧/٤، و ينظر: الضاد في النظام الصوتي العربي مع دراسة كتب الفروق: ٥٨-٥٩.

(٤) ينظر: اللآلئ السنية: ٢٦، والمنح الفكرية: ١٧٠.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية: ٢٦، والمنح الفكرية:١٧٠.

(٦) ينظر: الكتاب : ٤٤٥/٤، و اللآلئ السنية: ٢٦، و المنح الفكرية : ١٧٠.

(٧) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٣٧، و الضاد في النظام الصوتي العربي مع دراسة كتب الفروق:٥٩.

(٨) ينظر: اللآلئ السنية:١٢١، والمنح الفكرية :١٧٠.

(٩) المدثر/٥٣.

(١٠) طه/١١٨.

ويذكر علي القاري اختلاف الآراء حول المثال الأخير، فمنهم مَن عدّه من المتقاربين –ومنهم القسطلاني–، لأنّهم يجعلون اللام والراء والنون من مخرج واحد. ومنهم من عدّها من المتجانسين فيقول: ((اعلم أنَّهم اختلفوا في اللام والرّاء والنون أنّها من مخرج واحد وهو اختيار الفرّاء، أو لكل واحد منها مخرج على حدة، إلاَّ أَنَّ بينهما قرب المخرج وعليه الجمهور من النحاة و هو مختار سيبويه، واختاره المصنف تبعًا للشاطبي رحمه الله، لكن كلامه هنا خلاف ما سبق عنه أولًا فإنهُ جعل اللام والراء من قبيل الجنسين))[1] .

وقال أيضًا: ((اعلم أنَّ ما ذكره المنصف في المثلين فهو على عمومه عند جميع القراء، وأما ما أطلقه في المتجانسين، فليس على ظاهره مما يتوهم فيه، من اتفاق أهل الأداء، فإنَّ منهما ما اتفقوا عليه، ومنهما ما اختلفوا فيه، كما يعرف مما ذكره الولي الشاطبي في باب حروف قربت مخارجُها، من جملتها الراء عند اللام عكس ما ذكره المصنف (رحمه الله) من إدغام اللام في الراء، فإنهما مع كونهما من المتجانسين أو المتقاربين اختلف حكمهما، حيث وقع الاختلاف في الثاني دون الأول))[2].

واستثنينا من ذلك الإدغام بعض الأمثلة ؛لوجود علَّة مانعة ، فيقول القسطلاني: مستثنيًا القاعدة المذكورة.

١.ما إذا كان الأول حرف مدّ نحو ﴿فِي يَوْمٍ﴾ [3]، و﴿قَالُوا وَهُمْ﴾[4] ،فإنَّه يظهر ، وهو مراده يقول القسطلاني : "وأَبِنْ" – وسبب ذلك– لئلا يذهب المد بالإدغام[5]. وقال القاري: ((إذا كان الأول من المتماثلين حرف مد فإنَّه يظهر بلا خلاف عند الياء والواو كما أشار في قوله: وأبِنْ...، و﴿فِي يَومٍ كَانَ مِقدَارُهُۥ أَلفَ سَنَة﴾[6]، ونحوه :﴿ٱلَّذِي يُوَسوِسُ﴾[7]، ونحو ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[8] – فالواو المدية، والياء المدية–، لا تدغمان في مثلهما

(١) المنح الفكرية: ١٧٠–١٧١.
(٢) المصدر السابق: ١٧١.
(٣) إبراهيم /١٨.
(٤) الشعراء/٩٦.
(٥) ينظر: اللآلئ السنية:١٢١.
(٦) السجدة/٥.
(٧) الناس/٥.
(٨) العصر/٣.

بالمعنى الأعم، إذ لا يتصور اجتماع المدّيَّن، حتى يقال لا يدغم))[١]. وبسبب ذلك ((محافظة على المد لئلا يذهب بالإدغام بخلاف ما إذا كان الأول من المتماثلين حرف اللين فإنَّه يدغم كما هو))[٢].

٢. يرى القسطلاني والقاري أنَّهُ يجب بيان الحاء الساكنة عند الهاء في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحهُ﴾[٣] وفي قوله تعالى ﴿وَسَبِّحهُ لَيلا طَوِيلًا﴾[٤]. وذلك لأنَّ الحاء، والهاء من حروف الحلق، وبحسب القاعدة أنَّ الحلقي لا يدغم في أدخل منه ، والهاء أدخل من الحاء بخلاف الهاء في الهاء نحو ﴿مَالِيَه هَلَكَ[٥]﴾ [٦]. فلا يجوز الإدغام. ويضيف القسطلاني فيقول: ((ولأَنَّ حروف الحلق بعيدة من الإدغام لصعوبتها)) [٧].

ويشير القاري إلى سبب اختصاص ابن الجزري بهذه اللفظة فيقول: ((إنَّما خص الناظم ببيان "سبحه" و إظهاره، لأنَّ كثيرًا من الناس يقع في إدغامه بناءً على قرب المخرجين ولا يعلمون أنَّ الحاء أقوى من الهاء ، والقاعدة أَنَّ الأقوى لا يدغم في الأضعف))[٨]. وكذلك يجب بيان الغين عند القاف في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغ قُلُوبَنَا﴾[٩] وعلَّة ذلك ((لتغايرهما، فإنَّ الغين حلقية والقاف لهوية))[١٠]. ويرى القاري أَنَّ القرب بين هذين الحرفين في المخرج، لا يمنع من تغايرهما ((فالأولى أنْ يقال: لأَنَّ حروف الحلق بعيدة من الإدغام لصعوبتها))[١١].

---

(١) المنح الفكرية: ١٧٢، وينظر: شرح المقدمة الجزرية (د.غانم قدوري الحمد):٤٣١.

(٢) المنح الفكرية : ١٧١ ـ١٧٢، و ينظر اللآلئ السنية:١٢١.

(٣) الطور/٤٩.

(٤) الانسان/٢٩.

(٥) الحاقة/ ٢٨-٢٩.

(٦) ينظر: المنح الفكرية: ١٧٣، وينظر: اللآلئ السنية: ١٢٢.

(٧)اللآلئ السنية: ١٢٢.

(٨) المنح الفكرية: ١٧٣.

(٩) آل عمران/٨.

(١٠)اللآلئ السنية: ١٢٢، والمنح الفكرية:١٧٤ وينظر: الحواشي المفهمة : ٢١٠

(١١) المنح الفكرية: ١٧٤.

وكذلك إذا لقيت الغين أحد حروف الحلق، وجب بيانُهما كما في قوله تعالى ﴿رَبَّنَآ أَفرِغ عَلَينَا صَبرا﴾[١]، وقوله: ﴿أَبْلِغْهُ﴾[٢]؛ وعلَّة ذلك أَنّ مخرج الغين قريب من مخرج العين قبله، والقاف بعده فيخشى أَنْ يتبادر اللفظ إلى الاختفاء و الإدغام))[٣].

٣. أما الموضع الآخر الذي يجب بيانه وامتناع الإدغام فيه، اللام عند التاء كما يذكر القسطلاني والقاري في قولهم: ((يجب بيان اللام عند التاء في قوله تعالى: ﴿فَٱلتَقَمَهُ ٱلحُوتُ﴾[٤] وذلك لبعد مخرجهما وهو ينافي الإدغام))[٥]. أما علَّة إدغام لام التعريف في التاء على الرغم من تباعد المخرجين، والأصل فيها الإظهار[٦]. فيوضح القاري ذلك فيقول:((وأما لام التعريف في التاء فلكثرة استعمالها، ولئلا تشتبه في اللام الموجودة في كلمة (النعيم) و (التوبة) ويجري عليها حكمهما)) [٧].

رابعًا: إدغام لام التعريف :((هي لام ساكنة مسبوقة بهمزة وصل مفتوحة، و بعدها اسم من الأسماء. وهي زائدة على بنية الكلمة دائمًا، سواء أمكن استقامة الكلمة التي تليها بدونها نحو (الأرض)، أم لم يمكن نحو (الذين)))[٨].يذكر القسطلاني والقاري لهذهِ اللام حكمين: الإظهار والإدغام.

١- الإظهار

تظهر اللام إذا جاء بعدها أربعة عشر حرفًا، وهي : الهمزة ، والباء، والجيم، والحاء ، والخاء، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، والميم، والهاء، والواو، والياء، مجموعة في عبارة (إِبْغ حَجَّكَ وخف عقيمه)[٩].

---

(١) الأعراف /١٢٦.

(٢) التوبة/٦.

(٣) المنح الفكرية: ١٧٤.

(٤) الصافات /١٤٢.

(٥) اللآلئ السنية: ١٢٢، و المنح الفكرية: ١٧٤، وينظر: شرح المقدمة الجزرية(د.غانم قدوري الحمد):٤٣٧.

(٦) ينظر: المنح الفكرية (هامش المحقق): ١٧٤.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٨) الوافي في كيفية ترتيل القران الكريم : ٤٢.

(٩) ينظر: اللآلئ السنية:١٢٢، و المنح الفكرية: ١٧٥.

وكذلك في أوائل البيت الآتي:

حلا غلا بانَ من أهوى فوا قلقي كم جائزٍ هدم وُدّى عند خلانّ[١].

ويذكر القاري سبب تسميتها بـ (القمرية:((من باب تسمية الكل باسم الجزء وهو لام القمر))[٢]. ومن أمثلة إظهار اللام في:((الأحد، البر، الولي، اليقين، الخبير، الحليم، المؤمن، الجليل، العليم، الفتاح، الغفار، القهار، الكبير، الهادي))[٣].ويعلل الملا علي سبب الإظهار؛ لتباعد المخرجين[٤].

٢- الإدغام:

أَما الحكم الثاني من أحكام اللام فهو الإدغام ، ويحدث الإدغام إذا جاء بعد لام التعريف حرف من الحروف الأربعة عشر التي تسمى بالشمسية، وهي : التاء ، والثاء ، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام، والنون، وجمعت في أوائل كلم:

تَرُم ثرى ذيلِ ليلى دعْ رُبا زَرَعٍ... سِرْ شهرَ صومٍ ضفا طفْ ظلَ نعمان[٥].

ويُردِفُ القسطلاني حديثَه عن اللام الشمسية ببعض الأمثلة منها: ((التراب، الدنيا، والذباب، والربانيون، والزبور، والسوء، والشمس، والصراط، والضراء، والطارق، والظلام، واللوم، والنار))[٦]. ويضيف عليه الملا القاري سبب تسميتها، فيقول: ((و تسمية شمسية من باب تسمية الكل باسم الجزء وهو لام الشمس))[٧].أَما سبب إدغامها فيقول : ((وسبب الإدغام تقارب المخرجين وإنْ تفاوتا في غير اللام للتماثل فيها))[٨] .

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٢٣.

(٢) المنح الفكرية : ١٧٥.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية:١٢٢.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) المنح الفكرية: ١٧٥.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أحكام النون الساكنة والتنوين:-

نتيجة لاهتمام علماء العربية القدماء بلغتهم ، وحرصهم على الحفاظ عليها، أخذوا بدراستها من جميع الجوانب، وتوصلوا من هذه الدراسة إلى وجود علاقة تأثيرية بين الأصوات عندما تجاورَ بعضها بعضًا، ولا سيما صوت النون، فقد اعتنوا بها عناية فائقة، إذ أفردوا لها أَحكامًا خاصة بها، و بينوا مظاهرها الصوتية، بحسب ما يليها من أصوات، ولا سيما إذا كانت ساكنة، إلاَّ أنَّ هذهِ العناية لم تمنع من وجود بعض الاختلافات فيما بينهم، من حيث عدد أحكامها، فذهب بعضهم إلى جعلها أربعة أحكام ، هي: الإظهار، والإدغام، والقلب، والإخفاء[١] ، وهو الأشهر وزاد عليها بعضهم الآخر حتى صارت خمسة[٢] ،أو ستة[٣] . وأنقص بعضهم منها حتى صارت ثلاثة أحكام[٤] .

وكان للقسطلاني والقاري بحث في هذهِ الأحكام وعددها؛ إذ فصّلوا القول فيها مبتدئين في توضيح الفرق بين النون الساكنة والتنوين في قولهم:

التنوين: نون ساكنة زائدة لغير التوكيد تلحق آخر الاسم، لفظًا في الوصل لا وقفًا ولا خطًا، والنون الساكنة تثبت في اللفظ، والخط، والوصل، والوقف وتكون في الاسم، والفعل، والحرف، متوسطة ومتطرفة[٥]. أما أحكامها فهي عندهم على أربعة اقسام :- ((إظهار، وإدغام، وإقلاب، وإخفاء))[٦] . ومما يأتي مواقف الشارحين في كل تلك الأحكام:

---

(١) ينظر: التحديد: ١١١، و النشر في القراءات العشر: ٢٢/٢، الدرس الصوتي عند احمد بن محمد الجزري : ١٩٦.

(٢) ينظر: التمهيد في علم التجويد: ١٦٥.

(٣) ينظر: الرعاية: ٢٠٤، و كتاب الكشف عن وجوه القراءات : ١٦١/١.

(٤) ينظر: تحفة نجباء العصر: ٥٢، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٦١.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٨و المنح الفكرية: ٢٠٣.

(٦) اللآلئ السنية: ١٣٨، و المنح الفكرية: ٢٠٣.

أولا:- الإظهار:

هو في اللغة بمعنى الإيضاح والبيان ، يقال ظهر الشيءُ تبين، وأظهر الشيء بينهُ[١]. **أَما في الاصطلاح:**- فهو إخراج النون الساكنة والتنوين من الفمّ عند حروف الحلق[٢] . ((وذلك بأَنْ يعتمد طرف اللسان على اللثة ويجري الصوت غُنَّة في الخيشوم))[٣]، وطريقه ((أَن يأتي بالحرفين المصيرين جسمًا واحدًا، منطوقًا بكل واحد منهما على صورته، موفى جميع صفته، مخلصًا إلى كمال بنيته))[٤] .

قدم القسطلاني الإظهار على الأقسام الثلاثة الأخرى، وجعله أول الأحكام، فيقول: ((القسم الأول الإظهار وقدّمته لأصالته))[٥]. ووافقه الملا علي القاري بذلك قائلًا: ((وجه تقديم الإظهار؛ لأنّهُ الأصل))[٦]. ثم يرتب بقية الأحكام الأخرى من حيث الأولية فيقول ((وثنى الإدغام- أي جعلهُ ثاني الأحكام – لأنَّهُ ضد الإظهار، والشيء يحمل على ضدهِ كما يحمل على نقيضهِ، إذ الضد أقرب حضورًا بالبال ولمساواته له أيضًا في عدة الحروف، ثم ذكر القلب لأنَّهُ نوع من الإدغام وحرف واحد قريب إلى الضبطِ، ثم ذكر الإخفاء حفظًا للإحصاء، ولأنهُ حالة بين الإظهار والإدغام فيتوقف على تحقيقيهما))[٧]. ثم بعد ذلك يُفصّل الشارحان القول في الإظهار، فيذكران :أن النون الساكنة والتنوين تظهر عند حروف الحلق الستة، وهي: (الهمزة ، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) وتسمى هذه الحروف بحروف الإظهار؛ لظهور النون أو التنوين عند تلاقي واحد منها[٨].

وقد جمعت هذهِ الحروف في أوائل كلمات البيت : ((أخي هاك علمًا حازه غير خاسر)) إذ يشير القاري إلى أنّها جاءت مرتبة بحسب مخارجها الثلاثة من الأقصى والأوسط

---

(١) ينظر مختار الصحاح : ١٩٧/١.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤٥٤/٤.

(٣) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٦٢.

(٤) مرشد القارئ: ٦٦.

(٥) اللآلئ السنية: ١٣٨.

(٦) المنح الفكرية: ٢٠٩.

(٧) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(٨) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٨، و المنح الفكرية: ٢٠٦.

والأدنى[١] . ويؤكد كذلك على ترتيبها حيث يرد على مَن رتبها بغير هذا الترتيب فيقول: ((قال المصري: وجمعت في قوله:

همزة و هاء ثم حاءٌ و عينها وخاء وغين يا أخي تأملا

فيردّ القاري على ذلك ويقول : لو تأملنا لوجدنا أنَّ حق الترتيب أنْ يقول:

فهمز وهاء ثم عينٌ وحاؤها وغين وخاء ثم كن متأملاً))[٢]

وجمعت كذلك في أوائل: ((أما هيام حالي علا خلا غرامي))[٣]. وسبب تأكيد الملا علي القاري على ترتيب حروف الحلق بحسب مخارجها؛ لأَنَّ النون تتأثر بأقرب الأصوات لها في المخرج، إذ ينقل أنَّ القرّاء السبعة أجمعوا على إظهار النونين، عند حروف الحلق جميعها، وأخفاها أبو جعفر عند الخاء والغين إلّا في ثلاث كلمات تظهر وهي: ﴿المُنْخَنِقَة﴾ و﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًا﴾، و﴿فَسَيُنغِضُونَ[٤]﴾ [٥] .

فأما سبب إظهارها مع حروف الحلق، لبعد مخرجها – من طرف اللسان– عن مخرجهن[٦] ثم يوضح القسطلاني ذلك فيقول: ((وإنَّما ظهرتا عند هذهِ الأحرف؛ لبعد مخرجها من مخرجهن، والإدغام إنّما يسوغه التقارب، ثم لما كانا سهلين، لا يحتاج في مخرجهما إلى كلفة، وحروف الحلق أشد الحروف كلفة وعلاجًا في الإخراج، حصل بينهما وبينهن تباين لم يحسن معه الإخفاء، كما لم يحسن معه الإدغام، إذ هو قريب منه، فلم يكن بد من الإظهار، ولا يجوز إدغامها))[٧].

وأَما من تحدّث عن إخفائها عند الخاء والغين، فالعلَّة في ذلك ((لقربها من حروف الفم))[٨] . وقد أشار سيبويه إلى هذا، فذكر أنَّ منزلة الخاء والغين من النون، كمثل منزلة

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٨، والمنح الفكرية: ٢٠٦.

(٢) المنح الفكرية: ٢٠٧.

(٣) اللآلئ السنية: ١٣٨.

(٤) الاسراء/٥١.

(٥) ينظر: المنح الفكرية: ٢٠٨.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٩، والمنح الفكرية: ٢٠٧.

(٧) اللآلئ السنية: ١٣٩.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

القاف منها، من حيث الإخفاء فقال : ((الخاء والغين بمنزلة القاف))[١] . ويقول في موضع آخر: ((الغين مع الخاء... قد جاز الإدغام فيها؛ لأنَّهُ المخرج الثالث، وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان. ألا ترى أنّهُ يقول بعض العرب : منخل ومنغل فيخفي النون))[٢]. وأشار القرطبي إلى ذلك قائلًا: ((فأما الغين والخاء فإنَّهما أقرب حروف الحلق إلى حروف الفم ، فتأثرا بذلك القرب حتى جاز فيهما الإخفاء))[٣].

ينقل علي القاري اختلاف آراء بعض العلماء في حقيقة مصاحبة الغُنَّة للنون والتنوين فيقول: ((ذكر بعض القرّاء في كتبهم أَنَّ الغُنَّة باقية فيهما، وذكر شيخ الداني فارس بن أحمد في مصنف له أَنَّ الغُنَّة ساقطة منهما إذا أُظهرا، وهو مذهب النحاة وبه صرحوا في كتبهم، وبه قرأت على كل شيوخي ما عدا قراءة يزيد والمسيبي))[٤] .

ثم يعلق على ذلك فيقول: ((أقول: يمكن أَنْ يكون النزاع لفظيًا؛ لأَنَّ من قال ببقائها أراد في الجملة لعدم انفكاك أصل الغُنَّة عن النون، ومن قال بسقوطها أراد عدم ظهورها))[٥]. تأتي النون الساكنة قبل حروف الحلق في كلمة وفي كلمتين، أما التنوين، فإنّهُ لا يكون إلاّ في كلمتين، للزومه الآخر[٦].

ويعضد كل من القسطلاني والقاري حديثهم حول ظاهرة الإدغام، بعدد من الأمثلة، منها ما كان في كلمة واحدة نحو قوله تعالى: ﴿وَيَنئُونَ﴾[٧]، و﴿يَنهَون﴾[٨]، و﴿ أَنعَمتَ﴾[٩]، و﴿فَسَيُنغِضُونَ﴾[١٠]، و﴿ ٱلمُنخَنِقَةُ﴾[١١]، وتأتي النون في كلمتين نحو قوله تعالى: ﴿مَن

(١) الكتاب: ٤/٤٨٠، و ينظر: البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد : ١٦٧.
(٢) الكتاب: ٤/٤٥١.
(٣) الموضح في التجويد: ١٧٢.
(٤) المنح الفكرية: ٢٠٨، والتمهيد: ١٥٤.
(٥) المنح الفكرية : ٢٠٨.
(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٩.
(٧) الانعام/٢٦.
(٨) آل عمران/ ١٠٤.
(٩) الفاتحة/٧.
(١٠) الاسراء/٥١.
(١١) المائدة/٣.

ءَامَنَ﴾[١]، ﴿مَن هَاجَرَ﴾[٢]، ﴿مِن عِلمٍ﴾[٣]، ﴿مَنْ حَآدَّ﴾[٤]، ﴿مِّنغِلّ[٥]﴾. وأما التنوين فمن أمثلته ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ﴾[٦]، ﴿نَارٌ حَامِيَة﴾[٧]، ﴿مَّآءٍ غَيرِ ءَاسِن﴾[٨]، ﴿مَّآءً غَدَقا﴾[٩]، ﴿يَومَئِذٍ خَٰشِعَةٌ[١٠]﴾ [١١].

أما المحدثون، فلم يختلفوا عن القدماء في إظهار النون الساكنة، إذا كانت متبوعة في أحد الحروف الستة : الهمزة ، الهاء، والحاء، والعين، والخاء، والغين[١٢] . وفي هذهِ المواضع ((لا تنطق النون نطقًا خالصًا))[١٣].

ثانيًا: الإدغام

((هو اللفظ بحرفين حرفًا مشددًا))[١٤]. وينقل القسطلاني تعريفًا آخرَ يقول فيه: ((وقال غيره: اللفظ بالساكن فمتحرك بلا فصل))[١٥] . ويعلق عليه مستشهدًا بقول الجعبري فيقول: ((وهذا يخرج منه الإظهار ويدخل فيه الإخفاء، قال الجعبري: الصحيح أَنْ يقال اللفظ بساكن فمتحرك بلا فصل من مخرج واحد، فيقول الجعبري: قولنا اللفظ بساكن فمتحرك جنس

---

(١) البقرة/ ٦٢.
(٢) الحشر/٩.
(٣) ص/٦٩.
(٤) المجادلة/٢٢.
(٥) الاعراف/٤٣.
(٦) الاعراف/ ١٠٥.
(٧) القارعة/ ١١.
(٨) محمد/ ١٥.
(٩) الجن/ ١٦.
(١٠) الغاشية/ ٢
(١١) ينظر: المنح الفكرية: ٢٠٧، واللآلئ السنية: ١٣٩.
(١٢) ينظر: دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو: ٦٠.
(١٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٤) النشر: ٢٧٤/١.
(١٥) اللآلئ السنية: ١٤٠.

يندرج فيه المظهر والمدغم والمخفي، وقولنا بلا فصل خرج به المظهر، وقولنا من مخرج واحد فصل خرج به المخفي انتهى))[١] .

ذكر أكثر علماء العربية وعلماء التجويد، أنَّ الحروف التي تدغم فيها النون الساكنة ستة أحرف وهي ((الياء، والراء، والميم، واللام، والواو، والنون)) مجتمعة في كلمة (يرملون)[٢] واختلف بعضهم في شأن الحرف الأخير النون، ورأى أنَّهُ لا معنى لذكرها مع بقية الحروف حيث جعلها في خمسة أحرف تجمعها عبارة (لم يرو)[٣].

قسم القسطلاني الإدغام على قسمين: إدغام بغُنَّة، وإدغام بغير غُنَّة[٤]. ومثل ذلك فعل علي القاري أيضًا[٥]. وأما الإدغام بغير الغُنَّة فيقع في اللام، والراء، إذ يقول القسطلاني: ((يدغمان اللام والراء بغير غُنَّة نحو قوله تعالى ﴿مِّن رَّبِّكُم﴾[٦]، ﴿فَإِن لَّم تَفعَلُوا﴾[٧]، ﴿ بَشَرا رَّسُولا[٨]﴾[٩] . ويبين القسطلاني وجه إذهاب الغُنَّة، فيقول: ((ووجه إذهاب الغُنَّة، لأَنَّ في إبقائها ثقلًا، وعلى إذهاب الغُنَّة))[١٠].

ولم يختلف الملا القاري في هذا، فذكر أنَّ النون تدغم في اللام والراء من غير إظهار غُنَّة و مثل لذلك أيضًا، بقوله تعالى: ﴿أَنْ لو﴾[١١]، و﴿هُدىً للمتقين[١٢]﴾[١٣]. وقال: ((نفي الغُنَّة عنهما مبالغة في تخفيفهما؛ لأَنّ في بقائها ثقلًا ما))[١٤].

---

(١) اللآلئ السنية: ١٤٠، و ينظر: كنز المعاني: ٢٠٣.

(٢) ينظر: الرعاية: ٢٠٥، و الحجة في القراءات السبع: ٦٧، و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٣٦٧.

(٣) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٢.

(٤) ينظر اللآلئ السنية: ١٤٠.

(٥) ينظر: المنح الفكرية: ٢٠٩.

(٦) البقرة/ ١٠٥.

(٧) البقرة/ ٢٤.

(٨) الاسراء/٩٤.

(٩) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٠.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(١١) الجن/ ١٦.

(١٢) البقرة/ ٢.

(١٣) المنح الفكرية: ٢٠٩.

(١٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

أما من قال بإظهارها، فيذكر القسطلاني أنّ بعض النحويين كابن كيسان أجاز إظهار الغُنَّة مع اللام خاصة، على الرغم من إدغامها عند أكثر النحويين، وبإجماع القرّاء وبتأكيد الروايات الصحيحة، وذلك في قوله: ((وأجاز بعض النحويين الغُنَّة مع اللام خاصة لزيادة رخاوتها على رخاوة الراء))[١].

ويعلق على من أخذ بهذا القول ويعدَّه لحنًا فيقول: ((وإظهار التنوين والنون عندهما لحن، وقد جاءت به روايات شاذة غير معمول، ولا معول عليها، ولو وقعت النون الساكنة قبل اللام والراء في كلمة لكانت مظهرة ، ولم يقع في القرآن منهُ شيء، وإنَّما وقع فيه ما كان من كلمتين فاعلم ذلك))[٢] .

فالقسطلاني يشير في هذا النص إلى أنَّ إدغام النون بغير الغُنَّة، لا يكون إلا من كلمتين؛ لأنَّهُ متى ما وقعت في الكلمة الواحدة أظهرت الغُنَّة، وقد ذكر علماء التجويد من قبل هذه المفهوم، إذ يقول مكي: ((لو وقعت النون الساكنة قبل الراء، واللام في كلمة، لكانت مظهرة، وعلَّة ذلك خوف الالتباس بالمضاعف))[٣]. وأيّدهُ الملا علي القاري في هذا قائلًا: ((اعلم أنَّ حكم اللام والراء إذا كانتا مع النونين في كلمة...، يجب اظهارهما معًا لئلا يشتبه بمضاعفهما إلاّ أنهُ لمَّا لم يقع شيء منه في القرآن في كلمة لم يحتج إلى استثنائه))[٤].

ثم ذكر بعض الأمثلة المستثناة من الإدغام، التي تقع في كلمتين، تُعامل معاملة الكلمة الواحدة وسبب ذلك، هو خوف اشتباهها بالمضاعف، يقول: ((وأما في كلمتين وهو قوله ﴿مَن رَاق﴾[٥]، فالجمهور على إدغامهِ ؛ وإنَّما سكت حفص حال الوصل على نونه وكذا على لام ﴿بَل رَانَ﴾[٦]، خوف اشتباهه بالمضاعف حيث يصير (مَرَّاق) و(بَرَّان) فيتوهم أن يكون الأول مبالغة مارِق، والثاني تثنية البَرّ، والمراد بالمضاعف هنا معناه اللغوي دون الاصطلاحي))[٧] .

---

(١) اللآلئ السنية: ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الرعاية: ٢٠٥.

(٤) المنح الفكرية: ٢١٢.

(٥) القيامة/ ٢٧.

(٦) المطففين/ ١٤.

(٧) المنح الفكرية: ٢١٢.

أما القسم الثاني من الإدغام فهو (الإدغام بغُنَّة)، ويذكر القسطلاني والقاري أنَّ النون الساكنة والتنوين تدغم بغُنَّة في أربعة أحرف :الياء، والواو، والميم، والنون مجتمعة في كلمة **(يومن)**[١]. أو كلمة **(ينمو)** كما ذكر بعضهم الآخر[٢]. ثم يذكر كل منهم اتفاق جميع القراء على إدغام النون الساكنة والتنوين في هذهِ الأحرف الأربعة بغُنَّة إلّا خلفًا راوي حمزة من القراء السبعة فإنّهُ اختلف عنهم في ذلك، حيث أدغم الواو والياء بغير غُنَّة[٣] . وبين حجة قراءة خلف في إذهاب الغُنَّة فيقول: ((ووجه خلف في اذهاب الغُنَّة ، قال بعضهم: لأَنَّ حقيقة الإدغام أَنْ ينقلب الحرف الأول من جنس الثاني فيكمل التشديد فلا يبقى للحرف الأول ولا لصفاته أثر))[٤] . أما بشأن نسبة الغُنَّة لحرفي الواو والياء، فيذكر الملا علي القاري أنَّ الغُنَّة ليست لهما وإنَّما هي غُنَّة المدغم ، فيقول: ((اتفقوا–العلماء–على أَنَّ الغُنَّة مع الواو والياء غُنَّة المدغم))[٥] .

أما مع النون فهي غُنَّة المدغم فيه ، وأما مع الميم فيجمع القسطلاني والقاري على اختلاف العلماء حولها في قولهم: واختلفوا في الغُنَّة الباقية في الميم، فقيل: هي غُنَّة النون أو التنوين، وهو مذهب ابن كسيان النحوي(ت:٢٩٩هـ)، وابن مجاهد المُقرئ(ت:٣٢٤هـ) وغيرهما تغليبًا للأصل، وذهب الجمهور إلى أنّها غُنَّة الميم كالنون في أنّهُ غُنَّة المدغم فيه وصور اختيار الداني والمحققين.

وأوضح القسطلاني السبب في جعل الغُنَّة للميم فيقول: ((إذا جاز إدغامها– النون– في الميم لأجل الغُنَّة كما تقدم لم يجز أنْ يذهب ما أوجب الإدغام وهي غُنَّة الميم؛ لأَنّ النون قد انقلبت إلى لفظ الميم فهي غُنَّة الميم لا غنيتها وهو مذهب الاكثرين))[٦]. ويؤيد الملا علي القاري الرأي الاخير بجعل الغُنَّة للميم ويصفهُ بالصحيح فيقول:((إنها غُنَّة الميم... وهو الصحيح لأَنْ الأولى – يقصد النون– قد ذهبت بالقلب فلا فرق بين (مِنْ مَنْ)

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤١، والمنح الفكرية: ٢١٠.

(٢) ينظر: الكشف: ١/١٣٦–١٦٤.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤١، و المنح الفكرية: ٢١٠.

(٤) اللآلئ السنية: ١٤١، و ينظر: اللآلئ الفريدة: ٣١٢.

(٥) المنح الفكرية: ٢١٠، و ينظر: الكشف: ١/١٦٤ ، و النشر في القراءات العشرة : ٢/٢٦.

(٦) اللآلئ السنية: ١٤١.

وبين (أم مَّنْ)...))[١]. وهذا ما أكّده علماء التجويد[٢]. والدرس الصوتي الحديث إذ يقول إبراهيم أنيس: ((أما إذا ولي النون (ميم) فالنون تفنى فناءً تامًا في الميم، فهو إدغام كامل لاريب فيه، والغُنَّة في هذه الحالة هي غُنَّة الميم المشددة))[٣].

أما مع الواو والياء فيذكر القاري أَنَّهُ لا غُنَّة فيهما وإنَّما الغُنَّة للنون، إذ يقول: ((الواو والياء لا غُنَّة فيهما بالأصالة وانما توجد فيهما عند المقارنة، فيفيد أَنَّ الغُنَّة في النون والميم أقوى من الغُنَّة في الواو والياء ولذا وقع خلف فيهما))[٤] .

ثالثًا: القلب:

هو **في اللغة** ((تحويلك الشيء عنه وجهه))[٥] . **وفي الاصطلاح:** ((قلب النون الساكنة والتنوين ميمًا مخفاة قبل الباء))[٦]. وأشار القسطلاني والقاري إلى المفهوم نفسه فقالا: هو قلب النونين ميمًا عند ملاقاتهم الباء، نحو قوله تعالى: ﴿أَنبَأَهُم﴾[٧]، ﴿أَنبُورِكَ﴾[٨]، ﴿عَلِيمُ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[٩]، ﴿وَهُم بِرَبِّهِم[١٠]﴾[١١] . وهذا ما أقره سيبويه من قبل[١٢] ومن تبعه من العلماء[١٣].

---

(١) المنح الفكرية: ٢١١.

(٢) ينظر: التحديد: ١١٣.

(٣) الأصوات اللغوية(إبراهيم أنيس): ٧٢.

(٤) المنح الفكرية: ٢١١.

(٥) تهذيب اللغة: ١٤٤/٩.

(٦) الميزان في أحكام التجويد: ١١٧.

(٧) البقرة/٣٣.

(٨) النمل/٨.

(٩) الحديد/٦.

(١٠) الانعام/ ١٥٠.

(١١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٣، و المنح الفكرية: ٢١٣.

(١٢) ينظر: الكتاب: ٤٥٣/٤،والمقتضب: ٢٢٠/١.

(١٣) ينظر: مرشد القارئ: ٦٨، والإقناع: ٢٥٧/١ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٧٥.

وللقلب مصطلح شاع عند علماء العربية ألا وهو(الإبدال)[١]. قال القسطلاني:((ولا تشديد في ذلك؛ لأنَّهُ بدل لا إدغام فيه إلاّ أنَّ فيه غُنَّة كما نبه عليه في النظم؛ لأنَّ الميم الساكنة من الحروف التي تصبحها الغُنَّة))[٢].

وسبب قلب هذهِ النون، هو((عسر الإتيان بالغُنَّة في النون والتنوين مع إظهارهما ثم إطباق الشفتين لأجل الباء، ولم يدغم لاختلاف نوع المخرج وقلة التناسب فيتعين الإخفاء ويتوصل اليه بالقلب ميمًا لتشاركه الباء مخرجًا والنونُ غُنَّة))[٣] .

وأما القسطلاني فيرى أَنّ بُعد مخرج النون عن مخرج الباء فضلًا عن كونهما صوتين شفويين، وبسب الغُنَّة الموجودة فيهما هو ما سبب اقلاب النون ميمًا: فيقول ((فوجه قلبهما ميمًا عند الباء لم يحسن الإظهار، لما فيه من الكلفة من أجل الاحتياج إلى إخراج النون والتنوين من مخرجهما على ما يجب لهما من التصويت عن الغُنَّة، فيحتاج بهما إلى فتور يشبه الوقف، وإخراج الباء بعدها من مخرجهما يمنع من التصويت بالغُنَّة من أجل انطباق الشفتين بها، ولم يحسن الإدغام؛ للتباعد في المخرج، والمخالفة في الجنسية ، حيث كانت النون حرفًا أغن والباء حرفًا غير أغن، وإذا لم تدغم الميم، لذهاب غنتها بالإدغام مع كونها من مخرجها فترك إدغام النون فيها مع أنها ليست من مخرجها أولى ، ولم يحسن الإخفاء كما لم يحسن الإظهار والإدغام؛ لأنَّه بينهما، ولما لم يحسن وجه من هذه الوجوه أبدل من النون حرفًا يؤاخيها في الغُنَّة والجهر، و يؤاخي الباء في المخرج وهو الميم فتأمل))[٤] .

أما علماء الصوت المحدثون، فقد وافقوا القدماء في أنَّ ((النون إذا جاورت الباء متجاورة مباشرة، تتأثر النون بالباء وتقلب إلى صوت أنفي شبيه بالباء في المخرج ، وهذا الصوت هو الميم . أي إنَّ النون تفقد مخرجها ولكن لا تفقد صفتها الانفية ، وذلك في مثل انبئهم من بعد))[٥].

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المنح الفكرية: ٢١٤.

(٤) اللآلئ السنية: ١٤٣، و ينظر: المنح الفكرية: ٢١٤.

(٥) الأصوات اللغوية:(إبراهيم انيس): ٧٢.

رابعًا: الإخفاء:

في اللغة: بمعنى الستر، فـ((خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى و أَخْفَيْتُهُ وَهُوَ فِي خِفْيَةٍ وَخَفاءٍ إِذَا سَتَرْتَهُ))[١]. **أما في الاصطلاح:**- فهو ((حال بين الإدغام والإظهار ويكون عاريًا من التشديد، ويكون عند اتصال النون الساكنة والتنوين بحروف الإخفاء الخمسة عشر، وهي: ((ص، ذ، ث، ك، ج، ش، ق، س، ح، ط، ز، ف، ت، ض، ظ))[٢].

لم يختلف القسطلاني والقاري مع العلماء السابقين[٣] في مفهوم الإخفاء، فحسب تعريفهم له هو إخفاء النون الساكنة والتنوين عند باقي الحروف الأخرى أي الحروف المتبقية بعد استخراج حروف الإظهار، والإدغام، والإقلاب- الخمسة عشر والتي ذكرناها سابقا[٤] جمعها بعضهم في أوائل عبارة:

صف ذا ثنا جود شخص قد سما كرمًا ضع ظالمًا زد تقى دم طالبًا فهما[٥]

ويوضح القسطلاني سبب الإخفاء فيقول: ((وجه الإخفاء عندهن؛ لأنّها لم يبعدا منهن بعده حروف الحلق حتى يجب الإدغام فأعطيا حكمًا متوسطًا بين الإظهار والإدغام، وهو الإخفاء، ويكون تارة إلى الإظهار أقرب وتارة إلى الإدغام أقرب على حسب بعد الحرف من النون وقربه ولفظ ذلك قريب بعضه من بعض)) [٦]. وهذا ما أشار إليه الداني من قبل في قوله: ((وإنّما أخفيا عندهن، لأنّهما لم يبعدا منهن كبعدها من حروف الحلق، فيجب الإظهار للتراخي، ولم يقربا منهن كقربها من حروف (لم يرو) فيجب الإدغام للمزاحمة، فاخفيا فصارا عندهن لا مظهرين ولا مدغمين))[٧].

---

(١) مقاييس اللغة: ٢٠٢/٢.

(٢) اللآلئ السنية:١٤٤.

(٣) ينظر: الدقائق المحكمة: ٣٠، وأوهام السيرافي في نسبة الآراء إلى الفراء (دراسة صوتية)، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، مج: ع /٢ كانون الأول ٢٠١٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤٥٤/٤، و المقتضب: ٢١٦/١.

(٥) اللآلئ السنية: ١٤٤، والمنح الفكرية: ٢١٥.

(٦) اللآلئ السنية: ١٤٥.

(٧) التحديد في الإتقان والتجويد: ١١٥.

في حين يوجه الملا القاري سبب اخفاءها قائلًا:((ووجه الإخفاء تراخي باقي حروف الهجاء عن مناسبة حروف الإدغام و مباينتها لحروف الإظهار فأخفيت))[١].

وكان لعلماء التجويد رأي في إخفاء النون والتنوين، فينقل مكي أنَّ ((العلَّة في إخفاء النون الساكنة والتنوين عندما ذكرنا أنَّ النون قد صار لها مخرجان : مخرج لها ومخرج لغنتها، فاتسعت في المخرج، فأحاطت عند اتساعها بحروف الفمّ، فشاركتها بالإحاطة، فخفيت عندها))[٢] .

وأوضح القسطلاني والقاري الفرق بين الإدغام والإخفاء ، فالإخفاء كما يذكران هو حالة بين الإظهار والإدغام لا تشديد معه بخلاف الإدغام، وإنَّ الإخفاء في الحرف يحدث عند غيره، لا في غيره، بخلاف الإدغام الذي يحدث في غيره لا عند غيره ، فتقول: اخفيت النون عند السين لا في السين، وأَدغمت في الراء لا عند الراء[٣]. ((وذلك لأَنَّ الحرف في الإدغام ينقلب مخرجًا وصفة إلى مثل الحرف الذي يدغم فيه، بينما تبقى في الإخفاء صفة الغُنَّة))[٤].

وينقل علي القاري نصًا لأحد الشراح ينقل فيه حقيقة الإخفاء فيقول: ((قال اليمني" وحقيقة الإخفاء أَنْ يذهب ذات النون من اللفظ مع بقاء صفة الغُنَّة))[٥]. ويقع الإخفاء في الحرف لا في الحركة كما ينقل الملا فيقول: ((وقال الرومي" المراد هنا اخفاء الحرف لا إخفاء الحركة... ثم كل ما ذكر من أول الباب إلى هنا إنْ كانا من كلمة فالحكم عام في الوصل والوقف، وإنْ كانا من كلمتين فالحكم مختص بالوصل، فافهم والله اعلم))[٦].

---

(١) المنح الفكرية: ٢١٦.

(٢) الرعاية: ٢٠٩.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٥، و المنح الفكرية: ٢١٦.

(٤) الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: ٩٨.

(٥) المنح الفكرية: ٢١٦.

(٦) المصدر السابق: ٢١٧.

ونذكر بعض الأمثلة التي ذكرها كل من القسطلاني والقاري في اخفاء النون الساكنة والتنوين عند حروف الإخفاء في كلمة واحدة نحو قوله تعالى: ﴿ مَّنضُود﴾[١]، و﴿مِنْكُمْ﴾[٢]، و﴿ يُنَزِّلَ﴾[٣]، ﴿يُنفِق﴾[٤]، و﴿مَّنثُورًا ﴾[٥]، و﴿وَكُنتُم﴾[٦]، ﴿وَعِنْدَهُ﴾، ﴿وَيُنْشِئُ﴾[٧]، ﴿مَا يَنْطِق﴾[٨]،﴿وانْظُر﴾[٩]، ﴿و يِنْقَلب﴾[١٠]، ﴿و لْتنذِر﴾[١١]، ﴿تَنْجِيكُمْ﴾[١٢]، ﴿انْدَادًا﴾[١٣]، ﴿الأُنْثَىَ﴾[١٤]،﴿أَنْصُرْنَا﴾[١٥]، ﴿أَنْشَرَهُ[١٦]﴾ . وما كان في كلمتين نحو قوله تعالى: ﴿مِنْ صَلْصِالٍ﴾ [١٧]،﴿مَنْ ذَّا الَّذِي﴾[١٨]، ﴿فَمِنْ ثَقُلَتْ﴾[١٩]،﴿مَنْ جَآءَ﴾[٢٠]، ﴿فَمَنْ شَآءَ﴾[٢١] ،﴿أَنْ قَالُوا﴾[٢٢] ،﴿فَإِن طِبنَ﴾[٢٣]،

---

(١) الواقعة/ ٢٩.
(٢) البقرة/ ١٨٤.
(٣) البقرة/ ٩٠.
(٤) البقرة/٢٦٤.
(٥) الفرقان/ ٢٣.
(٦) الوقعة/٧.
(٧) الرعد/ ١٢.
(٨) النجم/ ٣٠.
(٩) الاعراف/٨٦.
(١٠) الانشقاق/٩.
(١١) الانعام/٩٢.
(١٢) الصف/ ١٠.
(١٣) البقرة/ ٢٢.
(١٤) البقرة/ ١٧٨.
(١٥) البقرة/٢٤٥.
(١٦) عبس/ ٢٢.
(١٧) الحجر/ ٢٦.
(١٨) البقرة/ ٢٥٠
(١٩) الاعراف/ ٧١.
(٢٠) الانعام/ ١٦٠.
(٢١) الكهف/ ٢٩.
(٢٢) الجاثية/ ٢٥.
(٢٣) النساء/٤.

﴿فَإِن فَآءُو﴾[١]،﴿ ظِلّا ظَلِيلًا﴾[٢]،﴿ قَولا سَدِيدًا﴾[٣]،﴿فَمَن شَهِدَ﴾[٤]، ﴿عَمَلا صَٰلِحا﴾[٥]، ﴿ظِلّ ذِي ثَلَٰثِ﴾[٦]، ﴿ءَالِهَة دُونَ﴾ [٧]، ﴿عَاقِرا فَهَب لِي[٨]﴾[٩].

وأشار القسطلاني إلى مسألة قرب النون من حرف الإخفاء، إذ قال: ((والإخفاء، يكون تارة إلى الإظهار أقرب ، وتارة إلى الإدغام أقرب على حسب بُعدْ الحرف من النون وقربه))[١٠] .

وأشـار القاري إلى هذه المسألة عندما جعل الإخفـاء على مراتب، في قوله: ((ثم إنَّ الإخفاء على مراتب، فكل ما هو أقرب يكون الإخفاء أزيد، وما قرب إلى البعد يكون الإخفاء دون ذلك، وتظهر فائدته في تفاوت التشديد وتفاوت الغُنَّة))[١١]. وأَيد علماء الصوت الحديث القدماء في إخفاء النون بعد الحروف الخمسة عشر، القاف، الكاف، الجيم، الشين، الضاد، الصاد، الزاي، السين، الطاء، الذال، الثاء، التاء، الطاء، الدال، والفاء، سواء كانت في كلمة أو كلمتين فتبدل النون في هذه الحالة ويصير مخرجها من مخرج الحرف الذي بعدها[١٢].

---

(١) البقرة/٢٢٦.
(٢) النساء/ ٧٥.
(٣) النساء/ ٩.
(٤) البقرة/١٨٥.
(٥) الفرقان/ ٧٠.
(٦) المرسلات/ ٣٠.
(٧) الصافات/ ٨٦.
(٨) مريم/ ٥.
(٩) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٤-١٤٥، و المنح الفكرية: ٢١٦.
(١٠) اللآلئ السنية: ١٤٥.
(١١) المنح الفكرية: ٢٠٠.
(١٢) ينظر: دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو: ٦٠-٦١.

أحكام الميم الساكنة:-

يشير القسطلاني والقاري إلى أَنَّ الميم تشارك النون في صفة الغُنَّة، فيقول القسطلاني في هذا :((يقال لهما الأغنان، لما فيهما من الغُنَّة المتصلة بالخيشوم))[١] . ويوافقه القاري فيقول: ((بالغ في إظهار الغُنَّة الصادرة من نون وميم مشددتين، وإنما قدرنا المبالغة؛ لأَنّ الغُنَّة صفة لازمة للنون والميم تحركتا أو سكنتا ، ظاهرتين أو مخفاتين أو مدغمتين، إلاَّ أنها في الساكن أكمل من المتحرك ، وفي المخفي ازيد من المظهر وفي المدغم اوفى من المخفي، وقد عرفت أَنّ الغُنَّة مخرجها الخيشوم))[٢] . ثم يذكر الملا علي القاري مواطن الغُنَّة فيقول: ((في كل من النون والميم المشددتين يشمل المدغمتين الواقعتين في كلمة أو كلمتين وغيرَ المدغمتين الحاصلتين في كلمة، فالنون:

١. المدغمة في كلمة كـ(الجنَّة)، و(النَّاس)، و(إنَّا).
٢. المدغمة في كلمتين نحو: ﴿مِّن نَّٰصِرِينَ﴾[٣]،﴿إِن نَّقُولُ﴾[٤]، وأما النون المشددة بغير المدغم فنحو﴿إِنَّ ٱللَّه[٥]﴾ [٦].
٣. ثم الميم المدغمة في كلمة، نحو: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ﴾[٧]، و﴿هَمَّ قَومٌ﴾[٨]، والمدغمة في كلمتين نحو﴿كَم مِّن فِئَة﴾ [٩] و﴿ما لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾[١٠].
٤. وكذلك الميم المشددة سواء كانت بإدغام أم بغير إدغام، فالميم المشددة بغير إدغام نحو:(لمَّا)، (ثُمَّ)، (ثَمَّ) وكذلك (أَمَّا) بالفتح، و(إِمَّا) بالكسر، وتأتي في بعض المواضع

---

(١) اللآلئ السنية: ١٣٦.
(٢) المنح الفكرية: ١٩٦.
(٣) آل عمران/ ٩١.
(٤) هود/ ٥٤.
(٥) النساء/ ٥٨.
(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٦، والمنح الفكرية: ١٩٦ـ١٩٧.
(٧) الاعراف/ ١٤٢.
(٨) المائدة/١١.
(٩) البقرة/ ٢٤٩.
(١٠) يونس/ ٢٧.

مدغمة نحو: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾[١] أصلها (إِنْ) الشرطية ادغمت في (ما) المزيدة للتأكيد، وفي مواضع أخرى مشددة من غير إدغام نحو: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[٢].

ويعقب القاري على من قال بأنَّ التشديد مستلزم للإدغام ويصفه بغير الصحيح ويرد عليه فيقول : ((ما فهمه المصري حيث قال: وفيه بحث ؛التشديد مستلزم للإدغام" غير صحيح؛ إذ الأمر بالعكس فإن الإدغام مستلزم للتشديد بخلاف عكسه وإنما يتبين لك الفرق بينهما بحسب بنية أصولها))[٣] .

قسم المتأخرون من علماء التجويد والقراءات أحكام الميم الساكنة على ثلاثة اقسام: الإدغام، الإظهار، الإخفاء[٤]. في حين جعلها القسطلاني والقاري على حكمين هما: الإخفاء والإظهار [٥].

١-**الإخفاء**: وهو اخفاء الميم الساكنة إذا أتت الباء بعدها[٦]. أو هو نطق الميم الساكنة بحالة بين الإظهار والإدغام، و يكون عاريًا من التشديد، مع بقاء غُنَّة الميم[٧].قال الداني كذلك:((إنِ التقت الميم بالباء...علماؤنا مختلفون في العبارة، فقال بعضهم هي مخفاة لانطباق الشفتين عليهما ، كانطباقهما على أحدهما. وهذا مذهب ابن مجاهد، في ما حدثنا به الحسن بن علي،... قال: والميم لا تدغم في الباء لكنها تخفى؛ لأَنَّ لها صوتًا في الخياشم، تواخي به النون الخفيفة))[٨].

وقد بين القسطلاني اختلاف آراء العلماء في هذا الحكم فيذكر أنَّ الإخفاء هو مذهب ابن مجاهد، والداني، وابن الجندي، وغيرهم، وهو القول المشهور والمختار لدى أكثر أهل الأداء[٩]. وهذا ما ذكره الملا علي أيضًا[١٠] .

---

(١) البقرة/ ٣٨.

(٢) محمد/ ٤.

(٣) المنح الفكرية: ١٩٧.

(٤) ينظر: الشر في القراءات العشر: ٢٢٢/١، ، وجهد المقل: ٢٠٦،والدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ٣٨٩.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٦، المنح الفكرية: ١٩٦-١٩٧.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٩٨، المنح الفكرية: ١٣٦.

(٧) ينظر: المنح الفكرية: ٢٠٠.

(٨) التحديد في الإتقان والتجويد : ١٦٦.

(٩) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٦.

(١٠) ينظر: المنح الفكرية: ١٩٨.

وذهب آخرون إلى إظهارها وهم: مكي، وابن منادي، وتبعه محمد السمرقندي[١]. قال مكي: ((إذا سكنت الميم وجب أَنْ يحتفظ بإظهارها ساكنة عند لقائها باء أو فاء أو واوًا ... لابد من بيان الميم الساكنة في هذا كلّه ساكنة من غير أنْ يحدث فيها شيء من حركة وإنَّما ذلك خوف الإخفاء والإدغام لقرب مخرج الميم من مخرجهن، لأَنّهن كلهن يخرجن من ما بين الشفتين))[٢]. وقد أخذ القسطلاني لمذهب الإخفاء إذ قال: ((وبالإخفاء أخذنا))[٣] .

يلحظ من نصّ مكي أنّ الميم تظهر عند الباء والواو والفاء، وليس عنده فقط كما ينقل القاري، بل اشتهرت عند العامة إذ يقول: ((واشتهر عند العامة أَنَّ حروف "بوف" تظهر عندها الميم ، أيّ الأصلية. ثم أعلم أَن سكون الميم أعم من أَنْ تكون أصلية نحو : ﴿أَم بِظَٰهِر﴾[٤]، أو عارضة للسكون كقوله تعالى﴿ وَمَن يَعتَصِم بِٱللَّهِ ﴾[٥]، من قوله سبحانه: ﴿وَمَا هُم بِمُؤمِنِينَ﴾[٦]، ﴿ فَٱحكُم بَينَهُم﴾[٧]، ونقل زكريا أنّهُ قيل بإدغامها والله أعلم)) [٨]. ووافق علماء الصوت المحدثون القدماء في اخفاء الميم مع الباء؛ لأَنَّ الباء صوت شديد يؤثر في نظائره المجاورة أكثر مما يمكن أَنْ تؤثر الفاء[٩] .

٢- **الإظهار** : ويقصد به إظهار الميم الساكنة إذا جاء بعدها حرف من حروف الهجاء غير الباء[١٠]. قال القاري: أظهر الميم البتة عند باقي الأحرف غير الميم، فإنَّ حكمها علم من إدغام المثلين نحو ﴿ وَمِنهُم مَّن﴾ [١١]. ((سواء وقعا في كلمة نحو: ﴿ أَنعَمتَ﴾[١٢]، أو في

---

(١) ينظر: المنح الفكرية: ١٩٨.

(٢) الرعاية : ٢٠٦-٢٠٧، و الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٩٢.

(٣) اللآلئ السنية:١٣٦.

(٤) الرعد/ ٣٣.

(٥) آل عمران/ ١٠١

(٦) البقرة/ ٨.

(٧) المائدة/ ٤٨.

(٨) المنح الفكرية:١٩٨.

(٩) ينظر: الأصوات اللغوية (إبراهيم انيس): ٧٢.

(١٠) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٦.

(١١) التوبة/ ٧٥.

(١٢) الفاتحة/ ٧.

كلمتين نحو: ﴿ مَثَلُهُم كَمَثَلِ[1]﴾[2] . ويحذر القسطلاني والقاري من إخفاء الميم قبل الواو والفاء، على الرغم من أنَّ هنالك من أمر بإظهارها معللينِ سبب ذلك، لاتحاد مخرجها بالواو وقربها من الفاء فيسبق اللسان لذلك إلى الإخفاء[3]، وهذا رأي الاكثر[4].

ينقل الملا علي القاري أنّ هنالك بعض الآراء تصرح بإظهار الميم عند الباء وهي غير صحيحة، مستشهدًا على ذلك بنص للعلامة بحرق يقول فيه: ((وأما قول بحرق" لاتحاد المخرج ولذا أظهرها بعضهم عند الباء أيضًا" فتعليل غير صحيح؛ لأنَّ ترتيب الإظهار على اتحاد المخرج غير صحيح))[5].

ويشير الدرس الصوتي الحديث إلى أنَّ هذا الاختلاف هو اختلاف لفظي لا غير، فيقول الدكتور غانم قدوري: ((إنَّ القول بإظهار الميم الساكنة عند الباء هو الصحيح؛ وذلك لأَنّ انطباق الشفتين على الحرفين انطباقًا واحدًا لا يكفي لتسمية ذلك بالإخفاء الذي قد يلتبس معناه لاسيما إذا انصرف الذهن إلى معنى إخفاء النون عند حروف الفم، وقولنا بالإظهار هنا لا يراد منه قطع نطق الميم عن الباء؛ لأَنَّ ذلك يكون في الغاية من الثقل والاشباع. والمتأمل يجد أنَّ نطق الميم الساكنة قبل الباء يكون واحدًا عند من سمّاه إخفاءً وعند من سمّاه إظهارا. فالاختلاف على الارجح لفظي فالأولى إغفاله وإجراء حكم الميم الغالب عليها وهو الإظهار))[6].

ويشدد الملا علي القاري على سكون الميم مع الإظهار فيقول: ((إذا أظهرت فليُتَحَفَّظْ بإسكانها وليُتَحَرَّزْ عن تحريكها كما يفعله العامة في نحو:...، ﴿ هُمْ فِيهَا﴾[7]، واجتمعا في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغيَٰنِهِم﴾[8]))[9].

---

(١) البقرة/ ١٧.

(٢) ينظر: المنح الفكرية: ٢٠٧.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ١٣٧، المنح الفكرية: ١٩٩.

(٤) ينظر: شرح طيبة النشر: ٣٨، و الحواشي المفهمة: ٢٤٠، والشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: ٩٣.

(٥) المنح الفكرية: ١٩٩.

(٦) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٣٩٢-٣٩٣.

(٧) البقرة/ ٨١.

(٨) البقرة/ ١٥.

(٩) المنح الفكرية: ١٩٩.

المبحث الثاني: المد والقصر

توطئة :

تختص ظاهرة المد والقصر بالحروف الثلاثة فقط الألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها؛ وذلك لما تمتاز به هذه الأصوات من مميزات عدة في صفاتها وطرائق نطقها، التي ميزتها من غيرها من الأصوات، مما جعلها تحظى بعناية كبيرة من لدن علماء العربية وعلماء التجويد سواء أكانوا متقدمين أم متأخرين[١]، فيقول المبرِّد: ((هي حروف بائنة من جميع الحروف؛ لأنّها لا يمد صوت إلّا بها والإعراب منها))[٢] وقد لاحظوا أَنَّ هذه الأصوات عند التركيب تتعرض للتطويل (المد) فتصير ضعف طولها الأصلي أو أكثر، وتتعرض كذلك للتقصير (القصر) حتى تصير حركة[٣]. وكان للقسطلاني والقاري توجيه أبينه بالآتي:

أ. مفهوم المد والقصر: المد ((عبارة عن زيادة المط في حروف المد على المد الطبيعي، وهو الذي لا تقوم ذات الحرف إلّا به))[٤]. وعرّف ابن الطحان المط فقال:((والمط : هو المد نفسه لغة ثانية فيه))[٥]. **وأما القصر** فهو :((عبارة عن ترك تلك الزيادة، وإبقاء المد الطبيعي على حاله، وهو الأصل، وقدموا عليه المّد؛ لقوته، أو لأنَّه هو المقصود بالذكر ، إذ لا فائدة في ذكر حكم القصر))[٦] . وبهذا المفهوم يتابع القسطلاني ابن الجزري– الناظم – ويوافقه فيه[٧].

---

(١) ينظر: التفكير الصوتي عند مكي بن ابي طالب في ضوء علم اللغة المعاصر : ٢٨٠.

(٢) المقتضب : ٢١٠/١ .

(٣) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : ٤٣٨ – ٤٣٩ .

(٤) اللآلئ السنية : ٢٨، ١٤٦ .

(٥) مرشد القارئ : ٦٤ .

(٦) اللآلئ السنية : ٢٨/ ١٤٦ .

(٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن : ٣٣٣/١ ، وينظر النشر في القراءات العشر : ٣١٣/١ .

أما علي القاري فذكر المعنى اللغوي فضلًا عن المعنى الاصطلاحي، فقال :((المد لغةً : الزيادة[١]))[٢]. واصطلاحًا: ((إطالة الصوت بحرف مدي من حروف العلَّة))[٣]. ((والقصر لغة: الحبس[٤]))[٥]. وهو((ترك المد، وهو الأصل إذ المدُّ لابد له من وجود سبب يتفرع عليه))[٦]. وقال في موضع آخر:((المراد بالقصر هو ترك مد تلك الزيادة لا ترك أصل المد فافهم))[٧]. وينقل الملا علي القاري تعريفًا آخر للجعبري، يقول فيه ((قال الجعبري : المد طول زمان صوت الحرف، واللين أقله، والقصر عدمهما))[٨]. ولم أجد هذا النصّ صراحة في كتاب الجعبري كنز المعاني. ولكنهُ يطابق نصًّا لطاش كبرى زاده في تعريفهِ للمد ولم يختلف عنهُ في شيء[٩].

ومن النصوص المتقدمة للقسطلاني والقاري يتبين أنَّ رؤيتهم لمفهوم المد متقاربة، من حيث إطالة صوت المد على مدّه الطبيعي، والقصر هو ترك هذهِ الزيادة، لكنهم تباينوا في قضية حكم أصل المد أم القصر، فيذكر القسطلاني أنَّ القصر هو الأصل، لكنهُ يرى أَنّهُ لا فائدة في ذكر حكمه ويوافقه القاري في أَنَّ القصر هو الأصل، غير أنّهُ يحتج عليه وعلى من قال بهذا الرأي (لا فائدة في ذكر حكم القصر[١٠]). فيرد عليه قائلًا: ((وأما قول لا فائدة في ذكر حكم القصر، فخروج عن الحد ؛ إذ فيه الفوائد أيضًا من غير الحصر مع أنَّ الأشياء إنما تتبين بأضدادها))[١١].

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥٣٧/٢١ .

(٢) المنح الفكرية : ٢١٩ .

(٣)المصدر نفسه والصفحة نفسها ، وينظر الطرازات المعلمة: ١٨٩ ، والحواشي الازهرية :٨٦.

(٤) ينظر مجمل اللغة : ٧٥٦.

(٥) المنح الفكرية : ٢١٩.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) المصدر السابق : ٢٢٠.

(٨) المصدر السابق : ٢١٩.

(٩) ينظر: شرح المقدمة الجزرية : ٢١٠.

(١٠) ينظر:اللآلئ السنية: ١٤٦.

(١١) المنح الفكرية : ٢١٩، و اللآلئ السنية(هامش المحقق): ١٤٦.

ب- حروف المد: وحروف المد عند القسطلاني والقاري ثلاثة وهي: ((الألف، لا تكون إلّا ساكنة، ولا توجد حركة ما قبلها إلاَّ من جنسها وهي الفتحة))[١]. ((والياء الساكنة المكسور ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها))[٢]. ويذكر القسطلاني سبب تسميتها بالمديّة قائلًا: ((سميت بذلك لامتداد الصوت بها))[٣].

وتخرج هذهِ الأصوات عن كونها مدية إذا ((كان قبل الواو والياء الساكنتين فتحة فتسميان حروف اللين، واذا كانتا متحركتين فاختصتا بحروف العلَّة، والحاصل: أنَّ العلَّة أعمّ من المد واللين))[٤] .

وأشار القسطلاني إلى تباين هذه الحروف أحدهما على الآخر وأيده القاري في هذا، فجعلا الألف أصل المد، إذ يقول القسطلاني: ((وأصل المد واللين الألف؛ لأنهَّا لا تتغير عن كونها ساكنة ولا يتغير ما قبلها عن الحركة المجانسة لها، وليست الياء والواو كذلك، وإنما يشبهان الألف إذا سكنتا وكانت حركة ما قبلها مجانسة لهما))[٥].

وقال القاري: ((والألف دائمًا مد بخلاف أخويها، ثم قيل بتباين حرفي المد واللين وعدم صدق أحدهما على الآخر في التمكن، لكن من المحققين من جعل بينهما عمومًا وخصوصًا مطلقًا مع قوله بذلك الفرق السابق، قاطعًا بصدق حروف اللين على حروف المد من غير عكس))[٦]، ولم يكن القسطلاني والقاري أول من ذكر هذه الحروف وميزها عن بعضها وإنما سبقهما في هذا علماء العربية [٧] وعلماء التجويد[٨].

ج- سبب المد :-

اجتهد علماء العربية في دراسة ظاهرة المد وبيان أسبابها، وأعقبهم علماء التجويد في ذلك، فاتخذوا ما ذكره علماء العربية أساسًا وقاعدةً لدراستهم ظاهرة المد، لكنهم أفاضوا في

---

(١) المنح الفكرية : ٢٢٠، وينظر اللآلئ السنية: ١٤٦.

(٢) اللآلئ السنية: ١٤٦، وينظر: المنح الفكرية :٢٢٠.

(٣) اللآلئ السنية: ١٤٦.

(٤) المنح الفكرية : ٢٢٠.

(٥) اللآلئ السنية: ١٤٦.

(٦) المنح الفكرية : ٢٢٠.

(٧) ينظر: الكتاب: ٤٢٦/٣، وسر صناعة الإعراب: ٣٣/١-٣٥، ٧٦.

(٨) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: ٤٥/١-٤٦، والتبصرة في القراءات السبع : ٢٥٧

التقسيم والتمثيل والتعليل[١]. فكان ابن جني أول من بيّن سبب مدّ الأصوات الثلاثة – الألف، والواو، والياء – فقال: ((الألف والياء والواو اللواتي هن حروف نوام – نما الشيء إذ زاد وكثر، والحروف نوام إذا كانت أتم وأطول في بعض أحوالها – كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك يخاف وينام، ويسير ويطير، ويقوم ويسوم، فنجد فيهن امتدادًا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم، ازددن طولًا وامتدادًا))[٢].

ومن علماء التجويد نرى مكيًا يعلل لظاهرة المد قائلًا :((واعلم أنّه إنَّما يمكن المد ويشيع في هذه الحروف – الألف ،والوا، والياء – مع اجتماعهن بهمزة أو مجيء حرف ساكن بعد واحدة منهن))[٣]. وأشار الداني كذلك إلى سبب المد في معرض حديثه عن الألف ، فقال: ((إن لقي همزة أو حرفًا ساكنًا، مظهرًا أو مدغمًا، زيد في تمكينه وإشباع مده، بيانًا للهمزة لخفائها وليتميز بذلك الساكنان أحدهما من الآخر ولا يجتمعان. وكذلك حكم الياء المكسور ما قبلها ، والواو المضموم ما قبلها))[٤].

وأثبت ذلك في أرجوزته المنبهة فقال:–

والهمزات بعد حروف اللين يزدن في التمطيط والتمكين[٥]

وأيّد القسطلاني في ما ذكره سابقيه من العلماء، غير أنهُ اختلف عنهم بعض الشيء في توسعه لبيان هذه الأسباب، فقال: ((حروف المد... لا يزداد على مدّها الطبيعي إلّا لسبب، والسبب أما أنْ يكون لفظيًا أو معنويًا، واللفظي أَما أنْ يكون همزًا أو سكونًا، فإنْ كان سكونًا فأَما أَنْ يكون لازمًا (فاللازم ما لزم حالة واحدة) أو عارضًا وهو في قسميه: أَما أَنْ يكون مدغمًا، او غير مدغم))[٦]. وأَما ((السبب المعنوي: فهو قصد المبالغة في النفي))[٧]. وهو نفس السبب الذي أورده القاري في قوله: ((اعلم أنَّ أسباب المد منها لفظي كما تقدَّم،

---

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤٢.

(٢) سر صناعة الإعراب :١/٣٣.و(الهامش)

(٣) التبصرة في القراءات السبع: ٢٥٧.

(٤) التحديد في الاتقان و التجويد: ١٢١، وينظر: التيسير في القراءات السبع :١٦٠

(٥) الأرجوزة المنبهة: ٢٣٢.

(٦) اللآلئ السنية: ١٤٦.

(٧) المصدر السابق: ١٤٩.

ومنها معنوي وهو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عند العرب، وإنْ كان أضعف من السبب اللفظي عند القراء، ومنه مد التعظيم في نحو ﴿**لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ**﴾[١]...، ويقال له أيضًا مد المبالغة؛ لأَنهُ طلب للمبالغة في نفي إلهيُّة سوى الله سبحانه وتعالى))[٢]. وقال في موضع آخر إنَّ ((الهمزة والسكون هو السبب لزيادة المد))[٣].

والملاحظ على النصوص المتقدمة للقسطلاني والقاري أنَّهما قد تابعا علماء التجويد في جعلهم الهمزة والسكون سببًا للمد لكنهم زادوا عليها السبب المعنوي الذي ذكره ابن الجزري في النشر، في قوله إنَّ سبب المد ((إما لفظي، وإمَّا معنوي، (فَاللّفْظيُّ) إمَّا همزة وإمَّا ساكن))[٤]. ((وأَما المعنوي فهو قصد المبالغة في النفي))[٥].

وللمدّ عدد من الأسباب التي يفرضها الواقع الصوتي عند علماء التجويد وكما يأتي:

١. السبب اللفظي: ويكون في موضعين:

الأول: المد بسبب الهمزة :

يرى القسطلاني أَنَّ من أسباب زيادة المد كما ذكرنا سابقًا الهمزة، وتكون الهمزة في هذا الموضع على حالتين ،أَما أنْ تتقدم على حروف المد أو تتأخر، وإذا تأخرت إما أنْ تكون مع حروف المد في كلمة واحدة ويطلق عليه (بالمد المتصل) وحكمه واجب، وإما أنْ تكون الهمزة مع حروف المد في كلمتين ويسمى (بالمد المنفصل) وحكمه جائز، وأثبت هذا في نصّه المتضمن قوله :((إن كان السبب همزًا فأما أنْ يكون متقدمًا على حروف المد نحو ﴿**آدم**﴾[٦] أو أنْ يكون متأخرًا على حرف المد وهو قسمان :الأَول: أنْ يجتمع المد والهمز في كلمة واحدة، ... والقسم الثاني: أَنْ ينفصل حرف المد عن الهمزة بأَنْ يكون حرف المد آخر كلمة والهمز أول كلمة أخرى نحو ﴿ بِمَا أُنزِلَ﴾[٧]))[٨] . وسنتناول هذا بالتفصيل:-

---

(١) محمد/١٩.

(٢) المنح الفكرية : ٢٤٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٤١.

(٤) النشر في القراءات العشر : ٣١٣/١.

(٥) المصدر السابق: ٣٤٤/١.

(٦) طه/ ١١٧.

(٧) البقرة/ ٤.

(٨) اللآلئ السنية: ١٤٨-١٤٩، و ينظر: المنح الفكرية : ٢٢٧-٢٣٤.

أ- المد المتصل (الواجب) .

قال القسطلاني في المدّ المتصل هو ((أنْ يجتمع حرف المد والهمز في كلمة واحدة، وإليه أشار الناظم في قوله "وواجب إنَّ جاء – أي حرف المدّ – قبل همزة متصلًا إنَّ جمعا" [١]– اي حرف المد والهمز– في كلمة واحدة، ويسمى واجبًا؛ لأنَّه لا يجوز قصره عن أحد من القراء))[٢]، وقال كذلك: ((ويسمى متصلًا لاتصال حرف المد بالهمز))[٣]. ويلتقي القاري مع القسطلاني في مفهومه للمد المتصل، إذ يقول((والمد واجب إنْ جاء حرف المد قبل الهمزة حال كون حرف المد متصلًا بها بأَنْ اجتمعا في كلمة واحدة،..، ومنه قوله تعالى﴿هاؤم ﴾[٤] ﴿ هَـٰٓؤُلَاءِ﴾[٥] و﴿ والنبيء﴾[٦] عند من همز، ويسمى هذا المد مد المتصل))[٧].

أَما في مرتبة مدّه فينقل القسطلاني والقاري اتفاق القرّاء جميعهم على وجوب مده، بدليل ما روي عن ابن مسعود من ((أَنَّه كان يُقرئُ رجلًا ، فقرأ الرجل ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[٨] مرسلة، فقال ابن مسعود : ما هكذا أقرأنيها رسول الله (ﷺ) فقال كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال أقرأنيها ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلفُقَرَآءِ وَٱلمَسَٰكِينِ﴾ فمدها))[٩].

وقال القسطلاني: ((إنَّ المتصل لا يجوز قصره ، وأَنْ من قصره عد لاحنًا))[١٠] لكنهم اختلفوا في مقداره، فيقول القسطلاني: ((اتفقت القرّاء أجمع على مدِّ المتصل ، ومحل اختلافهم إنَّما هو من جهة اعتبار أثر الهمزة فإنهم اختلفوا في مقداره ، واختلفت نصوص النقلة في ذلك، قال في التيسير وأطولهم مدًا في الضربين – يعني ضرب المتصل والمنفصل

---

(١) المقدمة الجزرية: ١٨.

(٢) اللآلئ السنية: ١٤٨.

(٣) المصدر السابق: ١٤٩، و ينظر: الحواشي المفهمة: ٢٥٣، والحواشي الأزهرية: ٨٧.

(٤) الحاقة/١٩.

(٥) الانبياء/٩٩.

(٦) المائدة/٨١.

(٧) المنح الفكرية : ٢٢٨.

(٨) التوبة/٦٠.

(٩) النشر في القراءات العشر: ٣١٥/١– ٣١٦ ، اللآلئ السنية: ١٤٩، المنح الفكرية : ٢٣٢–٢٣٣.

(١٠) اللآلئ السنية: ١٥١، و ينظر: المنح الفكرية : ٢٣٩.

– ورش وحمزة ودونهما عاصم ودونه ابن عامر والكسائي ودونهما أبو عمرو – أي من طريق أهل العراق – وقالون من طريق أبي نشيط))[١].

وأقر القاري مؤيدًا ما نقله القسطلاني فقال: ((اتفق القرّاء جميعهم من السبعة والعشرة وغيرهم على اعتبار أثر الهمزة إذا كانت بعد المد))[٢]. وأَما محل اختلافهم فهو في ((تفاوت الزيادة في مراتب المد فالذي نقله السخاوي عن شيخه الشاطبي أَنهُ كان يرى في هذا النوع مرتبتين : طولى لورش وحمزة، ووسطى للباقين، وقال ابن المصنف كان الناظم يأخذ به إذا قرأ من طريق الشاطبية))[٣]. أما إذا ((اعتبرت مراتب القراء في الترتيل والتوسط والحدر تلخَّص منها أربع مراتب، فيكون أطولهم في هذا النوع حمزة وورش، ثم عاصم، ثم ابن عامر والكسائي، ثم أَبو عمرو أو ابن كثير وقالون))[٤].

ويذكر القسطلاني والقاري تفاوت القرّاء واختلافهم في مقدار الزيادة في هذه المراتب من بعض النصوص التي وردت عنهم والتي تنصُّ على ((أنَّ القراء اختلفوا في مقدار هذه المراتب فقيل أول الرُّتب الف وربع، وهو مذهب ابن كثير وأبو عمرو وقالون، ثم ألف ونصف وهو مذهب ابن عامر والكسائي ، ثم ألف وثلاثة أرباع – وهو مذهب عاصم –، ثم ألفان – وهو مذهب حمزة ورش– ، وقيل: أولها ألف ونصف، ثم ألفان، ثم ألفان ونصف، ثم ثلاث ألفات وزاد القاري على ما ذكر القسطلاني فقال: أولها ألف، ثم ألفان، ثم ثلاث، ثم أربع، قال الرومي (وهذا مذهب الجمهور) والمراد بالألف هو ما عدا الالف الذي هو المد الأصلي للإجماع))[٥].

ويذكر القسطلاني هذه المراتب هي كلّها مجرد ((تقريب لا يضبطه إلَّا المشافهة والإدمان))[٦] .

---

(١) اللآلئ السنية: ١٥٠، التيسير: ١٥٨–١٥٩.

(٢) المنح الفكرية : ٢٢٨.

(٣) الحواشي المفهمة: ٢٥٤، وينظر: المنح الفكرية : ٢٣٠، وفتح الوصيد في شرح القصيدة: ٢٧٠.

(٤) المنح الفكرية: ٢٣٠.

(٥) اللآلئ السنية: ١٥١، ينظر: المنح الفكرية : ٢٣٣.

(٦) اللآلئ السنية: ١٥١.

وللتسهيل جمعت في الأبيات التالية [من الطويل][1] .

ثـلاثُ ألفـات مَـــدَّ ورشُ وحمـزة لذي الوصل ثم الفصل كُنْ متأملا
وعاصمُ بَعْدَ اثنين نَصْفَ وشامُهُمْ الفْ ثم نصف فافهم الكل وَأعقِـلا
وقالون والدوري بوجهين فصلهم ومكٍ وصالحْ وجه قصر على الولا
وهذا على التقريب يا صاح جاءنا بهِ النقـــل عن اشياخِنَا متنقـلا

وأيد القاري ما أورده القسطلاني في كتابه من أَنَّ هذه المراتب كلّها تقريبية، وبيّن معها بعض الوسائل التي ابتكرها علماء التجويد لقياس مقادير الممدود، فقال: ((وأَما معرفة مقدار المدات المقدرة بالألفات فإنْ تقول مرةً أو مرتين أو زيادة وتمد صوتك بقدر قولك: أَلف أَلف، أو كتابتها، أَو بقدر عقد أصابعك في امتداد صوتها، وهذا كله تقريب لا تحديد للشأن؛ إذ لا يضبطه إلاّ المشافهة والإدمان))[2].

ثانيًا:- المد المنفصل (الجائز)

قال القسطلاني هو: ((أنْ ينفصل حرف المد عن الهمز بأَنْ يكون حرف المد آخر كلمة والهمز أول كلمة أُخرى نحو ﴿بِمَآ أُنزِلَ﴾[3]، و﴿فِيٓ أَنفُسِكُم﴾[4]، و﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[5]. ويسمى جائزًا، الجواز مده وقصره، ومنفصلًا، لانفصال المد عن الهمز))[6].

إنَ الملا القاري كان يستعمل ذات المصطلح، ويتفق مع القسطلاني في أنَّ المد المنفصل ((مد جائز إذا جاء حرف المد قبل الهمزة حال كون حرف المد منفصلًا عن الهمزة بأَنْ اجتمعا في كلمتين ، وهو أَنْ يكون حرف المد في آخر الكلمة الماضية والهمزة في أَول الكلمة الآتية ، وقد جمع الشاطبي أمثلتة في قوله:(وَمَفْصُوْلة في أُمِّها أمْرُهُ إلى) منبهًا على أَنَّ المعتبر في حرف المد أَنْ يكون ملفوظًا لا أَنْ يكون مكتوبًا))[7]. وهذا المفهوم للمد

---

(١) اللآلئ السنية:١٥١.

(٢) المنح الفكرية: ٢٣٣، وينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٥٤.

(٣) البقرة/ ٤.

(٤) البقرة/ ٢٣٥.

(٥) البقرة/ ١٤.

(٦) اللآلئ السنية : ١٤٩.

(٧) المنح الفكرية: ٢٣٤، وينظر: متن الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني) : ١٤/١.

المتصل ورد عن كثير من العلماء السابقين للقسطلاني والقاري مثل مكي القيسي[١]. والداني[٢]. وغيرهم[٣] .

أَما سبب تسميته فكما علل القسطلاني لذلك يتابعه القاري ويرد أكثر من رأي لسبب هذهِ الظاهرة فيقول: ((إِنَّما سمي هذا المد جائزًا لاختلاف القُرّاء فيه، فإِنَّ ابن كثير والسوسي يقصرانه بلا خلاف، وقالون والدوري يقصرانه ويمَّدانه، والباقون يمدونه بلا خلاف، ويقال: سمي جائزًا؛ لأَنه إِنَّما يجوز مده إذا وصل بين الكلمتين في القراءة، وأَما إِذا وقف على الكلمة الأولى فلا مَدَّ أصلًا كما لا يخفى، وقيل : سمي جائزًا لجواز زوال سببه فيجوز قصره))[٤].

أَمَّا من ناحية مده، فيجوز فيه المد ويجوز القصر، لكن لا يتحقق المد، إِلاَّ إذا كان حرف المد موصولًا بما يأتي بعده من الكلمات، يقول القسطلاني: ((واعلم أَنَّ هذا المد في المنفصل إِنَّما يكون في الوصل ، فلو وقف على حرف المد عاد إلى أصله وسقط المد ، لعدم موجبه))[٥].

وقال القاري مستشهدًا بما ورد عن قول المصري :((فالجائز ما كان مده جائزًا عند جميع القراء مع جواز القصر، وقيل: ما جاز مده عند جميع القرّاء، والعبارة الأُولى أَوْلَى)...، وإِنَّ كليهما لا يصح عند أرباب المبنى وأصحاب المعنى...، من أَنَّ المد المنفصل يجب قصره عند بعض فلا يجوز مده عندهم، ويجب مده عند آخرين فلا يجوز قصره عندهم وإِنَّما جاز الوجهان عند بعضهم))[٦].

أما علَّة قصره فيقول القسطلاني : ((وعلَّة من قصر إِذا انفصل حرف المّد من الهمز لأَنّ الهمز لمَّا كان فيه بصدد الزوال في حال الوقف لم يُعط في حال الثبات حكمًا، بخلاف

---

(١) ينظر: التبصرة في القراءات السبع:٢٦٤.

(٢) ينظر: التيسير: ١٥٨-١٥٩.

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٣١٢/١، وشرح طيبة النشر لابن الجزري: ٧٣ ، والحواشي المفهمة، ٢٥٤، والحواشي الأزهرية: ٩٢.

(٤) المنح الفكرية: ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) اللآلئ السنية: ١٥٢.

(٦) المنح الفكرية : ٢٣٥.

المتصل فان للهمز فيه لازم وصلًا ووقفًا))[1]. وذهب القاري مع هذا الرأي، فأيّده قائلًا: ((وأَما وجه القصر فهو إلغاء أَثر الهمزة لعدم لزومه باعتبار حال الوقف، فإنَّ العارض بمنزلة المعدوم))[2]. وأَما علَّة المد فهي على ((اعتبار اتصالهما لفظًا في الوصل واعتبار العارض كاللازم، ولما روي أَنه سئل أنس (ﷺ) عن قراءة النبي (ﷺ) فقال: كان يَمُدَّ صوته مدًّا))[3].

ينقل القسطلاني عن بعض العلماء إشارتهم إلى إهمال الشاطبي قصر المنفصل، فيقول: ((قال بعضهم: وقد يقال على إهمال الشاطبي التقسيم – القصر – لأنه لا يتحقق أو لا يمكن أَنْ يؤتى به في كلّ مرةٍ على قدر السابقة . قال الجعبري : مثل هذا القول طرق ابن الحاجب ونحوه إلى أَن قال: ما يتوقف على الأداء كالمّد والإمالة غير متواتر " لأَنّه معلوم على اعتبار مذاهب القرّاء: الترتيل، والحدر، والتوسط ومحله كتب التجويد فمن ثم لم يتعرض له، قلت: لكن ينبغي أَنْ يذكر في البيت الخلاف – أي بين الشاطبي بترك القصر، والجزري بقصره – لشدة حاجة المقرئ إلى معرفته، والمشهور عن الشاطبي أَنَّهُ كان يرى فيه مرتبتين: طولى لورش وحمزة ، ووسطى للباقين))[4]. وقال أيضًا:((أنَّ حكم المنفصل في تفاوت الزيادة كالمتصل، وأَنَّ الدوري وقالون يقصران المنفصل ويمدانه، وأَنَّ ابن كثير والسوسي – وهو مراده بصالح – يقصرانه وأَنْ تفاوت المدات بقدر الالفات تقريب))[5].

واقتفى القاري أثر القسطلاني في الإشارة إلى تفاوت الممدود عند العلماء فقال: ((وتفاوت المد المنفصل في الزيادة كتفاوتهم كما مرَّ في المد المتصل))[6] إلاَّ أَنَّه زاد عليه بإشارتهِ لمراتب المدود وفصل القول فيها من حيث اختلاف القرّاء في مقدار المدود، ونبّه من زيادة المد على القدر المطلوب قائلًا: ((إذا قصر المنفصل جاز لكن ينبغي أَنْ لا يقع تركيب وتلفيق في قراءته بأَنْ يمد في موضع ويقصر في موضع فإنه مكروه، وأَما إذا كان في نفس واحد فهو أَشد كراهة، ثم اعلم أنَّ الزيادة على المقدار الوارد في حد المد أيضًا

(١) اللآلئ السنية: ١٥٢.

(٢) المنح الفكرية : ٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها، و ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٢، والحواشي المفهمة: ٣٨.

(٤) اللآلئ السنية: ١٥١، و ينظر: غاية المريد في علم التجويد: ٩٩.

(٥) اللآلئ السنية: ١٥٢.

(٦) المنح الفكرية : ٢٣٤.

ممنوع، فمذهب المد الأَطول خمس ألفات، وقدر المد الطويل أربع ألفات، وقدر المد المتوسط ثلاث ألفات وقدر المد فوق القصر ألفان، ومذهب العراقيين أَنَّ قدر المد الطويل أربع ألفات، ثم ينقص النصف في كل مرتبة حتى ينتهي إلى مرتبة القصر وهي ألف واحد، ومذهب الصقلي أَنَّ المد الطويل ألفان، ثم ينقص في كل مرتبة ربع ألف، لكن الجعبري رَدَّ المذهب الأول في المتصل والمنفصل معًا إذ قال: ((ولا تحصيل لمن قال غايتهما خمسة للخروج عن الحد، واختار المذهب الثاني فقال: (وهذا أعدل وبه قرأت)...))[1] .

وحدّد القاري رأيه في هذا الخلاف: ((أقول: والأَولى أَنْ يكون مراد الجمهور بالخمس بناء على ادخال المد الأصلي، ومراد غيرهم بالأربع ما عداه، فالخلاف لفظي لا حقيقي، والحاصل أَنَّهُ لا يجوز الزيادة على مقدار خمس ألفات إجماعًا، فما يفعله بعض الأئمة وأكثر المؤذنين فمن أقبح البدعة وأشد الكراهة، وأما تقدير الهذلي الطويل بست ألفات وذلك في (كامله) لورش فيما رواه الحداد وابن النفيس وابن سفيان وابن غليون فنسبوه في ذلك إلى الوهم كما قاله المصنف رحمه الله في نشره والله اعلم))[2].

ثالثًا:- مد البدل

ذكر القسطلاني أَنَّ هذا المد يحدث عندما تكون الهمزة متقدمة على حرف المد[3]، نحو﴿ءَادَمُ﴾[4] و﴿إِيمَٰنٍ﴾[5]، و﴿ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾[6]. لكنه لم يسمهِ على عكس الملا علي القاري الذي أطلق عليه مصطلح (مد البدل) فقال: ((إذا كان الهمز قبل حرف المد كـ ﴿ءَامَنَ﴾[7]، و﴿أُوتِيَ ﴾[8] و﴿إِيمَٰنٍ﴾[9] و﴿ٱلۡأٓخِرَةِ﴾[10]...، يسمى مد البدل))[11]. وسمي بهذا الاسم؛

---

(١) المنح الفكرية: ٢٤٠.

(٢) المصدر السابق : ٢٤٠-٢٤١.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٨.

(٤) طه/ ١١٧.

(٥) الطور/ ٢١.

(٦) التكوير/ ٨.

(٧) البقرة/ ١٣.

(٨) البقرة/ ١٣٦.

(٩) الطور/٢١.

(١٠) البقرة/ ٢١٩.

(١١) المنح الفكرية : ٢٢٨-٢٢٩، و ينظر التبصرة: ٢٥٧-٢٥٨.

((لأَنهُ يبدل الهمزة الثانية من جنس حركة ما قبلها))[١]. فأصل ((إيمانًا (إِإمانًا) ابدلت الهمزة الثانية الساكنة ياءً من جنس حركة ما قبلها فصارت (إيمانًا)[٢]. وأصل كلمة (إيمان) إئْمان بهمزة مكسورة بعدها ساكنة أبدلت الهمزة الساكنة ياء))[٣].

وزاد القاري على ما ذكره القسطلاني، اختلاف علماء القراءة في مرتبة مدَّه فقال: ((اتفق القراء جميعهم من السبعة والعشرة وغيرهم، على اعتبار أثر الهمزة إذا كانت بعد المد بخلافه إذا كان الهمز قبل حرف المد ، فإنَّه من مختصات رواية ورش ، ويجوز له فيه المد والتوسط والقصر))[٤]. وقال أيضًا: ((إِنَّ مد البدل اقتصر على قصره ابن مجاهد وعليه العراقيون واختاره بعض المحققين كالجعبري من أَنْ حرف المد الذي وقع بعد همزة متصلة محققة أَو مخففة بالإبدال أَو التسهيل أَو النقل الجائز مقصور لكل القراء وجهًا واحدًا، إِلَّا أَنَّ ورشًا من طريق الأزرق ورد عنه ثلاثة طرق: القصر، وهو مذهب ابن غليون، والتوسط: وهو مذهب أبي عمرو الداني ومكي، والطول، وهو مذهب الهذلي فيما رواه عن شيخه ابي عمرو وضبطه بالإشباع المفرط))[٥]. ومن النصوص المتقدمة يتبين أَنَّ هذا النوع من المدود وكما ذكر الملا علي القاري اتفق القرّاء جميعهم على قصرها إِلَّا ورش.

تعليل المد مع الهمزة :

إِنَّ من أهم أسباب زيادة المد هي الهمزة كما ذكرنا سابقًا [٦]، فحاول العلماء وضع تفسير لعلَّة المد مع الهمزة، ومنهم الشارحان من أجل التوصل إلى الأسباب التي تكمن وراء هذه الظواهر واكتشاف أسبابها [٧]. فيشير القسطلاني إلى علَّة المد مع الهمز قائلًا: ((وجه المد للهمز؛ لأَنَّ حروف المد خفية والهمز بعيد المخرج، صعب في اللفظ، مهتم به في النطق. فإذا اللاصق حرفًا خفيًا والحالة هذه خِيْفَ عليه أَنْ يزاد خُفًّا فقوي باللفظ احتياطًا

---

(١) الحواشي الازهرية: ٩١، و الوافي في شرح السلسبيل الشافي: ٣٨.

(٢) ينظر: الأنوار البهية في حل الجزرية: ١٠٧.

(٣) أحكام المد والقصر عند القراءات السبعة: ١٠.

(٤) المنح الفكرية: ٢٢٨.

(٥) المصدر السابق: ٢٢٩.

(٦) ينظر:١٨٦من الفصل الثالث.

(٧) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤٣.

لبيانه وظهوره))[١]. وقد تابع الملا علي القاري القسطلاني في الإشارة إلى علَّة المد مع الهمز فذكر ((أنَّ حرف المد ضعيف خفي، والهمزة حرفٌ قوي صعبٌ، فزيد في حرف المد تقوية للضعيف عند مجاورة القوي، وقيل ليتمكن من التلفظ بالهمزة على حقها من شدتها وجهرها))[٢].

وعند الموازنة بين النصين المذكورين نلاحظ أِنَّ القسطلاني والقاري لم يخرجا عن وجهة النظر التي قدّمها علماء التجويد في علَّة المد مع الهمزة، فقد وافقا مكيًا في جعل علَّة المد مع الهمزة للحفاظ على حرف المد لخفائه، لا الحفاظ على الهمزة كما ذكر في الكشف: ((فإن قيل: فما العلَّة التي أوجبت المد فيما ذكرت؟ فالجواب إنَّ هذه الحروف خفية، والهمزة حرف جَلدْ بعيد المخرج، صعب اللفظ، فلما لاصقت حرفًا خفيًا ، خيف عليه أِنْ يزداد، بملاصقة الهمزة له، خفاء، فبين بالمدّ ليظهر، وكان بيانهُ بالمد أولى))[٣]. وخالفا علماء العربية ولاسيما ابن جني ومن ذهب مذهبه من علماء التجويد في جعلهم المد بيانًا للهمزة لخفائها والحفاظ عليها[٤].

وانفرد الدكتور إبراهيم أنيس في تعليل ظاهرة المد قائلًا: ((أِما السر في هذه الإطالة فهو كما يبدو لي الحرص على صوت اللين وطوله ، لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أَو الإدغام؛ لأَنَّ الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأَول يستلزم أَنْ يكون مجرى الهواء معه حرًا طليقًا وأَنْ تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أَنَّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقًا محكمًا يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضوي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلب أصوات اللين))[٥].

---

(١) اللآلئ السنية:١٥٢.

(٢) المنح الفكرية : ٢٣٣.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٤٥-٤٦، و ينظر: الموضع في التجويد :١٢٨.

(٤) ينظر: الخصائص: ١٢٧/٣، والتحديد في الاتقان والتجويد: ١٢١، وشرح المقدمة الجزرية (غانم قدوري الحمد): ٥١٠ والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤٣-٤٤٤.

(٥) الأصوات اللغوية(ابراهيم انيس): ١٤٩.

٢.المد بسب السكون: وهو زيادة حروف المد على مدها الطبيعي عندما يأتي بعدها سكون. ويقسم هذا المد على قسمين: لازم وعارض[١].

الأول: المد اللازم: قال القسطلاني: ((فاللازم ما لزم حالة واحدة))[٢]. فـ((لا خلاف في إشباع مده لوجود الموجب لذلك وهو السكون)) [٣]. وقال القاري: ((المد اللازم هو الذي جاء بعد أحد حروف المد حرف ساكن لازم سكونه في الحالين لا يختلف حاله باعتبار اختلاف الوصل والوقف))[٤]. ويسمى كذلك ((مد العدل؛ لأنهُ يعدل حركةً، ولتساوي القراء في قدر مده))[٥]، وسماه ابن المصنف ((بمد الحجز لأنهُ فُصِلَ بين الساكنين)) [٦]

والساكن هنا كما ذكر الشارحان إما أَنْ يكون مدغمًا نحو: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٧]، و﴿دَآبَّة﴾[٨]، و﴿أَتُحَٓجُّوَنِّي﴾[٩]، و﴿هَٰذَانِ﴾[١٠]. و﴿واللذان﴾[١١]، عند من شدّد نونهما، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾[١٢]، و﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[١٣] عند من أدغم، و﴿الذَّكَرَيْنِ ﴾[١٤] في وجه الإبدال، وقال القاري يسمى هذا المد لازمًا كلميًّا مشدَّدًا[١٥].

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٦، والمنح الفكرية : ٢٢١.

(٢) اللآلئ السنية: ١٤٦.

(٣) المصدر السابق: ١٥٢.

(٤) المنح الفكرية: ٢٢١-٢٢٢.

(٥) المصدر السابق: ٢٢٦.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) الفاتحة/ ٧.

(٨) البقرة/١٦٤.

(٩) الانعام/٨٠. والنون في هذه الكلمة محل خلاف، لان بعض القراء قرأ بتخفيف النون وهم نافع وابو جعفر وابن عامر بخلف عن هشام . نقلًا عن هامش المنح الفكرية: ٢٢٢.

(١٠) الحج/ ١٩.

(١١) النساء/ ١٦.

(١٢) البقرة/ ٢٦٧. ٢/٢٦٧.

(١٣) الصافات/ ١.

(١٤) الانعام/١٤٣-١٤٤.

(١٥) يُنظر: النشر في القراءات العشر: ١/٣١٤ ، ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٧، و المنح الفكرية : ٢٢٢.

وأما غير المدغم فمثاله فواتح السور نحو ﴿صٓ﴾[١]، ﴿قٓ﴾[٢]،﴿نٓ﴾[٣]، وكذلك في ﴿مَحيَايَ﴾[٤] . في قراءة مَن سكَّن الياء – وهي قراءة نافع وورش وقالون وابو جعفر[٥] ، و﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي ﴾[٦]، في قراءة من أبدل الهمزة ياء ساكنة – هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع وأبي جعفر وورش والبزي[٧]. وسمى علي القاري هذا النوع لازمًا حرفيًّا مخففًا متبعًا في ذلك ابن الجزري[٨].

أما مقدار مده فيذكر الملا علي القاري ((أنَّ القراء أجمعوا على مد اللازم بقسميه مدًا مشبعًا قدرًا واحدًا من غير افراط – أي قدر ثلاث ألفات))[٩]. الَّا حرف العين في فاتحتي مريم ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[١٠]، والشورى ﴿ حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾[١١]. ففيه **وجهان: الطول**؛ لأَنهُ قياس مذهبهم في الفصل بين الساكنين، ولأَنَّ فيه مناسبة لما جاوره من الممدود، **والتوسط** للتفرقة بين ما وليته حركة وبين ما لم تلِهِ، فتكون المزية للأَول كما قال مكي "مد عين دون مد ميم قليلًا، لانفتاح ما قبل عين؛ لأَنَّ حروف المد واللين أمكن من حروف اللين، ثم قال: ولو قال قائل : أسوي بينهما في المد لأَنَّ كليهما مدًا اجتمعا ، لكان قياسًا، لكن تفصيل مد ميم أقوى في النظر في الرواية لجميع القراء واكثر هذا إنما أخذ بالمشافهة))[١٢].

وذكر القاري ما ذكره القسطلاني في حروف فاتحتي مريم والشورى، غير أَنَّهُ زاد عليها بذكره لمذهب آخر، ينص على أنَّ العين في فواتح سورة مريم والشورى تحتمل ثلاثة أَوجه؛ إذ يقول: ((اعلم أنَّ لفظ "عين" في فاتحتي سورة مريم والشورى لما كانت ياؤه لينية غير مَدَّية وإِنَّ كان سكون النون لازمًا اختلف القراء في مقدار مدها، فقال ابن المصنف:

---

(١) ص/ ١.
(٢) ق/ ١.
(٣) القلم/١.
(٤) الانعام/ ١٦٢.
(٥) اللآلئ السنية: ١٤٧ (الهامش)، والمنح الفكرية(الهامش): ٢٢٢ .
(٦) الطلاق/ ٤.
(٧) اللآلئ السنية(هامش): ١٤٧.
(٨) ينظر: شرح طيبة النشر (لابن الجزري): ٧٥، ١٠٠.
(٩) المنح الفكرية : ٢٢١-٢٢٢.
(١٠) مريم/ ١.
(١١) الشورى/ ١-٢.
(١٢) اللآلئ السنية: ١٥٣، وينظر: التبصرة: ٢٧١-٢٧٣.

(فيه الاشباع والتوسط)[١]. وتبعه زكريا[٢]...، لأَنْ الوجهين وقعا مبهمين يحتمل القصر والتوسط ويحتمل الطول مع أحدهما فيتحصل جواز الوجوه الثلاثة .**فوجه الاشباع** أنهُ قياس مذاهبهم في الفصل بين الساكنين، وهو أعم من اعتبار حرف اللين والمد مع ما فيه من المناسبة لما جاوره من المدود كـ(صاد) في مريم و (سين) في الشورى .**ووجه التوسط** هو التفرقة بين ما يكون حركة ما قبله من جنسه وبين ما لا يكون لتوجد مزية لحرف المد على اللين . **ووجه القصر** أنَّ المد من خواص حرف المد، فينتفي بانتفائه مع أَنَّ القصر هو الأصل وهذه ثلاثة أوجه صرح الناظم بها في طيبتهِ))[٣].

الثاني: المد العارض

عرفهُ القاري قائلًا: ((هو أَنْ يكون سكونهُ عارضًا لأجل وقفٍ أو إدغام))[٤]. وقال الحنبلي((سواء كان الحرف الموقوف عليه مكسورًا أو مفتوحًا أو مضمومًا))[٥]. وقسم القسطلاني هذا المد على قسمين: مدغم ، وغير مدغم[٦]. فأما الساكن العارض المدغم نحو ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾[٧] عند أبي عمرو[٨] .

وأما الساكن العارض غير المدغم، فيعرفه الملا علي لقاري بأَنهُ المد الذي ((عرض له السكون حال كون السكون ذا وقفٍ أو موقوفًا عليه))[٩] ويكون الوقف مطلقًا بالإسكان أو الإشمام–لأَنَّ الإشمام تهيئة العضو للنطق بالحركة، من غير تصويت – بخلاف ما إذا كان الوقف بالروم فإنه حينئذ حكمه حكم الموصل– لأنه النطق ببعض الحركة[١٠].

---

(١) ينظر: الحواشي المفهمة: ٢٥٢.

(٢) ينظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة: ٣٠–٣١.

(٣) المنح الفكرية : ٢٢٦–٢٢٧، وينظر: شرح طيبة النشر (لأبن الجزري) : ٧٥.

(٤) المنح الفكرية : ٢٢١.

(٥) بغية المستفيد في علم التجويد: ٣٢.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٦–١٤٧.

(٧) الصافات/ ١.

(٨) ينظر: التبصرة في القراءات:١١٩.

(٩) المنح الفكرية: ٢٣٦.

(١٠) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٧، والمنح الفكرية : ٢٣٦، وشرح المقدمة الجزرية (غانم قدوري الحمد) : ٥١٦.

وزاد الملا علي القاري على القول المذكور قائلًا: ((أَما عطف الشيخ زكريا ((وقفًا، على قوله "أو إِدغاما" أي صاحب إدغام فلا دلالة عليه في كلام المصنف أصلاً إلاَّ أَنَّه كالمستدرك عليه أورده فصلًا ويعتذر عن المصنف بأنهُ إِنَّما حصل هذه المقدمة لما اتفق عليه الأُمة وذهب إليه أكثر الأئمة))[١] وبالمقارنة بين النص الذي ذكره القاري في تعريفه للمد العارض، وبين ما نقله عن الشيخ زكريا، نلاحظ أَنَّهُ اتفق معه في الإشارة إلى المد العارض ويأتي ذلك لأجل أحد الأَمرين إما وقف أو إِدغام .ومن أَمثلة هذا المد كما يذكر الشارحان ﴿ٱلرَّحمَٰنِ﴾[٢] و﴿ نَستَعِينُ ﴾[٣] و﴿يُوقِنُونَ ﴾[٤] و﴿ ٱلصِّرَٰطَ ﴾[٥] .

أما حكم مَده، فيذكر كل من القسطلاني والقاري أن لأَهل الأَداء فيه ثلاثة مذاهب أو ثلاثة أوجه: الإشباع وسماه القاري (بالطول)، والتوسط والقصر[٦]. **أما وجه الإشباع أَو الطول:** حمله على اللازم، لاجتماع الساكنين اعتدادًا بالعارض[٧]. وزاد القسطلاني على ما ذكره القاري في هذا الوجه بذكره لأصحاب هذا المذهب فقال: ((قال الداني: "وهو مذهب القدماء من مشيخة المصريين وبه قرأت على الخاقاني))[٨]. **وأَما وجه القصر** فيقول القسطلاني: ((لأَن السكون عارض ، ولا يعتد به وهو اختيار الجعبري وجماعته)) [٩]. وأيده القاري في هذا فقال: ((وجه القصر أَنْ الوقف يجوز فيه التقاء الساكنين مطلقًا فاستغنى عن المد))[١٠].

وأَما وجه التوسط فيشير القسطلاني إلى ذلك قائلًا: ((التوسط مراعاة لجانبي اللفظ والحكم فلم يُعطِ حرف المد فيه حكم ما جاوز السكون اللازم، ولا حكم ما جاوز الحركة الملفوظ بها بل أعطي حكمًا بين الحكمين وحالًا بين الحالين، وهو مذهب أبي بكر بن

---

(١) المنح الفكرية : ٢٣٦-٢٣٧.
(٢) الفاتحة/٣.
(٣) الفاتحة/ ٥.
(٤) البقرة/ ٤.
(٥) الفاتحة/ ٦.
(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٧-١٤٨، والمنح الفكرية: ٢٣٧، ٢٤٢ و ينظر: النشر في القراءات العشر : ٣١٤/١-٣١٥، و الحواشي المفهمة: ٢٥٦.
(٧) ينظر: اللآلئ السنية: ١٤٨، و المنح الفكرية : ٢٣٧.
(٨) اللآلئ السنية: ١٤٨.
(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٠) المنح الفكرية : ٢٣٧.

مجاهد))[١]. وكذا قال القاري مؤيدًا لهذا القول بأَنْ ((وجه التوسط اعتبار سكون الوقف العارض مع حطهِ عن سكون اللازم، أو التعادل بين الحالين رعاية للجانبين))[٢] .

ويقول القاري: ((هذهِ الأَوجه الثلاثة تجوز في السكون العارض عند الجميع أيضًا – القُرَّاء–، ولو كان بعد حرف اللين نحو(لا خوف) و(لا خير) إلاَّ أنَّ الطول أفضل ثم التوسط، وهذا في حرف المد، وأَما في حرف اللين فالقصر أوْلى ثم التوسط))[٣]. وأَما المد العارض لأَجل الإدغام فينقل الملا القاري عن زكريا أنّه من مختصات أبي عمرو، فيقول: ((قال زكريا: وفي نحو: ﴿ٱلرَّحِيمِ ۝ مَٰلِكِ﴾[٤]، في قراءة أبي عمرو أي برواية السوسي[٥]، ونحو: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ﴾[٦] في قراءة البزي[٧] يجوز ثلاثة أوجه))[٨] .

يعلِّق الملا علي القاري على النص المتقدم، فيقول ((فكأَنهم قاسوا العارض في الوصل على العارض في الوقف فأعطي له حكمهُ، فالشرط أَنْ لا يقف على الكلمة الأولى سواء وقف على الأخرى أو وصلها بما بعدها))[٩].

أما علَّة المد مع السكون، فقد علل القسطلاني للمد مع الساكن في قسميه المشدد وغير المشدد، فقال: ((إنَّ التقى حرف المدّ واللين مع المشدد ، فمنهم من جعل المد فيه أمكن منه فيما لم يلقَ مشددًا؛ لأَنَّ المشدد حرف يقوم مقام حرفين فطال المد قبله ، لاشتغال اللسان باخراج حرف هو في الأَصل حرفان، ومنهم من سوى بينهما؛ لأَن المد وجب لاجتماع الساكنين فكيفما اجتمعا وجب المد))[١٠]. وقال القاري: ((لأَنهُ لا يجمع في الوصل

---

(١) اللآلئ السنية: ١٤٨.
(٢) المنح الفكرية : ٢٣٧.
(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٤) الفاتحة/ ٣–٤.
(٥) هو محمد بن صالح بن زياد ابو المعصوم بن ابي شعيب السوسي، مقرئ حاذق، أخذ القراءة عرضًا وسماعاً عن ابيه، وهو ممن خلفهُ في القيام بالقراءة ولزم ما قرأ عليه ابو الحسن بن شنبوذ. غاية النهاية: ١٥٥/٢.
(٦) البقرة/ ٢٦٧.
(٧) البزي: هو احمد بن محمد بن عبدالله ، أبو الحسن البزي المكي، إمام في القراءة ثبت فيها. ميزان الاعتدال: ١٤٤/١، وينظر غاية النهاية: ٢٧/٣.
(٨) المنح الفكرية: ٢٣٧.
(٩) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(١٠) اللآلئ السنية: ١٥٢.

بين الساكنين، فإذا أدى الكلام إليه –اي التقاء الساكنين– حُرِّك أَو حُذف أَو زيد في المد ليُقَدّر مُحركًا، وهذا موضع الزيادة –المد–))[١] .

بالنظر إلى النصوص المذكورة آنفًا نلاحظ أنّها تقترب من النصوص التي قالها علماء التجويد السابقين في جعل المد مع الساكن لامتناع التقاء الساكنين، فيقول مكي في ذلك: ((فلما وقع بعد حروف المد واللين وحرفي اللين، حرف مشدد وأوله ساكن، وحروف المد واللين وحرف اللين سواكن، لم يمكن أَنْ يوصل إلى اللفظ بالمشدد، بساكن قبله، فاجتلبت مدة تقوم مقام الحركة، يوصل بها إلى اللفظ بالمشدد...، وهذا إجماع من العرب ومن النحويين والعلَّة في المد للساكن غير المشدد، يقع بعد حروف المد واللين كالعلَّة في المد للمشدد؛ لأَن بالمدة يوصل إلى اللفظ بالساكن بعد حرف المد واللين، فليس في كلام العرب، ساكن يلفظ به، إلاَّ وقبله حرف متحرك، أَو مدة على حرف مد، تقوم مقام الحركة))[٢].

وقال إبراهيم أنيس في تعليل المد مع الساكن إنَّ السر ((في إطالة صوت اللين حين يليهِ صوت مدغم؛ لأَنْ طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة – حرف المد – حين يليها صوتان ساكنان، فحرصًا على صوت اللين وإبقاء على ما فيه من طول ، بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان))[٣] .

٢. **السبب المعنوي:** هو السبب الثاني لزيادة المد، من بعد السبب اللفظي كما ذكرنا سابقًا.

يطلق على هذا المد بمد التعظيم أَو مد المبالغة، كما ذكر الشارحان في قولهم : ((السبب المعنوي هو قصد المبالغة في النفي، وهو سبب قوي مقصود عند العرب ، وإِنْ كان أضعف من السبب اللفظي عند القُرَّاء، ومنه مد التعظيم في نحو قوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾[٤] و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾[٥] و﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[٦]، وهو قد ورد عن أصحاب القصر في

---

(١) المنح الفكرية: ٢٢٦.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ٦٠، وينظر: التبصرة: ٢٧١–٢٧٢. والدراسات الصوتية عند علماء التجويد: ٤٤٤.

(٣) الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس): ١٤٩.

(٤) محمد/ ١٩.

(٥) الانبياء/ ٨٧.

(٦) المؤمنون / ١١٦.

المنفصل لهذا المعنى ويقال له مد المبالغة؛ لأَنهُ طلب للمبالغة في نفي إِلهَّية سوى الله سبحانه وتعالى))[١]. وزاد القاري على ما ذكره القسطلاني بالشرح والتفصيل لهذا المد فقال: ((وهذا مذهب معروف عند العرب؛ لأنها تمد عند الدعاء وعند الاستغاثة))[٢].

توسع الملا علي القاري بذكر فضائل هذا المد فيقول: ((استحب العلماء المحققون مد الصوت بـ((لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ))...، ومما يدل على ذلك ما روي في الحديث عن ابن عمر مرفوعا إلى النبي (ﷺ) ((من قال لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ ومد بها صوته أسكنه الله تعالى دار الجلال دارًا سمَّى بها نفسه فقال: ﴿ذُو ٱلجَلَٰلِ وَٱلإِكرامِ﴾[٣] ورزقه النظر إلى وجهه . وفي الحديث عن أنس ((من قال لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ ومَدَّها هدمتَ له أربعة آلاف ذنب))[٤]. ينقل الملا علي القاري عن ابن الجزري أَنَّهُ قال بأَنَّ كلا الحديثين ضعيفان إِلَّا أَنَّه يعمل بهما في فضائل الأعمال، فيعلق عليه فيقول: ((أقول وعلى تقدير صحته وجواز العمل بروايته ليس فيه إلّا تقوية لمذهب القائل بمد المنفصل ولا يلزم منه أَنْ يكون مدّه وجهًا لمن يجَّوزُ قصر المنفصل، ولهذا ما عَرَّج عليه الشاطبي وجمهور القراء وإِنَّما هو من طريق المصنف))[٥]. ذكر الملا علي القاري قسمًا ثانيًا لهذا المد سماهُ بـ (مد التبرئة)، فقال: ((وكذاما جاء من مد المبالغة للنفي في نحو (لا ريب) التي للتبرئة عن حمزة ، فإِنهُ لا يصح من طريق "الشاطبية" وعامة أَهل القراءة ، بل هي رواية شاذة عند أهل الدراية))[٦]. ومقدار المد في النوع من المدود (مد التبرئة) أربع حركات أي مد وسط لا يبلغ الإِشْبَاعَ وذلك لضعف سببهِ عن السبب اللفظي (الهمز)[٧].

---

(١) اللآلئ السنية: ١٤٩، والمنح الفكرية: ٢٤٢.

(٢) المنح الفكرية: ٢٤٣.

(٣) الرحمن/ ٢٧.

(٤) المنح الفكرية: ٢٤٣.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٧) ينظر: النشر في القراءات العشر: ٣٤٥/١، والمنح الفكرية(الهامش): ٢٤٣، وخلاصة في علم الأصوات والتجويد: ٥٤.

المبحث الثالث: الوقف والابتداء

توطئة

يُعدُّ علم الوقفِ من أهمّ العلومِ التي يحتاج إليها القارئ عند إرادة القراءة والتجويد، لِما لهُ من أثرٍ بالغٍ في إقامة معاني كتاب الله عزَّ وجلَّ على نحوٍ يتسق مع علم العربيةِ وقواعدها، ويحقق التلاوة الصحيحة لكتاب الله عزَّ وجلَّ، قال ابن الأنباري في ذلك ((من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء، إذ لا يتأتى لأحدٍ معرفة معاني القرآن إلّا بمعرفة الفواصل))[١].

لذا رأى العلماء أنْ يكون الوقف علمًا قائمًا بذاته، فأخذوا يؤلفون فيه الكثير من المؤلفات، وحرصوا على الاعتناء به[٢]، كما ينقل الشارحان مستندين في قولهم على ما روي عن ((الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[٣]. فقال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف))[٤]، وبما ورد عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنَّه قال: ((لقد عشنا برهةً من دهرنا وإنَّ أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغي أنْ يوقف عنده منها))[٥].

وما ذكره ابن الجزري –الناظم– في قوله: ((ففي كلام علي عليه السلام دليل على وجوب تعلّمه ومعرفته في كلام ابن عمر برهان –رضي الله تعالى عنهما– على أنَّ تعلّمه إجماع من الصحابة (رضي الله عنهم)، وصحَّ بل تواتر عندنا تعلّمه والاعتناء به من السلف الصالح،..، قال: ومن ثَمَّ اشترط كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحدًا إلّا بعد معرفته الوقف والابتداء))[٦].

وينقل الشارحان عن أبي زكريا الأنصاري أهميّة الوقف عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة السلف فيقولان: ((قال الإمام أبو زكريا: الوقف في الصدر الأول من الصحابة والتابعين

---

(١) نهاية القول المفيد: ١٩٩.

(٢) ينظر: الوافي في شرح السلسبيل الشافي: ٨٥ – ٨٦، فتح ربِّ البرية في شرح المقدمة الجزرية: ١١٤ – ١١٥، أثر القراءات في الوقف والابتداء: ٢٠.

(٣) المزمل/ ٤.

(٤) نهاية القول المفيد: ١٩٨، والنشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١.

(٥) المكتفى في الوقف والابتداء:٤٩، والنشر : ٢٢٤/١، والإتقان في علوم القرآن: ٨٨/١ – ٨٩.

(٦) النشر: ٢٢٥/١، وينظر: اللآلئ السنية: ١٥٤ – ١٥٥، والمنح الفكرية: ٢٥٨.

وسائر العلماء مرغوب فيه من مشايخ القرّاء والأئمة والفضلاء، مطلوب فيما سلف من الاعصار، واردة به الأخبار الثابتة والآثار الصحيحة، ففي الصحيحين أنَّ أمّ سلمة (ﷺ) قالت: كان رسول الله (ﷺ) يقطع قراءته يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ثمَّ يقف))[2].

وروي كذلك ((أنَّ رجلين أتيا إلى النبي (صلى اله عليه وآله وسلم) فتشهد احدهما وقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما ووقف، فقال النبي (ﷺ): قُمْ، بئس الخطيب أنت، قال بعضهم: إنَّما قال ذلك لقبح لفظهِ، وكان من حقهِ أنْ يقف على (رشد) أو على (غوى) أو يصل الجميع، فانظر كيف قبح لفظه، وإنْ كان مُراده الخير لا الشر، مثل هذا يرغب في معرفة الوقف))[3].

أولًا: الوقف :

هو في اللغةِ: من ((وقف: الوَقْفُ: مصدر قولك: وَقَفْتُ الدابة ووقَفْتُ الكلمة وَقْفًا، ...، وَقَفْتُ وُقوفًا. فإذا وقفْتَ الرجل على كلمتهِ قُلتَ: وقفْتهُ توقيفًا، ولا يُقال: أَوقَفْتُ إلّا في قولهم: أوقفتُ على الأمر إذا أقلعت عنه))[4]. قال الجوهري: ((أوقفت عن الأمر الذي كنت فيه، أي أقلعت عنه))[5]. أمّا ابن منظور فيذكره بعدة معانٍ منها: الإمْسَاكُ والحَبْسُ والكَفُّ[6].

أمّا في **الاصطلاح**، فيورد القسطلاني والقاري أكثر من تعريف للوقف عند مختلف العلماء. فينقل القسطلاني عن ابن الحاجب (ت-٦٣٠هـ) تعريفه للوقف بأنَّه: ((قطع الكلمة عن ما بعدها))[7]. وعرَّفه الجعبري (ت-٧٣٢هـ) بأنَّه: ((قطع صوت القارئ على آخر الكلمة الوضعيّة زمانًا))[8]. ثُمَّ يُفسِّر نصَّه فيقول: ((فقطع الصوت: جنس وآخر الكلمة فصل أخرج قطعه على بعضها فهو لغوي لا صناعي، والوضعية: ليندرج فيه نحو: كلَّما

---

(١) الفاتحة / ٢.

(٢) اللآلئ السنية: ١٥٥، والمنح الفكرية: ٢٥٩.

(٣) اللآلئ السنية: ١٥٥، والمنح الفكرية: ٢٥٩.

(٤) العين: ٢٢٣/٥.

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٤٤٠/٤، وينظر: المكتفى في الوقف والابتداء: ٤٧.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٣٥٩/٩ – ٣٦٢.

(٧) شرح شافية ابن الحاجب (الرضي الاسترآباذي): ٢٧١/٢، ولطائف الإشارات لفنون القراءات: ٤١٤.

(٨) كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني: ٤٧١/٢، ولطائف الإشارات لفنون القراءات: ٤١٤.

الموصلة، فإنَّ آخرها وضعًا الميم وزمانًا: وهو ما يزيد على الآن، اخرج به السكت، قال: أجود من قولهم: قطع الكلمة عن ما بعدها، أو قطع الحرف عن الحركة لعمومه))[١].

وعرَّفه ابو حيان (ت-٧٤٥هـ) بأنه ((قطع النطق عند آخر اللفظ، وهو مجاز من قطع السيّر، وكأنَّ لسانه عامل في الحروف ثم قطع عمله فيها))[٢]. ونقل عن ابن الجزري تعريفه للقطع بأنَّهُ: ((عبارة عن قطع صوت القارئ على الكلمة زمانًا يُتَنَفَّس فيه عادة بغية استئناف القراءة))[٣].

أمّا الملا علي القاري فيكتفي بإيراد نصٍ واحدٍ لابن المصنِّف أحمد بن محمد الجزري، فيقول فيه: ((قال ابن المصنِّف: الوقوف جمع وقف، وجَمْعُها باعتبار تنوعها يعني في محل واحد من الإسكان والروم والإشمام، ووحد الابتداء لأنَّه غير متنوع، والأظهر أنَّ الوقوف مصدر كالابتداء، ففي القاموس: وقف يقف وقوفًا: دام قائمًا... والموقف محل الوقوف))[٤]. وقال أيضًا: ثم قال ابن المصنِّف: الوقف عن الشيء ترك الإتيان به، ولهذا سمّي في الاصطلاح وقفًا لأنَّه وقف الحركة: أي تركها، وفيه أنَّ هذا الحدّ غير جامع؛ لأنَّه لم يشمل الكلمة التي يكون آخرها ساكنًا من أصلها كـ﴿لَمْ يَلِدْ﴾[٥] ... فالأوْلى أنْ يقال: لأنَّه وَقَفَ على الكلمة ولم يتعدَّاها))[٦].

أمّا علماء التجويد وأخص كتب البحث، فيعرِّف القسطلاني الوقف قائلًا: ((الوقوف جمع وقف وجمعه باعتبار تنوعه، وهو في اللغة، الكفّ عن القول والفعل، وفي الاصطلاح: ترك الوصل، وحدَّه قطع الكلمة عمّا بعدها -على تقدير أنْ يكون بعدها شيء- وقيل قطع الصوت آخر الكلمة زمانًا بتنفس، وإنَّما قلنا بتنفس ليخرج السكت))[٧].

فهنا يفرّق القسطلاني بين الوقف والسكت بجعل النفس هو الضابط في التفريق بينهما، فالسكت: ((هو عبارة عن قطع الصوت زمنًا هو دون زمن الوقف عادة من غير

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات: ٤١٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢٤/١، ولطائف الإشارات لفنون القراءات: ٤١٤.

(٤) المنح الفكرية: ٢٤٥، وينظر: الحواشي المفهمة: ٢٥٨.

(٥) الإخلاص / ٣.

(٦) المنح الفكرية: ٢٤٥.

(٧) اللآلئ السنية: ١٥٤.

تنفس))[١]. والوقف بتنفس كما سبق في التعريف والملاحظ على تعريف القسطلاني للوقف أنَّه تابع ابن الجزري فيه. وأما الملا علي القاري فيعرف الوقف فيقول: ((الوقف في اللغة: مصدر وَقَفْتُ الدابة حبستها فوقفت هي وقوفًا، فهو لازم ومتعدٍّ، والفرق بينهما بالمصدر كرجع رجعًا ورجوعًا، وصَدَّ صَدًّا وصدودًا، واصطلاحًا: قطع الكلمة عمّا بعدها إنْ كان بعدها شيء، وإلّا فيسمّى قطعًا، كذا ذكروه، ولا يبعد أنْ يسمّى وقفًا أيضًا؛ لأنَّ بعض القرآن يتعلق ببعض، ويُسْتَحبُّ الحال والمرتحل فيصدق الوقف على أواخر السور وعلى آخر القرآن غايته أنَّ بسملة الفاتحة مبتدأة حكمًا كما عرف في محلِّه))[٢].

وقال في موضع آخر: ((اعلم أنَّ الوقف هو قطع الصوت عند آخر الكلمة مقدار زمن التنفس))[٣]. وتابع الملا علي القسطلاني في الإشارة إلى الفرق بين الوقف والسكت، وجعل الزمن هو الضابط أو الأساس في التفريق بينهما فقال: ((والفرق بين الوقف والسكت، أنَّ السكت قطع الصوت زمنًا أقصر من زمن التنفس))[٤]. ويكون ((زمنًا يسيرًا، ومقداره حركتان من غير تنفس، بنيّة العودة إلى القراءة في الحال))[٥].

أمّا الابتداء فلم يذكره أو يُشر إليه القسطلاني أو القاري، سوى إشارة صغيرة من الأول يذكر فيها سبب تقديم الوقف على الابتداء، ، فقال: ((وقدَّموا الوقف على الابتداء، وإنْ كان مؤخرًا عنه في الرُّتْبة؛ لأنَّ كلامهم في الوقف الناشئ عن الوصل، والابتداء الناشئ عن الوقف، وهو بعده، وأمّا الابتداء الحقيق فسابق على الوقف الحقيقي، فلا كلام فيهما، إذ لا يكونان إلّا كاملين، كأوّل السُّور والخطبة والقصيدة، وأواخرها))[٦]. بخلاف علماء التجويّد، إذ عرَّف الداني الابتداء فقال: ((وأمَّا الابتداء فهو ضد الوقف، بَدَأتُ الشيءَ فَعَلتُهُ ابتداء، والبَدْء فعل الشيء أول، وفي الاصطلاح هو فنّ جليل يُعرف به كيفية أداء القراءة بالوقف على

---

(١) كتاب الوقف والابتداء: ٣٠.

(٢) المنح الفكرية: ٣١٥.

(٣) المصدر السابق: ٢٦٣.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها:٢٦٣.

(٥) فضل علم الوقف والابتداء: ٧.

(٦) لطائف الإشارات: ٤١٦.

المواضع التي نصَّ عليها القرّاء لإتمام المعاني، والابتداء بمواضع محدَّدة لا تختل فيها المعاني))[1].

وعرَّفه آخرون بالمفهوم ذاته، غير أنَّهم زادوا عليه بعض الشروط التي يتوجب على القارئ مراعاتها، فيستنبط الدكتور عبد الكريم إبراهيم صالح له تعريفًا مما ذكره ابن الجزري فيقول: ((ولعلَّ الإمام ابن الجزري لم يعرفه برأسه –الابتداء– بل جعله ضمنًا في تعريفه للوقف واكتفى بذلك... فيكون تعريف الابتداء هو استئناف القراءة بعد التوقف، او الشروع في التلاوة بعد قطع أو وقف، فإن كان بعد قطع فعلى القارئ عند الشروع في التلاوة أنْ يستعيذ ويبسمل سواء كان في أوائل السور أم في أوساطها))[2].

ثانيًا: أقسام الوقف وأنواعه:

تعددت آراء العلماء في تقسيم الوقف بين موجز ومطيل على ما ذكره ابن الجزري، إذ جعل للوقف قسمين، اختياري واضطراري في قوله: ((إنَّ الوقف ينقسم إلى اختياري واضطراري؛ لأنَّ الكلام أمّا أنْ يَتِمَّ أو لا، فإنْ تَمَّ كان اختياري ... وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريًا))[3]. وزاد القسطلاني نوعًا آخر لهذه الأقسام سمَّاه (اختباري) وبذلك يكون عددها ثلاثة أقسام هي ((اختباري، واضطراري واختياري))[4]، وزاد الملا علي القاري على ما ذكره القسطلاني نوعًا رابعًا سمَّاه الوقف (الانتظاري)، فيكون الوقف عنده: اختياري، واضطراري، واختباري، وانتظاري))[5]، وفيما يأتي بيانها بالتفصيل حسب ما ورد عند القسطلاني والقاري.

---

(١) المكتفى في الوقف والابتداء: ٤٨.

(٢) الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم: ١٩ – ٢٠.

(٣) النشر في القراءات العشر: ٢٢٥/١، وشرح المقدمة الجزرية (غانم قدوري الحمد): ٥٣٩.

(٤) اللآلئ السنية: ٣١، ٥٥.

(٥) المنح الفكرية: ٢٦٣ – ٢٦٤.

١-الوقف الاختباري:

قال القسطلاني هذا النوع من الوقف: ((الوقف الاختباري بالباء الموحدة ومتعلقة الرسم كبيان المقطوع والموصول))[١].أمَّا علي القاري فعرَّفه قائلًا: الوقف ((الاختباري: وهو ما يمتحنه الاستاذ بقوله كيف تقف على هذا اللفظ بعينه؟ لعلم مهارته في وجوه قراءته))[٢].

إذن فالمقصود من هذا الوقف كما ذكر الشارحان في النصوص المتقدِّمة أنَّ القارئ عندما يقف على الكلام، يكون وقفه لغرضين، إمّا لأجل التعليم والامتحان، وإمّا لأجل معرفة حكمه من حيث القطع والوصل والحذف والإثبات، ويختص هذا الوقف بما يتعلق برسم الكلمة في المصاحف العثمانية[٣].

وفي حكم هذ الوقف يقول القسطلاني: ((إنَّ من أقسام الوقف قسمًا يسمى الاختباري، وأنَّ متعلقة الرسم، ولا يقف عليه إلّا لعذر، كانقطاع نفس أو لبيان مقطوع ونحوه عند سؤال ممتحن عن كيفية الوقوف عليه))[٤]. ثم يذكر القسطلاني أنَّ الوقف في هذا الموضع هو امتداد لِما ذكرهُ القدماء وعادة جرت على من أتى بعدهم وأخذ بها فيقول: ((وجرت عادة القرّاء قديمًا وحديثًا بالسؤال عن ذلك بل وردت مراعاته عن نافع، وأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، لما فيه من الاتباع له والاقتداء به، فيقفون على ما أثبت وما حذف، وما وصل، وما قطع، وغير ذلك على حسب ثبوته في الرسم، وقد كان مكي (رحمه الله) يقول نحو: ﴿يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾[٥]، وبابه: لا ينبغي للقارئ أن يقف عليه؛ لأنَّه إنْ وقف على الرسم خالف الأصل، وإنْ وقف على الأصل خالف الرسم))[٦].

وقد ذكر القسطلاني عن الداني أنَّه قال: إنَّ بعض النحويين لا يجيزون الوقوف في هذا النوع، إلّا بعد ردِّ ما حُذف، وهو القياس في العربية، وأنَّ بعضهم الآخر وهما ابن كثير،

---

(١) اللآلئ السنية: ١٥٥.

(٢) المنح الفكرية: ٢٦٣.

(٣) ينظر: الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم: ٤٠.

(٤) اللآلئ السنية: ١٨٢.

(٥) غافر/ ٢٠.

(٦) اللآلئ السنية: ١٨٢.

وابن عامر، اختار أهل الأداء الناقلين لقراءتهما الوقوف على الرسم، على الرغم من عدم ورود نصّ عنهما في ذلك[١].

٢-الوقف الاضطراري:

عرَّفهُ القسطلاني فقال: ((وهو الوقف عند ضيق النفس))[٢]. وهو نفس المعنى الذي قاله ابن الجزري، إلّا أنَّ ابن الجزري استعمل لفظة (انقطاع النفس) [٣]، واستعمل القسطلاني (ضيق النفس).وعرَّفه الملا علي القاري فقال: ((الوقف الاضطراري: هو ما يعرض بسب حصر وعجز ونسيان لِما بعده من كلماته))[٤]. أمَّا حكم الوقوف فهو ((جائز حتى تنتهي الضرورة التي دعت إلى ذلك، ثم يعود القارئ إلى الكلم التي وقف عليها فيصلها بما بعدها إنْ صلُح الابتداء بها، وإلّا فيما قبلها أو ما يصلح البدء به))[٥].

٣- الوقف الانتظاري:

لم يذكر القسطلاني هذا النوع من الوقف، واكتفى بذكر الثلاثة التي سبق ذكرها – الاختباري، والاضطراري، والاختياري–، لكن عليًا القاري ذكره في كتابه المنح الفكرية، وزاده على الأنواع الثلاثة التي ذكرها القسطلاني كما وضحت سابقًا، فعرَّفه قائلًا: ((الوقف الانتظاري هو أن يقف على كلمة ليعطف عليها غيرها حين جمعه لاختلاف رواياته))[٦].

وذكر الملا علي القاري أنَّ الوقف في هذا النوع لأجل التفسير وإعراب ما وقف عليه من الكلام؛ وفي بعض الأحيان يكون الكلام غير تام في سائر الكلمات سواء كانت آيات أم قصصًا، فيؤتى بهذا الوقف ليكون كافيًا على إعراب وتفسير ما في الآية وغيرها من أوجه الخلاف عند القرّاء وأرباب التفسير، وأكثر ما يستعمل هذا الوقف عند الجمع بين القراءات[٧]. وحكم هذا الوقف الجواز كما ذكر القاري لعطف أي كلمة على غيرها.

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٨٢.

(٢) المصدر السابق: ٣١، ٥١.

(٣) ينظر النشر في القراءات العشر: ٢٣٠/١.

(٤) المنح الفكرية: ٢٦٣.

(٥) غاية المريد في علم التجويد: ٢٢٤.

(٦) المنح الفكرية: ٢٦٤.

(٧) ينظر: المنح الفكرية ، غاية المريد في علم التجويد: ٢٢٤، الوافي في شرح السلسبيل الشافي في علم التجويد: ٨٧

٤- الوقف الاختياري:

قال القسطلاني: ((واختياري -بالياء المثناة- وهو المُراد هنا -أي الذي يقصد به علماء الوقف-؛ لأنَّ الكلام أمّا أنْ يتم أو لا، فإنْ تمَّ كان اختياريًا، وكونه تامًا لا يخلو، أمَّا أنْ لا يكون له تعلّق بما بعده البتّة -أي لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى-، أو يكون له تعلّق، ولا خلو هذا التعلّق أمَّا أنْ يكون من جهة المعنى أو من جهة اللفظ))[١].وعرَّفه علي القاري فقال: ((الوقف الاختياري: وهو أنْ يُقْصَد لذاته من غير عروض بسبب في جهاته))[٢].

لقد قسَّم العلماء ممن سبقوا القسطلاني والقاري هذا الوقف على اقسام، غير انَّهم اختلفوا في عددها، فذهبوا في ذلك مذاهب شتّى، حسب ما ذكره السجاوندي[٣].

أ) ذهب أبو بكر بن الأنباري (ت-٣٢٨هـ)، والسخاوي إلى تقسيمها على ثلاثة أقسام: تام، وحسن، وقبيح[٤].

ب) ذهب النحّاس (٣٣٨هـ) إلى تقسيمها إلى سبعة أقسام: الوقف التام أو التمام، الكافي، والحسن، والصالح، والجيِّد، والبيان، والقبيح[٥].

ج) أمَّا ابو عمرو الداني (ت-٤٤٤هـ) فقسَّمه على أربعة اقسام: التام، والكافي، والحسن، والقبيح[٦].

د) جعله السجاوندي (ت-٥٦٠هـ) على خمسة اقسام: اللازم ثُمَّ المطلق، فالجائز، فالمجوز لوجه، فالمرخص ضرورة[٧].

---

(١) اللآلئ السنية: ١٥٦، ينظر: النشر في القراءات العشر: ٢٢٦/١١.

(٢) المنح الفكرية: ٢٢٤.

(٣) هو محمد بن طيفور السجاوندي، الغنزوي، المفسر، النحوي، اللغوي، نقلًا عن ترجمة كتاب الوقف والابتداء للسجاوندي: ٢١.

(٤) ينظر: منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ٩، الوقف والابتداء، للسجاوندي: ٣٠.

(٥) ينظر: القطع والائتناف: ١١، كتاب الوقف والابتداء للسجاوندي: ٣٠، منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ٩.

(٦) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء: ١٣٨.

(٧) ينظر: كتاب الوقف والابتداء، للسجاوندي: ٣١

هـ) ذهب ابن الجزري (ت-٨٣٣هـ) إلى أنَّها أربعة أقسام أيضًا: التام، والكافي، والحسن، والقبيح، وتابع في ذلك الداني[١].

و) أمَّا القسطلاني -الذي هو موضوع بحثنا- فيبدو أنَّه كان مضطربًا في رأيه، ولم يستقر على عدد ثابت لأقسام هذا الوقف، فقد ذكر في كتابه (اللآلئ السنية) أربعة أقسام: التام، والكافي، والحسن، والقبيح[٢]، أمَّا في كتابه الآخر (لطائف الإشارات) فقد ذكر خمسة أقسام: الكامل، والتام، والكافي، والحسن، والناقص[٣].

ز) ينقل زكريا الأنصاري (ت-٩٢٦هـ) عن العماني أنَّه قسَّمه إلى ثمانية أقسام: التام ثم الحسن ثم الصالح ثم المفهوم ثم الجائز ثم البيان ثم القبيح[٤].

ح) ذهب الملا علي القاري (ت ـ١٠١٤هـ) مذهب الداني وابن الجزري فجعله على أربعة أقسام: تام، كافي، حسن، قبيح[٥].

ونظرًا لاختلاف الآراء، وتعدد المذاهب في أقسام هذا الوقف، اتجه الكثير من علماء الوقف إلى ترجيح بعض المذاهب على الأخرى، وأهمُّها مذهب الداني، وابن الجزري، وبرهان هذا الترجيح ما ذكره الزركشي (ت-٧٩٤هـ) في قوله: ((والوقف عند أكثر القرّاء ينقسم على أربعة أقسام: تام مختار، وكافٍ جائز، وحسن مفهوم، وقبيح متروك))[٦]. وقال محمد مكي نصر في هذا أيضًا: ((ثُمَّ اعلم أنَّ العلماء -رحمهم الله- اختلفوا في الوقف الاختياري على خمسة أقوال، أشهرها وأعدلها ما ذكره الداني وابن الجزري، وهو على أربعة أقسام))[٧].

وقبل التطرّق إلى هذه الأقسام ينبغي الالتفات إلى ما ذكره القسطلاني والقاري، من أجل معرفة نوع الكلام الموقوف عليه وحكمه، إذ لا بُدَّ من النظر إلى الكلام أو اللفظ الذي

---

(١) ينظر: المكتفى في الوقف والابتداء: ١٣٨، النشر في القراءات العشر ٢٢٥/١ - ٢٢٩.

(٢) ينظر: اللآلئ السنية: ٣١، ١٥٦ - ١٦٠.

(٣) ينظر: لطائف الإشارات: ٢٦٤/١.

(٤) ينظر: كتاب الوقف والابتداء (للسجاوندي): ٣١، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء(الهامش): ٥ - ٦.

(٥) ينظر: المنح الفكرية: ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٥١.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٣٥٠/١، ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا(الهامش): ١٣٨

(٧) نهاية القول المفيد في علم التجويد: ٢٠٢.

يسبق موضع الوقف، وكذلك الكلام الذي بعده، لمعرفة جهة تعلّقه بما بعده وما قبله، أو عدم تعلّقه، التي انبنت عليها هذه الأنواع[١].

ويكون التعلّق أمّا من جهة اللفظ ويسمّى بالتعلّق اللفظي، والذي عرَّفه القاري بأنَّ ((ما بعده يكون متعلّقًا بما قبله من جهة الإعراب، كأن يكون صفة، أو معطوفًا، بشرط أنْ يكون ما قبله كلامًا تامًّا))[٢]. أو من جهة المعنى، فيكون حينئذٍ ((تعلّقه من جهة المعنى فقط دون شيء من تعلّقات الإعراب))[٣].

وذكر الدكتور غانم قدوري الحمد رأيًا في تقسيم الوقف بالاستناد إلى التعلّق من جهة اللفظ والمعنى فقال: ((وأحسَب أنَّ تقسيم الوقف بالاستناد إلى التعلّق اللفظي والمعنوي قانون عام يمكن تطبيقه على كل آيات القرآن الكريم، وعلى جميع كلام الناس، ويحتاج ذلك إلى علم راسخ بالعربية والتفسير))[٤].والأقسام الآتية بالتفصيل بحسب ما وردت عند القسطلاني والقاري:

القسم الأول: الوقف التام:

عرَّفه القسطلاني فقال: ((هو الذي ليس له تعلّق بما بعده البتَّة –يعني لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى– هو الوقف التام)) [٥].ويتابعه القاري فيعرّفه قائلًا: هو الوقف على اللفظ الذي تمَّ الكلام عليه من حصول ركني الجملة من المسند والمسند إليه، ولا يكون له تعلّق بما بعده لا مبنى ولا معنى[٦]. وذكر سبب تسميته بهذا الاسم (التام) فقال: ((وسمّي به لتمام المبنى وانقطاع ما بعده عنه في المعنى)) [٧].

---

(١) ينظر: قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم: ١٠٨، اللآلئ السنية: ١٥٥ – ١٥٦، المنح الفكرية: ٢٤٩ – ٢٥١.

(٢) المنح الفكرية: ٢٥١.

(٣) اللآلئ السنية: ١٥٧، المنح الفكرية: ٢٥١.

(٤) شرح المقدمة الجزرية، غانم قدوري الحمد: ٥٤٧.

(٥) اللآلئ السنية: ١٥٩.

(٦) ينظر: المنح الفكرية: ٢٤٥.

(٧) المصدر السابق: ٢٤٦.

إنَّ الكلام الذي جاء به القسطلاني والقاري عن الوقف التام في النصوص المتقدِّمة كان مطابقًا لما ذكره الداني وابن الطحّان لمفهوم الوقف التام، في قولهم: ((فالتام هو الذي يحسن الوقوف عليه والابتداء بما بعده، لأنَّه لا يتعلق بشيء مما بعده ولا ما بعده به))[١].

إنَّ أهمّ المواضع التي يكون فيها الوقف تامًا كما يذكر الشارحان هي:

١. في رؤوس الآي، وانقضاء القصص وتمامها[٢]، كالوقف على بسم الله الرحمن الرحيم، والابتداء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣]، والوقف على ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٤]، والابتداء ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٥]، و﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦]، والابتداء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾[٧]، وقال القاري كالوقف على قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٨]، وزاد الشيخ زكريا ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٩]. وينبغي الإشارة إلى ما ذكره القسطلاني والقاري من أنَّ الوقف على رؤوس الآيات من السُنَّة التي يحب الوقوف عليها، كما نقلت أمّ سلمة عن الرسول(ﷺ) كان يقطع قراءته عندما يقول هذه الآيات – أي يقف عليها–[١٠].

٢. ويكون أيضًا في وسط الآية كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾[١١]، فالوقف هنا على كلمة ﴿جَاءَنِي﴾ أو هو تمام حكاية الظالم، وهو أُبي بن خلف، ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾[١٢]، أي يصحّ الابتداء بها، ولم يذكر القاري أنَّ الوقف التام ممكن أنْ يكون في وسط الكلمة.

---

(١) التحديد في الإتقان والتجويد: ١٧٤، المكتفى في الوقف والابتداء: ١٤٠، نظام الأداء في الوقف والابتداء: ٣٠.

(٢) اللآلئ السنية: ١٥٦، المنح الفكرية: ٢٤٧.

(٣) الفاتحة / ٢.

(٤) الفاتحة / ٤.

(٥) الفاتحة / ٥.

(٦) البقرة / ٢٠.

(٧) البقرة / ٢١.

(٨) البقرة / ٥.

(٩) الفاتحة / ٥.

(١٠) ينظر: اللآلئ السنية: ١٢٩، المنح الفكرية: ٢٥٩.

(١١) الفرقان / ٢٩.

(١٢) الفرقان / ٢٩.

٣. ويكون الوقف تامًّا أيضًا قبل انقضاء الفاصلة باتفاق الشارحين، نحو قوله تعالى:﴿ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[١]، وهذا الوقف تام؛ لأنَّه انقضاء كلام بلقيس، والابتداء بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[٢]. ويزيد القاري على ما ذكره القسطلاني في هذه الآية تحديدًا أنَّ فيها تعلّقًا معنويًّا، فلا يكون وقفه تامًّا بل كافيًا، وينقل عن بعض المفسرين قولهِ هذا، فيقول: ((وقال بعض المفسرين إنَّ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أيضًا من كلامها تأكيدًا لما قبلها، فالوقف على ﴿ أَذِلَّةً﴾ كافٍ، وعلى ﴿يَفْعَلُونَ﴾ تام، وقد يقال أنَّه كافٍ أيضًا؛ لأنَّ ما بعده من جملة مقولها فله تعلّق معنوي بما قبله))[٣].

٤. ويكون كذلك بعد انقضاء الآية بكلمة كما ذكر القسطلاني نحو قوله تعالى: ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾[٤] آخر الآية وتمام الكلام ﴿ وَكَذَلِكَ﴾[٥].وقال القاري: ((وقد يوجد بعد انقضاء الفاصلة بكلمة كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ۝ وَبِاللَّيْلِ﴾[٦]؛ لأنَّه معطوف على المعنى، أي بالصبح والليل، يعني فيهما))[٧]، ويرى القاري انَّ في هذه الآية أيضًا تعلّقًا معنويًّا.

وأمّا حكمه: فيذكر القسطلاني انَّه يجوز الوقوف عليه والابتداء بما بعده[٨]، وأيَّده القاري في هذا الحكم فقال: ((ورؤوس الآي التي فيها التعلّق اللفظي، فيجوز الابتداء بما بعدها لورود الحديث بالوقوف على ﴿الْعَالَمِينَ﴾ والابتداء بـ﴿الرَّحْمَنِ﴾؛ ولأنَّ رؤوس الآي بمنزلة فواصل السجع في النثر، وفي مرتبة القوافي بالشعر، من حيث أنَّها محال التوقف))[٩]، وقال في موضعٍ آخر: ((إنَّ رؤوس الآي يستحب الوقوف عليها سواء وجد تعلّق لفظي أم لا، وهو الذي اختاره البيهقي))[١٠].

---

(١) النمل / ٣٤.
(٢) النمل / ٣٤.
(٣) المنح الفكرية: ٢٤٨.
(٤) الكهف / ٩١.
(٥) الكهف / ٩١.
(٦) الصافات/ ١٣٧.
(٧) المنح الفكرية: ٢٤٨.
(٨) ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٨.
(٩) المنح الفكرية: ٢٤٧.
(١٠) المصدر السابق: ٢٥٠.

القسم الثاني: الوقف الكافي

هو القسم الثاني من أقسام الوقف الاختياري، وعرَّفه القسطلاني قائلًا: هو ((أنْ يكون له تعلّق من جهة المعنى فقط، دون تعلّق شيء من متعلّقات الإعراب نحو: ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[١]، ثُمَّ قال: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[٢]، فآخر الآية كلام تام، لا تعلّق له بما بعده من جهة الإعراب، لكن له تعلّق من جهة المعنى؛ لأنَّ قوله: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ من أخبار حال الكفار، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٣] أخبار على حالهم أيضًا، فهذا يسمّى بالوقف الكافي))[٤]، وعرَّفه في موضع آخر فقال: ((الكافي هو الذي له تعلّق بما بعده معنىً لا لفظًا))[٥].وتابع الملا علي القاري القسطلاني في الإشارة إلى مفهوم الوقف الكافي بأنَّه: ((تعلّق من جهة المعنى دون اللفظ))[٦].أمّا تسميته بالوقف الكافي فيقول القسطلاني: ((يسمى بالوقف الكافي، للاكتفاء به واستغناء ما بعده))[٧]. واتفق القاري معه في هذا القول، فقال: وأمّا الوقف الكافي، ف((سُمِّي به للاكتفاء في الوقف عليه، والابتداء بما بعده كالتمام))[٨].وأكثر ما نجد الوقف الكافي في المواضع الآتية:

١-في رؤوس الآي، نحو ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾[٩] كافٍ، ﴿ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٠] أكفى منه[١١]، وقال علي القاري كالوقف على ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[١٢] والابتداء بما بعد

---

(١) البقرة / ٦.

(٢) البقرة / ٧.

(٣) البقرة / ٦.

(٤) اللآلئ السنية: ١٥٧.

(٥) المصدر السابق: ١٥٨.

(٦) المنح الفكرية: ٢٤٨.

(٧) اللآلئ السنية: ١٥٧.

(٨) المنح الفكرية: ٢٤٦.

(٩) البقرة / ١٣.

(١٠) البقرة / ١٣.

(١١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٨.

(١٢) النساء / ٢٣.

ذلك في الآية كلها، والوقف على: ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[١] والابتداء بقوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

٢- يوجد أيضًا في الفواصل نحو: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[٣]، و﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٤]،فإنَّه كلام مفهوم وما بعده مُستغنٍ عما قبله لفظًا، وقال القاري يوجد الوقف على الفواصل في سورة الجن والمدثر والتكوير والانفطار والانشقاق وما أشبههن[٥]. ويزيد القسطلاني على ما ذكره القاري في الوقف الكافي في الإشارة إلى أنَّ الوقف الكافي ((يتفاضل في الكفاية كتفاضل التام نحو: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[٦] كافٍ، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٧] أكفى منه ﴿ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[٨] أكفى منها.

٣- ويذكر الشارحان أنَّه قد يكون كافيًا على تفسير وإعراب، ويكون غير كافٍ على آخر نحو: ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[٩]، فهو كافٍ إذا جعلت (ما) بعده نافية فإنْ جعلت (ما) موصولة كان حسنًا، ونحو: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[١٠]، كما ذكر القاري، فإنَّه ((كافٍ على أنَّ (ما) بعد مستأنف، وهو قول ابن عباس وعائشة وابن مسعود وغيرهم، ومذهب أبي حنيفة وأكثر أهل العلم، وذهب إليه الفرّاء، والأخفش، وأبو حاتم، وينقل عن عروة أنَّه قال: الراسخون في العلم لا يعلمون التأويل، ولكن يقولون آمنّا به، وعند غيرهم الوقف كافٍ على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[١١] ، فإنَّه عندهم معطوف عليه، وهو رواية عن ابن عباس، واختاره ابن الحاجب ومن تبعه، غير أنَّه –القاري– رجَّح الرأي الأول على الثاني فقال: ((والمعتمد هو الأول؛ لأنَّه المعمول عند أرباب الوقف، ولذا رمزوا

---

(١) البقرة / ٢.
(٢) البقرة / ٢.
(٣) البقرة / ٣.
(٤) البقرة / ١١.
(٥) ينظر: المنح الفكرية: ٢٤٨.
(٦) البقرة / ١٠.
(٧) البقرة / ١٠.
(٨) البقرة / ١٠.
(٩) البقرة / ١٠٢.
(١٠) آل عمران/٧.
(١١) آل عمران/٧.

فوق لفظ الجلالة حرف الميم بالحمرة للإيماء إلى أنَّ الوصل موهم لمعنىً فيه خلل من حيث الاعتقاد))[١]. ويعلّق القاري على المصري في جعله الوقف على لفظ الجلالة تامًّا، فيقول: ((وأمّا جعل المصري الوقف على الجلالة تامًّا فغير تام؛ لأنَّ ما بعده له تعلّق معنوي بما قبله، بل عند المحققين من أرباب التفسير إثبات تعلّق المعنى في جميع الآيات ولو ما بين القصص وبين والسور))[٢].وحكم هذا الوقف، جواز الوقوف عليه، والابتداء بما بعده باتفاق الشارحين[٣].

القسم الثالث: الوقف الحسن

عرَّف القسطلاني هذا الوقف، فقال: ((هو الثالث من أقسام الوقف والذي يكون له متعلّق من جهة اللفظ، وسمّي حسنًا؛ لأنَّه حسن في نفسه مفيد يجوز الوقوف عليه دون الابتداء بما بعده للتعلق اللفظي، وأنَّ التعلُّق من جهة اللفظ هو أن يكون ما بعده متعلقًا بما قبله من جهة الاعراب ، كأنْ يكون صفة أو عطفًا، بشرط انْ يكون ما قبله يحسن السكوت عليه))[٤].

وعرَّفه القاري، قائلًا: هو ((الوقف على ما فيه من التعلّق اللفظي مطلقًا، وسمّي بالحسنِ لحُسْنِ الوقوف عليه، وإنْ كان تفصيل بالابتداء بما بعده))[٥]. وقال في موضع آخر هو أنْ يكون ((فيه تعلّق بما بعده لفظًا ومعنىً؛ لأنَّه يلزم من اللفظ تعلّق المعنى بخلاف عكس المبنى))[٦]. وبالموازنة بين النصين المذكورين يُلحظ أنَّ القسطلاني في تعريفه للوقف الحسن جعل له متعلّق من جهة اللفظ فقط، في حين زاد القاري على ما ذكره المعنى اللفظي، فجعل التعلّق من جهة اللفظ والمعنى، فكان في تعريفه مطابقًا لمفهوم الداني حين عرَّف الوقف الحسن بأنَّه ((هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده؛ لتعلّقه

---

(١) المنح الفكرية: ٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٨، المنح الفكرية: ٢٤٩- ٢٥٠.

(٤) اللآلئ السنية: ٤٧، ١٥٨-١٥٩.

(٥) المنح الفكرية: ٢٤٧.

(٦) المصدر السابق: ٢٤٦.

به من جهة اللفظ والمعنى جميعًا))[١].وأهمّ المواضع التي يكون الوقف فيها حسنًا كما يذكر الشارحان هي:

١. أنْ يكون في خلال الآية نحو الوقوف على قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ﴾، وعلى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وعلى ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وعلى ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وما أشبه ذلك، ففي هذه المواضع الوقوف حسن عليه، لكن لا يحسن الابتداء بما بعده؛ لتعلّقه لفظًا فإنَّه تابع لما قبله، فلا بُدَّ من إعادة ما قبله كله أو بعضه[٢]. ((والابتداء بالمجرد او التابع أو غيره من حيث كونه تابعًا لا يحسن إلّا في رؤوس الآي))[٣]. وقال القسطلاني: ((إذا قلت ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عقل عنك ما اردت، ولكنك إذا ابتدأت بـ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قبح؛ لأنَّه صفة فبان لك أنَّ التعلّق من جهة اللفظ))[٤]. وسبق الداني القسطلاني والقاري في هذا المفهوم، إذ قال: ((لا يحسن الابتداء بـ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، و﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ لأنَّ ذلك مجرور، والابتداء بالمجرور قبيح؛ لأنَّه تابع لما قبله، ويسمّى هذا الضرب صالحًا))[٥].

٢. يذكر الشارحان أنَّه قد يكون الوقف حسنًا على تقدير كافٍ على آخر، وتمامًا على غيرها، نحو قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦]، إذا جعلت ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٧] نعتًا كافيًا إنْ جُعل خبرًا مقدرًا فالوقف حسن، وأمّا إذا جعلت ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ رفعًا بمعنى هم الذين يؤمنون بالغيب، أو نصب بتقدير أعني وإذا جعلت الذي يؤمنون بالغيب مبتدأ أو خبره ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فيكون الوقف تامًّا[٨].

٣. أنْ يكون الوقف رأس آية، فإنَّه يجوز الوقف عليه في اختبار أهل الأداء[٩]، وقال القاري: ((إنَّ رؤوس الآي يستحب الوقوف عليها سواء وجد تعلّق لفظي ام لا، وهو سُنَّة

---

(١) المكتفى في الوقف والابتداء: ١٤٥.

(٢) ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٨-١٥٩، والمنح الفكرية: ٢٤٧، وهداية القارئ إلى تجويد كلام الباري: ٣٧٤.

(٣) الطرزات المعلمة في شرح المقدمة: ١٩٩.

(٤) اللآلئ السنية: ١٥٩.

(٥) المكتفى في الوقف والابتداء: ١٤٥، وينظر: نظام الوقف والابتداء: ٤٥

(٦) البقرة / ٢.

(٧) البقرة / ٣.

(٨) ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٩، والمنح الفكرية: ٢٤٩، وفضل علم الوقف والابتداء: ٨٠.

(٩) ينظر: اللآلئ السنية: ١٥٩.

متبعة لمجيئه عن النبي (ﷺ) في الحديث عن أم سلمة ((أنَّ النبي (ﷺ) كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية يقول: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ثُمَّ يقف، ثُمَّ يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثُمَّ يقف، ثُمَّ يقول: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يقف، ثُمَّ يقول: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وقال الداني: هو أحبُّ إلي، واختاره البيهقي في شعب الإيمان، وغيره من العلماء، وقالوا: الأفضل الوقف على رؤوس الآي وإنْ تعلّقت بما بعدها[١].

ويذكر القاري أنَّ السجاوندي و(صاحب الخلاصة) يرون أنَّ الوقف يحسن على رؤوس الآيات، ولكن لا يحسن الابتداء بما بعده مطلقًا، وأنَّ رؤوس الآية وغيرها عندهم في حكم واحد، ولذا جعلوا رمز (لا) ونحوه فوق الفواصل، كما كتبوها فوق غيرها[٢]. واستدل بعضهم الآخر بالحديث الوارد عن أمّ سلمة على سُنيَّة تعليم الوقف على الفواصل، لا دلالة على سُنَّة الاتّباع، إذ لا يُسَن إلّا ما فعله تعبّدًا، ولكن هو وقف بيان، من باب التوقيف لعدم إطلاع غيره (ﷺ)[٣].

ويشير الملا علي القاري إلى أنَّ أرباب الوقف لم يختلفوا من جهة التعلّق اللفظي فقط، ((وإنَّما فرَّقوا في رؤوس الآي بحسب اختلاف القراء المقتضي لاختلاف الإعراب الموجِب للتعلّق وعدمه، فوقفوا على سورة إبراهيم في قوله تعالى: ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٤]، إذا قرؤوا لنافع والشامي برفع ما بعده، ووصلوا على قراءة غيرهما بجرّه، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن يعرفها أرباب الوقف من الأعيان)) [٥].وقال في موضع آخر: ((وقد يكون الاختلاف وباختلاف القراءة، نحو قوله تعالى: ﴿ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾[٦] وقف كافٍ على قراءة من رفع ﴿ فَيَغْفِرُ﴾ و ﴿وَيُعَذِّبُ﴾، ووقف حسن لمن يجزمها، –قرأ عاصم بالرفع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب، والباقون بالجزم– لكن لا يستحسن الوقف عليه لعدم حسن الابتداء بما بعده، وقس على هذا ما وقع في القرآن ومثله))[٧].

---

(١) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ١٤٦، واللآلئ السنية: ١٥٩–١٦٠، والمنح الفكرية: ٢٤٩ – ٢٥٠.

(٢) ينظر: المنح الفكرية: ٢٥٠، ونهاية القول المفيد: ٣١١ – ٣١٣.

(٣) ينظر: المنح الفكرية: ٢٥٠، ونهاية القول المفيد: ٣١١ – ٣١٣.

(٤) إبراهيم/ ١.

(٥) المنح الفكرية: ٢٥٠.

(٦) البقرة / ٢٨٤.

(٧) المنح الفكرية: ٢٦٥.

القسم الرابع: الوقف القبيح:

عرَّفه القسطلاني، فقال: ((هو الوقف على كلام غير تام، ولا يفهم منه معنى، لأنَّه لا يُعلم إلى أي شيء أضيف، فالوقف عليه قبيح؛ لأنَّ المقصود بالوقف تبيين معاني كتاب الله تعالى وتكميلها))[١]. أمّا علي القاري فلم يعرِّف هذا المصطلح صراحةً، وإنَّما أشار إليه ضمن حديثهِ فقال: ((إنَّ غير ما تمَّ من الكلامِ قبُحَ الوقفُ عليه))[٢].

نلاحظ على النصوص المتقدِّمة للشارحين، أنَّهما لم يخرجا عن السياق الذي ذكره علماء التجويد في الوقف القبيح، إذ عرَّفه الداني بأنَّه: ((الوقف الذي لا يعرف المراد منه))[٣]. وعرَّفه ابن الطحان، فقال: ((الوقف القبيح هو الذي لا يُعرف المُراد منه، ولا تقوم فائدة عنه))[٤].

وأشار الشارحان إلى أنَّه يقبح الوقف على المضاف دون المضاف إليه، والصفة دون الموصوف والرافع دون المرفوع، والناصب دون المنصوب، والمنصوب دون الناصب، ولا على المعطوف دون ما عطف عليه، ولا على (إنَّ) وأخواتها دون اسمها، ولا على اسمها دون خبرها، ولا على (ظننت) وأخواتها دون منصوباتها، ولا على صاحب الحال دونها، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء، ولا على المفسِّر دون المفسَّر، ولا على (الذي) و (ما) و (مَنْ) دون صِلاتهنَّ، ولا على صِلاتهنَّ دون معمولاتهنَّ، ولا على الفعل دون مصدره، ولا على مصدره دون آلته، ولا على حروف الاستفهام دون ما استفهم بها عنه، ولا على حرف الشرط دون المشروط، ولا على المشروط دون الجزاء ولا على الأمر دون جوابه؛ لأنَّ هذهِ كلها لا يتمُّ بها كلام، ولا يُفهم منها معنى[٥].ومن أهمِّ مواضع الوقف هنا هي:

١. الوقف على ﴿بِسْمِ﴾؛ لأنَّه لا يعلم إلى أي شيءٍ أضيفتهُ[٦]. وقال الداني يُسمّى هذا الوقف وقف الضرورة، لتمكن انقطاع النفس عنده[٧]. ويرد الملا علي القاري على من

---

(١) اللآلئ السنية: ١٦٢.

(٢) المنح الفكرية: ٢٥٢.

(٣) المكتفى في الوقف والابتدا: ١٤٨.

(٤) نظام الأداء في الوقف والابتداء: ٥٠.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية: ١٦٣، والمنح الفكرية: ٢٥٣.

(٦) ينظر: اللآلئ السنية: ١٦٢، والمنح الفكرية: ٢٥٣.

(٧) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا: ١٤٨.

جعل الوقف على ﴿بِسْمِ اللهِ﴾، وعلى ﴿الرَّحْمَنِ﴾، وعلى ﴿الرَّحِيمِ﴾ قبيح، فيقول: إنَّه ((خطأ قبيح منه؛ فإنَّ الوقف على كل من الجلالة والرحمن حسن لأنَّه مع متعلقه من الفعل أو الاسم المقدَّر كلامٌ تامٌّ كما ورد في أحاديثه عليه الصلاة والسلام من الاكتفاء على ﴿بِسْمِ اللهِ﴾ في ابتداء الطعام ونحوه من المواضع الكرام))[١].

٢. الوقف على ﴿الْحَمْدُ﴾؛ لأنَّه وقف على المبتدأ دون خبره[٢].

٣. ((الوقف على ما يحيل المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾[٣] فإنَّ المعنى يفسد بهذا الوقف؛ لأنَّه يفهم منه أنَّ البنت مشتركة في النصف مع أبويه، وليس كذلك، بل المعنى النصف للبنت دون الأبوين، ثم استأنف للأبوين بما يجب لهما مع الولد))[٤]. فالكلام هنا منفصل خارج عن حكم ما وصل به[٥].

٤. الوقف على (غير) من ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وعلى (إله) من قوله تعالى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾، إذ يقول القاري: ((اعلم أنَّ من الوقف القبيح الوقف على "غير"﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وعلى "إله" من﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾، كما يفعله جهلة القرّاء ويستدلون برقم السجاوندي على ما قبل هذه الكلمات "لا" أي لا وقف، فليت شعري هل نهاك عن الوقف على رؤوس الآي الذي هو سُنَّة وأمرك بالوقف على المضاف دون المضاف إليه من "غير" و "إله" –يعني وتخالف السُنَّة وأئمة الوقوف في القراءة فتقف تارة بعد تمام الآية، وتارة قبلها لكون كتابة "لا" على رأس آية))[٦]. فكان يجب الوقوف على قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ و ((إنَّ ما نقل عن بعض من ليس له دراية أنَّ الوقف على ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ غير جائز بل حرام وكفر وأمثال ذلك، فهذا نقل باطل ليس فيه وجه طائل))[٧].

---

(١) المنح الفكرية: ٢٥٣.

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٢٥٢.

(٣) النساء / ١١.

(٤) اللآلئ السنية: ١٦٣.

(٥) ينظر: نظام الأداء في الوقف والابتداء: ٥١.

(٦) المنح الفكرية: ٢٥٤.

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٥. وكذلك يكون الوقف قبيحًا إذا كان المعنى يؤدي إلى ما لا يليق بصفات الله تعالى وفيه سوء أدب –والعياذ بالله– كالوقف على ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾[١]، وعلى ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ﴾[٢]، ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي﴾[٣]، ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَللهِ﴾[٤]، ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾[٥]، ((فالواقف على هذا آثم مخطئ، وربما خرجَ والعياذ بالله سبحانه وتعالى عن دين الإسلام، اللهم إلّا أن يكون مضطرًا كأن ينقطع نفسه فإنَّه يجوز له الوقف عليه إلّا أنَّه إذا وقف ابتدأ من الكلمة التي قبلها، وإليه أشار –الناظم– بقوله: وله يوقف مضطرًا ويبدأ قبله))[٦]. وقال القاري: الوقف قبيح على هذا؛ لأنَّ المعنى يفسد بفصل ذلك عما بعده[٧].

٦. ومنه أيضًا كما ذكر القاري الوقف على قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا﴾[٨]، و﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾[٩]، و﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾[١٠]، ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى﴾[١١]، و﴿فَاعْبُدُونِ ۝ وَقَالُوا﴾[١٢]، و﴿مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾[١٣]، و﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَمَا و﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾[١٥]، و﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ﴾[١٦]، و﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ﴾[١٧]،

---

(١) البقرة / ٢٦.
(٢) البقرة / ٢٥٨.
(٣) غافر / ٢٨.
(٤) النحل / ٦٠.
(٥) الماعون / ٤.
(٦) اللآلئ السنية: ١٦٣.
(٧) ينظر: المنح الفكرية: ٢٥٥.
(٨) آل عمران / ١٨١.
(٩) المائدة / ١٧.
(١٠) التوبة / ٣٠.
(١١) التوبة / ٣٠.
(١٢) الأنبياء / ٢٥.
(١٣) الصافات / ١٥١.
(١٤) يس / ٢١ – ٢٢.
(١٥) الأنبياء / ٢٩.
(١٦) المائدة / ٣٠–٣١.
(١٧) الاسراء / ٩٤.

والابتداء بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ﴾[١]، و﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[٢]، و﴿يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾[٣]، و﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾[٤]، و﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ﴾[٥]، و﴿ وَلَدَ اللَّهُ﴾[٦]، و﴿ لَا أَعْبُدُ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[٧]، و﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾[٨]، و﴿ اللهُ غُرَابًا﴾[٩]، و﴿اللهُ بَشَرًا﴾[١٠]، بَشَرًا﴾[١٠]، فالمعنى هنا يختل بل يستحيل بفصل ذلك عما قبله، ولذلك يقبح الوقوف عليه إلّا أن يكون القارئ مضطرًا، كما ذكرنا سابقًا فإنَّه يجوز له الوقف حال اضطراره كانقطاع النفس ونحوه، فإذا القارئ الابتداء فيجب عليه الابتداء بما قبله[١١].

ثم يبيّن القسطلاني أنَّه ((ليس في القرآن وقف واجب يأثم تاركه ولا حرام يأثم واقفه، لعدم دلالتهما على معنى يخاف من ذهابه بل لو أمكنه قراءة القرآن كله في نفسٍ واحدٍ لجاز له ذلك، ولو وقف على كُلَّ آية ما لم يحصل بوقفه خلل لجاز له ذلك أيضًا، وإليه أشار – يقصد الناظم– بقوله: "غير ما له سبب أي ألّا يكون له سبب يؤدي إلى تحريمه كقصد الوقف على ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ وشبهة مما ذكر من غير ضرورة إذ لا يفعل ذلك مسلم))[١٢].

---

(١) آل عمران / ١٨١.
(٢) المائدة / ١٧.
(٣) المائدة / ٦٤.
(٤) التوبة / ٣٠.
(٥) الأنبياء / ٢٦.
(٦) الصافات / ١٥٢.
(٧) يس / ٢٢.
(٨) الأنبياء / ٢٩.
(٩) المائدة / ٣١.
(١٠) الإسراء: ٩٤.
(١١) ينظر: المنح الفكرية: ٢٥٣، والفوائد المسعدية: ١١٢ – ١١٣، والطرازات المعلمة: ٢٠٢.
(١٢) اللآلئ السنية: ١٦٤.

أحكام الوقف على أواخر الكلم:

سبق أن تناولنا أسباب الوقف أو مدى حاجة القارئ إليه لأخذ النفس والراحة، أو لقطع القراءة أو لتبيين المعنى، ويترتب على ذلك أحكام تتعلق بأواخر الكلمات الموقوف عليها؛ لأنَّ الكلمة تتثاقل إذا وصلت إلى آخرها فإذا كانت متحركة وجب أن تكون حركتها مطففة؛ لأنَّ اللسان عند انقضائها يكاد يطغى بحركتها؛ لأنَّ النفس لما تستشعره من فراغ الكلمة تجد راحة من اللفظ، فتلقي بعض ما عندها من الصوت المعد العتيد(١). لذلك حذَّر علماء القراءات من الوقف على آخر الكلمة بحركة تامَّة، فهو خلاف مذهبهم؛ لأنَّ أصل علامة الوقف السكون وترك الحركة(٢)،((فلا يقوم جهاز النطق بأي نشاط حال نطقها، ولا أثرًا سمعيًا لها، فهي ليست من الأصوات اللغوية، ولا تنتمي إلى مجموعتي الصوامت أو المصوتات، غير أنَّ لها قيمة فونيمية في القدرة على التمييز بين المعاني، كما تُعد علامة إعرابية للمضارع المجزوم، ولها وظيفة في التركيب المقطعي للعربية، فهي ظاهرة سببية نطقًا إيجابية عملًا ووظيفة))(٣).

وذكر علماء العربية عدة طرق للوقف على آخر الكلمة، فجعلها سيبويه على أربعة أقسام، في قوله: ((الوقف في آخر الكلم، ...، فإنَّه يوقف عنده على أربعة أوجه: بالإشمام، وبغير الإشمام كما تقف عند المجزوم والساكن، وبأن تروم التحريك، وبالتضعيف))(٤).

وذكر ابن الجزري ((أنَّ للوقف في كلام العرب أوجها متعددة والمستعمل منها عند أئمة القراء تسعةٌ، وهو السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والاثبات ، والإلحاق))(٥). وتناول منها ثلاثة فقال: ((ما يجوز الوقف عليه بالسكون، وبالروم، وبالإشمام خاصة))(٦). وأما علماء بحثنا فيذكر القسطلاني ((أنَّ الوقف في كلام العرب على سبعة أضرب: الوقف بالسكون، والوقف بالروم، والوقف بالإشمام، والوقف بالتعويض، والوقف بترك التعويض، والوقف بالتعويض عند تشديد حروف الإعراب إذا كان

---

(١) ينظر: الموضح في التجويد: ١٩٣، وشرح المقدمة الجزرية، غانم قدوري الحمد: ٦٣٣.

(٢) ينظر: شرح المقدمة الجزرية، غانم قدوري الحمد: ٦٣٣.

(٣) الدرس الصوتي عند المرعشي: ٢٦٥.

(٤) الكتاب: ١٦٨/٤.

(٥) النشر في القراءات العشر: ١٢٠/٢.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

صحيحًا والوقف بالنقل، ولم يستعمل القرّاء من هذه الأوجه إلّا الوجه الأفصح، وهي الثلاثة الأول، ولم ترد سُنَّة التلاوة بغيرها))[١]. وأما علي القاري فقد خالف القسطلاني في عددها؛ إذ جعل الوقف على ثلاثة أنواع فقال: ((أنواع الوقف ثلاثة، أولها: الإسكان المحض، وثانيها: الروم، وثالثها: الإشمام))[٢]. وفيما يلي توضيح كلّ مفهوم حسب ما ورد عند القسطلاني والقاري.

أولًا: السكون المحض:

السكون لغةً: ((سكن: السكونُ: ذهاب الحركة. سكن أي سكت ... سكنت الريح، وسكن المطر))[٣]**.واصطلاحًا:** هو الخالص من الروم والإشمام، ويقال له السكون المجرد، وهو عبارة عن عزل الحركة عن الحرف الموقوف عليه فيسكن))[٤].

ويذكر القسطلاني: ((أنَّ السكون أصل الوقف؛ لأنَّ الوقف محل استراحة ناسبة السكون لخفته))[٥]. ولأنَّ ((العرب لا يبتدئون بساكن ولا يقفون على متحرك بالحركة الكاملة))[٦]. و((الحركة نقيض السكون))[٧]. فتكون إمّا ((ضمَّة أو فتحة أو كسرة))[٨]. كما يرى في((الوقف بالسكون على المرفوع والمجرور والمنصوب هذا إذا لم يكن منونًا، فإنَّ كان منونًا عوض من تنوينه ألفًا وهو الوقف المختار الصحيح))[٩]. ووافق الملا علي القاري في أنَّ الإسكان المحض هو الأصل والوقف عليه لأجل الراحة، فقال: ((الإسكان المحض وهو الأصل لأنَّ الغرض من الوقف هو الاستراحة، وسلب الحركة أبلغ في تحصيل الراحة))[١٠].

---

(١) اللآلئ السنية: ١٩٥.

(٢) المنح الفكرية: ٣١٦.

(٣) العين: ٣١٢/٥.

(٤) المغني في علم التجويد: ٤٢.

(٥) اللآلئ السنية: ١٩٥.

(٦) المغني في علم التجويد: ٤٢.

(٧) اللآلئ السنية: ١٩٥.

(٨) المصدر السابق: ١٩٧.

(٩) المصدر السابق: ١٩٥.

(١٠) المنح الفكرية: ٣١٦.

نلاحظ ههنا اتفاق الشارحين على أنَّ الوقف دال على ترك الحركة وسلبها، وأنَّ السكون علامة الوقف، وسبقهم في ذكر هذا المفهوم جُلّ علماء العربية سواء أكانوا نحاة أم مجودين[١].

ثانيًا: الروم:

الروم لغة: جاء في العين ((الروم: طلب الشيء. والمرام: المطلب. رام يروم رومًا ومرامًا: طلب))[٢]. ويأتي أيضًا بمعنى الأخذ أو السكوت ((يقال أخذت الشيء برمته، أي أخذته كله لم أدع منه شيئًا. قال أبو عبيدة: أرمَ الرجلُ إرمامًا إذا سكتَ، فهو مُرم. أمّا التَرمرمُ: فهو أن يتحرك الرجل شفتيه بالكلام. قال أبو بكر ما ترمرم: معناه ما تحرك))[٣].

واصطلاحًا: ((هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظم صوتها، فتسمع لها صوتًا خفيًا يدركه الأعمى بحاسة سمعه دون الأصم))[٤]. عرَّف القسطلاني الروم بأنَّه الإتيان ببعض الحركة[٥]، وذكر مفاهيم أخرى وردت عند العلماء السابقين له فقال: ((قيل: هو الإتيان في الوقف بحركة ضعيفة))[٦]. وقال أيضًا: ((وقيل: إضعاف الصوت بالحركة، وذهاب معظمها، وقيل غير ذلك مما يناسب هذا المعنى –أي تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها، فيسمع لها صويت خفي يدركه الأعمى بحاسة سمعه، والبصير بحاسة بصره))[٧]. وطريقته عند القسطلاني ((وأحسنها كما أفاد فيه بعض مشايخي ما حدَّه به الشاطبي بقوله:

وَرَوْمُكَ إسْمَاعُ المُحَرَّكِ واقِفًا بِصَوتٍ خَفِيٍّ كل دانٍ تنولا

---

(١) ينظر: التبصرة في القراءات السبع وعللها ٣٣٤، والتحديد في الاتقان والتجويد: ١٦٩، وشرح المفصل لابن يعيش: ٩/ ٦٦-٦٧.

(٢) العين: ٨/٢٩١.

(٣) تهذيب اللغة: ١٥/٣٩.

(٤) التحديد في الاتقان والتجويد ١٩٦، وأبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد: ٢٣٩.

(٥) ينظر: اللآلئ السنية: ١٩٥.

(٦) اللآلئ السنية:١٩٥، وينظر: النشر في القراءات العشر: ٢/١٢١.

(٧) اللآلئ السنية: ١٩٦، الموضح في التجويد: ٢٠٨.

كلُّ دانٍ، قريب منك. تنولًا أي تنوله منك، وأخذه عنك، وهو موافق لنولته كذا أي أعطيته إياه فتنوله، أي أخذه. يعني أنَّه لإضعاف الصوت به إنَّما يسمعه من كان على ما وصفه فإنْ لم يكن على ما وصفه لا يفطن له، وهذه الزيادة لم أرها لغيره –الشاطبي– وهي حسنة))[١].

أمّا علي القاري فيتفق مع ما ذكره القسطلاني ومن سبقه من علماء التجويد في أنَّ الروم: هو((إتيان بعض الحركة بصوت خفي وكأنَّه يضعف صوتها لِقَصرِ زمانها فيسمعها القريب. المصغي دون البعيد لأنَّها غير تامَّة، والمراد بالبعيد أعم من أن يكون حقيقةً أو حكمًا فيشمل الأصم والقريب إذا لم يكن مصغيًا))[٢].

ويذكر الشارحان أنَّ الروم يكون في الضمة والكسرة دون الفتحة، فيقول القسطلاني: ((اعلم أنَّ الحرف المتحرك إذا وقف عليه فلا تخلو حركته من أنْ تكون ضمة أو فتح أو كسرة، فإن كانت ضمة جازَ في الوقف الروم؛ لأنَّه يحصل به الدلالة على الأصل لأنَّه بعضه، وإنْ كانت كسرة جاز القف بالروم، وإن كانت فتحة فلم يجز الروم؛ لأنَّ الفتحة خفيفة لا تتبعض فإذا أُريمَ إخراج بعضها خرج سائرها))[٣]. وأيده القاري في جواز الروم مع الضمة والكسرة دون الفتحة، وحذَّر من الوقف في جميع الحركات إلّا أنَّه نوع الحركات إلى الرفع والضم، والنصب والفتح، والجرِّ والكسر[٤]. في قوله: ((واحذر الوقف بتمام الحركة في جميع حركات الوقف وأنواع حركات الكلمات الموقوف عليها من الرفع والنصب والجرِّ والضمّ والفتح والكسر، ... إلّا إذا رُمْتَ وقفَ الرَّوم فأتِ ببعض الحركة، لكن محلُّه إذا كانت الكلمة الموقوف عليها مرفوعة أو مضمومة أو مخفوضة أو مكسورة، بخلاف ما إذا كانت مفتوحة أو منصوبة... والمغايرة بين أنواع الإعراب لإفادة عموم الحكم بين الحركات الإعرابية وبين الحركات البنائية، فإنَّ الرفع والنصب والجر من القاب الإعراب والضمّ والفتح والكسر من ألقاب البناء فيستوي في الأحكام المذكورة المنون وغيره والمعرب والمبني من الاسم ونحوه))[٥].

---

(١) اللآلئ السنية: ١٩٦.

(٢) المنح الفكرية: ٣١٦.

(٣) اللآلئ السنية: ١٩٧.

(٤) ينظر: شرح المقدمة الجزرية، (د.غانم قدوري الحمد): ٦٣٧.

(٥) المنح الفكرية: ٣١٧.

وبالمفهوم الذي ذكره القسطلاني والقاري نلاحظ اختلافهما مع مذهب علماء العربية النحاة، في جعلهم الروم في الحركات الثلاث[١]. واتفاقهما مع مذهب بعض علماء التجويد في اقتصارهم على الضم والكسر دون الفتح[٢].

الفرق بين الروم والاختلاس:

الاختلاس لغة: جاء في الصحاح : ((خلست الشيء واختلسته وتخلسته، إذا اسْتَلَبْتَهُ. والتخالسُ: التَسالبُ))[٣]. **والاختلاس اصطلاحًا:** هو ((عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعًا يحكم السامع به أنَّ الحركة قد ذَهَبَتْ، وهي كاملة في الوزن))[٤].

اختلف علي القاري عن القسطلاني في إشارته إلى علاقة الترابط بين الروم والاختلاس، فأجرى مقارنة بينهما بيَّن فيها ((أنَّ الرَّوم والاختلاس يشتركان في التبعيض، إلّا انّض الرَّوم اخصَّ من حيث أنَّه لا يكون في الفتح والنصب، ويكون في الوقف دون الوصل، والثابت من الحركة أقلُّ من الذاهب، والاختلاس أعمُّ لكونه يتناول الحركات الثلاث كما في ﴿لا يهدي﴾[٥]، و﴿نعمَّا﴾[٦]، و﴿يأمُرُكم﴾[٧]، عند بعض القرّاء في الأمثلة الثلاثة، ولا يختص بالآخر وهو محل الوقف، والثابت من الحركة أكثر من الذاهب وذلك بأنْ يأتي بثلثيها، وهذا لا يضبط إلّا بالمشافهة بالسماع من أفواه ارباب اداء القراءة))[٨].

نستخلص من نصّ القارئ المتقدِّم أنَّ الروم والاختلاس يختصان بتقصير الحركة، إلّا أنَّهما يتفاوتان ببعض الميزات منها:

أ- إنَّ الروم لا يكون إلّا في الفتح والنصب، بخلاف الاختلاس الواقع في الحركات الثلاث.

ب- يكون الروم في الوقف، والاختلاس في الوصل.

---

(١) ينظر: الكتاب: ١٦٨/٤ – ١٧٢، والتحديد في الإتقان والتجويد: ١٦٩، و ارتشاف الضرب: ٨٠٨/٢.

(٢) ينظر: الموضح في التجويد: ٢٠٨ – ٢٠٩.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٩٢٣/٣.

(٤) مرشد القارئ: ٧٥.

(٥) يونس / ٣٥.

(٦) النساء / ٥٨.

(٧) البقرة / ٦٧.

(٨) المنح الفكرية: ٣١٨.

ج- يختص الروم بأواخر الكلمات، ولا يختص الاختلاس بالآخر.

د- الثابت من الحركة المرومة أقل من الذاهب بينما الثابت من الحركة المختلسة أكثر من الذاهب، وذلك أن يأتي بثلثيها.

ثالثًا: الإشمام:

الإشمام لغةً: هو الدنو والقرب. قال ابن فارس ((الإشمام شاممت فلانًا إذا قاربته ودنوت منه))[١]. وقال أيضًا ((شَمَّ: الشين والميم أصل واحد يدل على المقاربة والمداناة. تقول شممت الشيء فأنَّا أشمُّهُ والمشامَّة: المفاعلَّة من شاممته إذا قاربتهُ، ودنوت منه))[٢].

واصطلاحًا كما عرَّفه القسطلاني ((وهو أن تضم شفتيك بعد تسكين الحرف إشارةً إلى الضم من غير صوت))[٣]. ووافقه القاري في ذلك فقال: ((الإشمام، وهو أن تضم شفتيك بعد الإسكان إشارةً إلى الضم وتترك بينهما بعض انفراج ليخرج النفس، فيراهما المخاطب مضمومتين فيعلم أنك اردت بضمهما الإشارة إلى حركة آخر الكلمة الموقوف عليها))[٤].ويتفق الشارحان على أنَّ الإشمام يرى ويدرك للبصير دون الأعمى. لأنَّه ((ليس بصوت يسمع –كما ذكرت– وإنَّما هو تحرك عضو فلا يدركه الأعمى بخلاف الروم فإنَّه يدركه الأعمى والبصير لأنَّ فيه مع بعض الحركة صوتًا ما يكادُ الحرف أنْ يكون بهِ متحركًا))[٥].

وخصَّ القسطلاني والقاري الإشمام في المرفوع والمضموم، فقال القسطلاني: ((الوقف بالإشمام على المرفوع خاصة))[٦]. وقال في موضع آخر: إنْ كانت ضمَّة جاز الوقف بالإشمام لأنَّه يحصل به التخفيف بذهاب الصوت كله مع بيان ما كان عليه الحرف بضم

---

(١) مجمل اللغة: ٤٩٩/١.

(٢) مقاييس اللغة: ١٧٥/٣.

(٣) المنح الفكرية: ٣١٦.

(٤) اللآلئ السنية: ١٩٦.

(٥) المنح الفكرية: ٣١٦.

(٦) اللآلئ السنية: ١٩٥، وينظر: المنح الفكرية: ٣١٧.

الشفتين، ولم يجز مع الكسرة؛ لأنَّ ضم الشفتين إنَّما هو تنبيه على الضم لانضمام الشفتين حال النطق بها[١].

وذكر الشارحان أهمَّ المواضع التي يمتنع فيها الروم والإشمام، فقال القسطلاني: ((اعلم أنَّ الروم والإشمام لا يدخلان في هاء التأنيث ولا في ميم الجمع، ولا في الشكل العارض، وإنَّما يوقف على ذلك جميعه بالسكون))[٢]. فأمّا هاء التأنيث فهي التاء المبدلة هاء في الوقف كما يذكر الشارحان في قولهم: ((أمّا هاء التأنيث فإنَّها إلى ما رسم بالهاء نحو: ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[٣]، و﴿ تِلْكَ نِعْمَةٌ﴾[٤]، وإلى ما رسم بالتاء نحو: ﴿ يَرْجُونَ رَحْمَتَ﴾[٥]، و﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾[٦]، فما رسم بالهاء لا يوقف عليه إلّا بالهاء الساكنة، إذ المراد بالروم والإشمام بيان حركة الحرف الموقوف عليه في حالة الوصل ولم يكن على الهاء حركة في الأصل؛ إذ هي مبدلة من التاء، والتاء معدومة في الوقف، وأمّا ما رسم بالتاء فإنَّ الروم والإشمام يدخلان فيه على مذهب من وقف بالتاء؛ لأنَّها تاء محضة وهي التي كانت في الوصل، ولذا قال الشاطبي: وفي هاء تأنيث ولم يقل: وهي تاء تأنيث))[٧].

وأمّا في ميم الجمع، فيذكر الشارحان أنَّ الميم تقسم على قسمين: ما تحرَّك في الوصل للجميع نحو﴿ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[٨]، و﴿ لَهُمُ النَّاسُ﴾[٩]، ونحوه مما يقع قبل السكون فلا يدخله روم ولا إشمام؛ لأنَّ حركته عارضة لالتقاء الساكنين، والحركة العارضة لا تُرام ولا

---

(١) ينظر: اللآلئ السنية: ١٩٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها، وينظر: المنح الفكرية: ٣١٨.

(٣) النحل / ٨٩.

(٤) البقرة / ٢٣١.

(٥) البقرة / ٢١٨.

(٦) البقرة / ٢٣١.

(٧) المنح الفكرية: ٣١٨، وينظر: اللآلئ السنية: ١٩٧.

(٨) البقرة / ٢١٨.

(٩) النحل / ٨٩.

تشم، كحركة ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾[١]، ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٢]، والغرض من الروم والإشمام إنَّما هو بيان حركة الموقوف عليه حال الوصل باعتبار الأصل[٣].

والقسم الثاني: ما تحرك بالضم أو الكسر موصولًا لبعض القرّاء ويسكن لبعضهم نحو: ﴿ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤]، فمن قرأ بالإسكان لم يدخل فيه على قراءته روم ولا إشمام؛ إذ الروم والإشمام إنَّما يدخلان في المتحرك، ومن قرأ بالضمِّ والصلة لم يدخل فيه أيضًا على قراءته روم ولا إشمام عند الحافظ أبي عمرو الداني والشاطبي رحمهما الله تعالى؛ لأنَّ ميم الجمع لا حركة لها في الوصل –الأصل ذكر القاري– وإنَّما حركتها عارضة لأجل واو الصلة وأمّا عارض الشكل فإنَّه ينقسم إلى حركة التقاء الساكنين نحو: ﴿قُلِ ادْعُو﴾[٥]، و﴿ إِنِ امْرُؤٌ﴾[٦]، و﴿ يَوْمَئِذٍ﴾[٧]، وإلى حركة النقل نحو ﴿ مَنْ آمَنَ﴾[٨]، في قراءة ورش؛ لأنَّ أصل الحرف الذي وجدت الحركة فيه السكون، وإنَّما وجدت فيه الحركة لعلَّة، وتلك العلَّة معدومة في الوقف، وإذا عُدمت رجع الحرف إلى أصله من السكون والمراد بحرك التقاء الساكنين الممتنعة من الروم والإشمام ما وحَّد لأجل ساكنين في كلمتين أو كلمة منونة نحو ما تقدَّم، فأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ﴾[٩]، فإنَّ الروم فيه ممتنع؛ لأنَّ الساكن الذي وجدت الحركة من أجله موجود في الأصل والوقف بخلاف ما تقدَّم فإنَّ الساكن الذي وجدت الحركة من أجله معدوم في الوقف حيث كان في بعضه تنوينًا[١٠].

وأمّا الحركة العارضة: فيشير القسطلاني إلى أنَّها ممتنعة من الروم والإشمام لأجل وجود ساكن وهمز متصلين في كلمتين، وما وجد لأجل ساكن وهمزة متصلين في كلمة واحدة

---

(١) إبراهيم: / ٤٤.

(٢) البينة / ١.

(٣) ينظر :اللآلئ السنية: ١٩٨، والمنح الفكرية: ٣١٨ – ٣١٩.

(٤) البقرة / ٦.

(٥) الأعراف / ١٩٥.

(٦) النساء / ١٧٦.

(٧) الانفطار / ١٩.

(٨) البقرة / ٦٢.

(٩) الحشر / ٤، وينظر: اللآلئ السنية: ١٩٩، والمنح الفكرية: ٣٢٠.

(١٠) ينظر: اللآلئ السنية: ١٩٩، والمنح الفكرية: ٣٢٠.

نحو: ﴿ شَيْءٍ﴾[١]، و﴿ سَوْءٍ﴾[٢]، في وقف حمزة وهشام، فإنَّ الروم والإشمام غير ممتنعين فيه أيضًا؛ لأنَّ حركة النقل فيه دالة على الهمزة المخففة؛ لأنَّها مقدَّرة مع ما قبلها منويّة، بخلاف الهمزة التي حُرِكَ الساكن بحركتها غير مقدَّرة ولا منويّة، حيث انفصل مما قبلها في الوقف، وبانت فإنَّ قيل لم جعلت الكسرة في يومئذٍ وحينئذٍ عارضة؟ قلت: لأنَّ إذ حرف مبني على السكون يحتاج إلى جملة تضاف إليه توضحه وتزيل ابهامه فإذا حذفت –أي الجملة– جيء بالتنوين عوضًا منها، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين [٣].

وأمّا هاء الضمير فيذكر القسطلاني والقاري اختلاف العلماء في هذا الموضع ((فإذا كان قبلها ضمة أو كسرة أو واو أو ياء نحو: ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ [٤]، و﴿عَقَلُوهُ﴾ [٥]، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، و﴿ لِأَبِيهِ﴾[٦]، و﴿ يَعْلَمُهُ﴾[٧]، فاختلف فيه فقال بعضهم بجواز الروم والإشمام فيه إجراءً على القاعدة، وقيل لا يجوز طلبًا للخفة إذ الخروج من ضمّ إلى ضمّ ثقيل والإشارة إليه موضع الاستراحة)) [٨]. و((أمَّا إذا انضمت الهاء بعد فتحة أو ألف نحو﴿ لَهُ﴾، و﴿ نَادَاهُ﴾، دخله الروم والإشمام بلا خلاف لعدم العلَّة المانعة منهما)) [٩].

---

(١) النساء / ١٢٦.

(٢) الأنبياء / ٧٤.

(٣) ينظر: اللآلئ السنية: ١٩٩.

(٤) البقرة / ٩٦، وينظر: اللآلئ السنية: ١٩٩، والمنح الفكرية: ٣٢٠.

(٥) البقرة / ٧٥.

(٦) الأنعام / ٧٤.

(٧) البقرة / ١٩٧.

(٨) اللآلئ السنية: ١٩٩، والمنح الفكرية: ٣٢٠.

(٩) اللآلئ السنية: ١٩٩، والمنح الفكرية: ٣٢٠.

الخاتمـة

في الختام وبعد الرحلة التي قضيتها في هذا البحث مع العالمين الجليلين القسطلاني والقاري في شرحيهما للمقدمة الجزرية، لأبي الخير شمس الدين محمد الجزري، في ضوء دراستي للموازنة الصوتية بين شرحيهما، توصلت إلى جملة من النتائج أذكر منها:

١. بينت الدراسة أهمية المقدمة الجزرية بالنسبة إلى علم الصوت، فقد حَوَتْ جُلَّ المادة الصوتية من مخارج وصفات، فضلًا عن أحكام التجويد المتعلقة بأصوات القرآن الكريم، وأدرك الشارحان هذه الأهمية الكبيرة في إعطاء الحروف حقها ومستحقها.
٢. تابع الشارحان مُؤلِف الجزرية في دراستهما، لكنهما استقلا عنه بتكوينهما منهجًا خاصًّا بهما، فنجدهم في أكثر الأحايين يعلقان عليه من ذلك إدراجه الغُنَّة ضمن المخارج لا الصفات.
٣. رتب القسطلاني والقاري أبواب المقدمة ضمن الشرح على عكس الناظم، إذ جردها من التبويب، فلم يضع لها فصولاً أو أبواب.
٤. اتفق الشارحان مع علماء العربية في مسألة التمييز بين الواو والياء من حيث كونها مدّية، وغير مدّية، أي جعلا لهما مخرجين مستقلين في النطق.
٥. كان تحديد القاري لمخرج الصوت أكثر دقة من القسطلاني الذي جعله الحيّز المولد للحرف، في حين زاد عليه الثاني عنصرًا جديدًا، وهو سمة تمايز الأصوات فيما بينها.
٦. ٦.استعمل الشارحان مصطلحات صوتية نَدَرَ الوقوف عندها في المصنفات اللغوية العربية، كالمخرج المحقق، والمخرج المقدَّر.
٧. سلط الشارحان الضوء على عناية العلماء في تناولهم للظواهر الصوتية من خلال تتبعهم للأثر الحسي للصوت الذي يمكن أنْ تدركه الأذن البشرية عندما يتصادم جسمان مع بعضهما، وهذا دليل إدراكهم للخصائص الفيزيائية للصوت.
٨. استطاع الشارحان التمييز بين الصوت والحرف، ويظهر ذلك من وصفهم للحرف بأنَّه: صوت معتمد على مقطع محقق ومقدّر، والصوت: بأنَّه هواء يتموج بتصادم جسمين، ويتضح ذلك في قول القاري((الهواء الخارج من داخل الإنسان، إنْ خرج بقوة الإرادة وعرض له تموج بتصادم جسمين يسمّى صوتاً))

٩. توسع الملا القاري في منهجه الصوتي خلافًا للقسطلاني، فذكر الحروف الفروع وجعلها خمسة حروف مخالفًا بذلك سيبويه الذي جعلها ستة، في حين لم يتطرق القسطلاني للحديث عنها، وكذلك ذكره لأعداد ثنايا المخصوصة بخروج حروف (ط، د، ت) على عكس الثاني.

١٠. اختلف الشارحان في عدد المخارج الكبرى الرئيسة، فجعلها القسطلاني على ثلاثة: الحلق، واللسان، والشفة، وزاد عليه القاري فجعلها خمسة: الحلق، واللسان، والشفة، والجوف، والخيشوم، واختلفا كذلك في عدد الصفات في الحروف العربية إذ ذكر القسطلاني صفات لم يذكرها الناظم كـ(الممدودة، والجرسي، والمهتوف، والخفية وغيرها)، فيكون عددها ثلاثًا وعشرين صفة لديه، في حين ذكر القاري مقابلها ستة عشر صفة.

١١. تابع القسطلاني والقاري سيبويه بإفرادهما لمخرج الضاد واستقلاله عن الحروف الأخرى، خلافاً للخليل الذي أدرجها مع مخارج وسط اللسان.

١٢. أوضح البحث منهجية الشارحين فعلى الرغم من اتفاقهما في بعض المسائل، إلّا أنَّ القاري قرر الالتزام بمنهجية المؤلف ولم يخرج عليه، بخلاف القسطلاني، من ذلك اتفاقهم في صفة الغُنَّة، إذ ذكرها القسطلاني مع الصفات في حين وافقه القاري في ذلك، لكنه فضَّل بقاءها ضمن المخارج.

١٣. حرصَ القسطلاني على التنبيه في بيان المعنى المقصود من خلال اهتمامه بالجانب الشكلي للحرف لكي لا يقع اللبس بين الحروف، وتمييز كل حرفٍ عن الآخر، فاستعمل عبارة (الياء المثناة فوق)، و(التاء المثناة فوق)، و(الثاء المثلثة)، و(الباء الموحدة)، و(العين والحاء المهملتان)، و(الغين والخاء المعجمتان) على عكس القاري.

١٤. اتفق القسطلاني والقاري مع علماء التجويد في جعلهم الهواء هو المادة الأساسية للصوت سواء كان صوتاً لغويًّا أو صوتًا غير لغوي.

١٥. اهتمَّ الشارحان ببيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وفي بعض الأحيان يربطان الجانب اللغوي بالاصطلاحي لبيان مخارج الحروف وصفاتها.

١٦. توسع الشارحان في الحديث عن الإدغام بالنسبة إلى علماء العربية فزادا على ما ذكره علماء العربية (المتماثلين، والمتقاربين) نوعًا ثالثًا أطلقا عليه (إدغام المتجانسين).

وفي الختام... ومن خلال دراستي لشرحيّ القسطلاني والقاري واطلاعي على جُلِّ الشروح للمقدمة الجزرية، يمكنني القول إنَّ مؤلفاتهم تكاد تكون أشمل وأوسع بالنسبة إلى غيرهم لاستيعابها لمعظم الشروح التي تقدمتهم وتستحق أن تُعنى بدراسة مستقلة.

...والحمد لله ربّ العالمين...

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

أولاً: الكتب:

- أبحاث جديدة في علم الأصوات والتجويد، د. غانم قدوري الحمد، دار عمَّار، عَمَّان، ط١، ٢٠١١م .
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع (للإمام الشاطبي)(ت٥٩٠هـ)، عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بـ(أبي شامة) الدمشقي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، (د،ط).
- الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
- أثر القراءات في الوقف والابتداء، محمود بن كابرين بن عيسى الشنقيطي، تقديم: أ.د. محمد بن سريع و د. خالد بن محمد، دار التدمرية، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.
- الأحاديث القدسية الأربعينية، علي بن سلطان محمد أبو الحسن القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: أ.د. عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين، دار التوحيد للنشر والتوزيع، الرياض، (د.ت).
- الإدغام الكبير، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن حسن عارف، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٣م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: د. رجب عثمان رجب، مراجعة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات، أبو عمرو الداني(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: محمد مجقان الجزائري، دار المغني، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

- أُسس علم اللغة، ماريوباي، ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨م.
- أصوات العربية بين التحول والثبات، د. حسام سعيد النعيمي، سلسلة بيت الحكمة(٤)، جامعة بغداد، ١٩٨٨م.
- الأصوات اللغوية (رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية)، سمير شريف إستيتية، وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٣م.
- الأصوات اللغوية وظواهرها عند الجاربردي في شرحه على شافية بن الحاجب، مصطفى عبد كاظم الحسناوي، تصدير: أ.د. صباح عباس السالم، دار صفاء للنشر والتوزيع، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط١، ٢٠١٢م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، ط٣، ٢٠٠٧م.
- الأصوات اللغوية، د. عاطف فضل محمد، دار الميسره، عمان، الأردن،، ط١، ٢٠١٣م.
- الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- أصول تراثية في علم اللغة، د. كريم زكي حسام الدين، الرشاد مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٥م .
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت –لبنان، (د.ت).
- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر ،دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م.
- الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن الباذش (ت٥٤٠هـ)، دار الصحابة للتراث، ط١، (د،ت).

- إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، إلياس بن أحمد حسين سليمان، تقديم المقرئ الشيخ محمد تميم الزعبي، دار الندوة العالمية ، ط١، ٢٠٠٠م.
- الأنوار البهية في حل الجزرية، عبد الله الباسط حامد محمد، اعتنى به خالد حسن أبو الجود، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ٢٠٠٥.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت، (د،ت).
- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبدالله بدر الدين محمد الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي و شركاتهِ، ط١،١٩٥٧م.
- بغية المستفيد في علم التجويد ، محمد بن بدر الدين بن عبد الحق الحنبلي (ت١٠٨٣هـ)، اعتنى به: رمزي سعد الدين دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م .
- البيان والتبيين، عمر بن بحر بن محبوب الكناني المعروف بالولاء الليثي (ت٤٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس،محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)،دار الهداية ،ط١،(د،ت).
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، أبو طيب محمد صديق خان القنوجي (ت١٣٠٧هـ)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٧م.
- التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (ت٤٣٨هـ-١٠٤٥م)، تحقيق: د. محمد غوث الندوي، نشر وتوزيع الدار السلفية، ط٢، ١٩٨٢م.
- التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي(ت٤٤٤هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان، ط١، ٢٠٠٠م.
- تحفة الطالبين في تجويد كتاب رب العالمين، الشيخ منصور بن عيسى بن غازي الأنصاري المصري الشهير بالمانودي، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط١، ٢٠٠٨م.

- تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، زكريا أبي يحيى الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، تحقيق: د. محيي هلال السرحان، بغداد، ١٩٨٧م.
- تذكرة النحاة ، لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي(٦٥٤هـ- ٧٤٥م)، تحقيق: د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٦م .
- تسلية الأعمى عن بلية العمى، علي بن سلطان القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: عبدالكريم بن خيتان العمري، دار البخاري، المدينة المنورة ، ط١، ١٩٩٣م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، سلمان العاني، ترجمة د. ياسر الملاح ، مراجعة: د. محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ط١، ١٩٨١م.
- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات ألقاها في الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ المستشرق الألماني براجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه، د. رمضان عبد التواب، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث قراءة في كتاب سيبوية ، د. عادل نذير يسري الحساني، ديوان الوقف السني، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م
- تفسير الملا علي القاري المسمى أنوار القران و أسرار الفرقان، نور الدين علي بن سلطان الهروي الشهير بـ: الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: د. ناجي السويد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠١٣م.
- التفكير الصوتي عند الخليل، د. حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٨م.
- التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزري (ت٥٨٣)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، علي بن محمد بن سالم الصفاقسي (ت١١١٨هـ)، تحقيق: محمد الشاذلي النيغر، مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله ،(د،ت).

📖تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ٢٠٠١م .

📖التيسر في القراءات السبع، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٠هـ)، إعداد وتأليف: د. خلف بن حمود بن سالم الشفدلي، قدم وأشراف عليه: د. علي الحذيفي وعبد الرافع الشرقاوي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م.

📖جلاء العينين في محاكمة الأحمدي، نعمان بن محمود بن عبدالله أبو البركات خير الدين الألوسي (ت ١٣١٧هـ) ،قدم له علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ١٩٨١م.

📖جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير البلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

📖جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زادة (ت١١٥٠هـ)، تحقيق: د. سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٨م.

📖حق التلاوة على رواية حفص عن عاصم، حسني الشيخ عثمان، دار المنارة، جدة، ط٢، ١٩٩٨م.

📖الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ المقدمة الجزرية، للعلامة الشيخ خالد عبد الله بن أبي بكر الأزهري (ت ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد بركات، مراجعة وتقديم العلامة الشيخ أبو الحسن محيي الدين الكروي، ط١، ٢٠٠٢ م .

📖الحواشي المفهمة في شرح المقدمة، ابن الناظم أحمد بن محمد الجزري، تحقيق: أ. فرغلي سيد عرباوي، مكتبة اولاد الشيخ للتراث، ط١، ٢٠٠٦م.

📖الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د،ت).

📖خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين الدمشقي (ت١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، (د،ت).

📖الدراسات الصوتية بين القدماء والمحدثين، أ. عبد الحميد قدوع الأصمعي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ط١، ٢٠١٠م.

📖الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قدوري الحمد، دار عمان، عمان، ط٢، ٢٠٠٧م.

📖الدراسات الصوتية عند علماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، د.حسام البهنساوي ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٥م .

📖دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

📖دراسات في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، دار الشرق العربي، بيروت ، ط٤،١٩٦٩م.

📖دراسات لسانية، د. عمر رشيد، جامعة سامراء، كلية التربية، ط١، ٢٠١٧م.

📖الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر، سلسلة دراسات ٢٣٤، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

📖دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.

📖دراسة صوتية في كتاب المنح الفكرية، د. نيران كنعان العباسي، دار الكتب والوثائق ببغداد ٣٠٠١ لسنة ٢٠١٥م.

📖الدرس الصوتي عند أحمد بن محمد الجزري، ميرفت يوسف كاظم المحياوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٠م.

📖دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، نقله إلى العربية صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

📖الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في التجويد، الشيخ زين الدين أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي (ت٩٢٦هـ)، مكتبة الإرشاد، ط٢، ٢٠٠٩م.

📖ذيل لب اللباب في تحرير الأنساب، أحمد بن محمد بن إبراهيم الشافعي(ت ١٠٨٦هـ) تحقيق: د. شادي، بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، اليمن، ط١، ٢٠١١م.

📖رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، أخوان الصفا، مراجعة خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي سي آي سي، د.م، ٢٠١٧م.

📖رسالة أسباب حدوث الحرف، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا(ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسان الطيان ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة، د. شاكر العتمام والأستاذ أحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣م.

📖الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، العلامة أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مكتبة قرطبة للبحث العلمي واحياء التراث الإسلامي، ط١، ٢٠٠٥م.

📖الروضة الندية في شرح متن الجزرية، الإمام العلامة أبو الخير محمد بن محمد الجزري (ت٨٣٣هـ)، شرح محمود محمد عبد المنعم العبد، صححه وعلق عليه السادات السيد منصور أحمد، المكتبة الأزهرية للتراث، ط١، ٢٠٠١م.

📖زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، أبو البركات الأنباري، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

📖سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

📖سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

📖سمط النجوم الموالي في انباء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك المكي (ت١١١١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

📖شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار أبن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.

📖شرح التعريف بضروري التصريف، ابن إيّاز (ت٦٨١هـ)، تحقيق: أ.د. هادي نهر، وأ.د. هلال ناجي المحامي، دار الفكر للطباعة، الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

📖شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ)، مع شرح شواهده، للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب

(١٠٩٣هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد نور الحسن ومحمود الزقراف ومحمد محي الدين عبد الحميد، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.

📖شرح الشفا، علي بن سلطان القاري (ت١٠١٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

📖شرح طيبة النشر في القراءات، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، ضبط وعلق عليه، الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٠م.

📖شرح المفصل للزمخشري، يعش بن علي بن يعش الموصلي (ت٦٤٣هـ)، قدم له، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط١، ٢٠٠١م .

📖شرح المقدمة الجزرية شرح يجمع بين التراث الصوتي العربي القديم والدرس الصوتي الحديث، د. غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات بمعهد الشاطبي، ط١، ٢٠٠٨م.

📖شرح المقدمة الجزرية لـ(طاش كبرى زادة)، تأليف وجمع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠١م.

📖شرح المقدمة الجزرية، عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل الشهير (طاش كبرى زادة) (ت٩٦٨هـ)، تحقيق: محمد سيدي محمد الأمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.

📖شرح الهداية، الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت ٤٤٠هـ)، تحقيق: د. حازم سعيد حيدر، مكتبة الرشد، الرياض، (د،ت).

📖شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، ابن أم القاسم المرادي، تحقيق: د. عبد الهادي الفضيلي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ت).

📖الشرح الوجيز على المقدمة، أ.د. غانم قدوري الحمد، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط١، ٢٠٠٩م.

📖شم العوارض في ذم الروافض، علي بن سلطان القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق: د. مجيد الخليفة، مركز الفرقان للدراسات الإسلامية، ط١، ٢٠٠٤م.

📖الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤ ،١٩٨٧م.

📖الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، الدكتور تحسين عبد الرضا، دار دجلة، ط١، ٢٠١١م.

📖الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت.

📖ضوء المعالي على منظومة بدء الأمالي، الشيخ نور الدين علي القاري (ت١٠١٤هـ)، دار البيروتي، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م.

📖الطرازات المعلمة في شرح المقدمة، عبد الدائم الأزهري (ت٨٧٠هـ)، تحقيق: د. نزار خورشيد عقراوي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٣م.

📖العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، هنري فليش، تعريب وتحقيق: د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٧م.

📖العقود السنية شرح المقدمة الجزرية، الإمام أحمد بن محمد أبي بكر القسطلاني(ت٩٢٣هـ)، تحقيق: أ. فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط١، ٢٠٠٩.

📖علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب و دراسة : د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٤م.

📖علم الأصوات، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

📖علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، د. بسام بركة، مركز الأنماء القومي، لبنان- رأس بيروت، المنارة، ١٩٨٨م.

📖علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، د. عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

📖علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

📖العميد في علم التجويد، محمود بن علي بيه المصري(ت١٣٦٧هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م.

📖العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.

📖غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، القاهرة، رياض، جدة، ط٤، ١٩٩٤م.

📖غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، مكتبة أبن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ، ج.براجستراسر.

📖فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، صفوت محمود سالم، دار نور المكتبات، جدة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٠٣م.

📖فتح القدير، كمال الدين محمد ابن الهمام (ت٨٦١هـ)، دار الفكر، (د،ت).

📖فتح الوصيد في شرح القصيد، الشيخ علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشيد، سلسلة رسائل جامعية (٩٢).

📖فضل علم الوقف والابتداء وحكم الوقف على رؤوس الآيات، عبد الله علي الميموني، فهرسة الملك عبد فهد الوصلية أثناء النشر، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

📖فقه اللغات السامية، المستشرق الألماني كارل بروكلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، المملكة العربية السعودية، جامعة الرياض، ١٩٧٧م.

📖فقه اللغة، د.حاتم صالح الضامن، دار الحكمة للطباعة والنشر،الموصل،١٩٩٠م.

📖فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي (ت١٣٨٢)، تحقيق: احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

📖الفوائد المسعدية في حَلِّ الجزرية، الإمام عمر بن إبراهيم بن علي المسعدي، تحقيق: جمال السيد رفاعي، راجعه وترجمه فضيلة علي بن محمد أبو سلبة، مكتبة اولاد الشيخ للتراث ، ٢٠٠٥م.

📖الفوائد المفهمة في شرح المقدمة الجزرية، الشيخ محمد بن علي بن يوسف بن يالوشة (ت١٣١٤هـ)، ضبطها وصححها، أحمد عناية دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د،ت).

📖في البحث الصوتي عند العرب، د. خليل إبراهيم العطية، منشورات دار الجاحظ للنشر ،بغداد،١٩٨٣م.

📖في صوتيات العربية، د. محيي الدين رمضان، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، (د،ت).

📖القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا، د. سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٢، ١٩٨٨م.

📖قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، أبي عاصم الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار، ط٥، ١٤١٠م.

📖القول السديد في علم التجويد، علي الله بن علي أبو الوفا، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٣م.

📖كتاب، أبو بشر عمرو الملقب سيبويه المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق،ط١، ١٣١٧هـ.

📖الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

📖كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة او الحاج خليفة (ت١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

📖الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجمها، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥-٤٣٧هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٤م.

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، نجم الدين محمد الغزي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- كيفية أداء الضاد، محمد المرعشي الملقب بساجقلي زادة (ت١١٥٠هـ)، دار البشائر، دمشق-سوريا، ط١، ٢٠٠٣م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله الحسين العكبري (ت-٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبدالاله الشبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- لطائف الإشارات لفنون القراءات، الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، تحقيق: د. خالد حسن أبو الجود، م١، مكتبة اولاد الشيخ للتراث، ط١.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمَّام حسان، عالم الكتب،القاهرة،ط٥ ،١٩٩٤م.
- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة، الجزائر، ط٢، ٢٠٠٦م.
- متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي (ت٥٩٠هـ)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط٤، ٢٠٠٥م.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- محاضرات في اللغة منهج دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية ودراسة أصواتها ومفرداتها وقواعدها، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٩٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- مخارج الحروف وصفاتها، الإمام أبو الأصبغ السماتي الأشبيلي المعروف بابن الطحان (ت٥٦٠هـ)، تحقيق، د. محمد يعقوب تركستاني، ط١، ١٩٨٤م.

📖مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية الدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.

📖مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب، عباس بن محمد بن أحمد الشافعي (ت١٣٤٦هـ)، مطبعة المعاهد، مصر، ١٩٢٦م.

📖المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر، الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير، (ت١٣٤٣هـ)، تحقيق: محمد سعيد العامودي وأحمد علي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٩٨٦م.

📖المدخل الى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.

📖المدخل إلى علم الأصوات المقارن، د. صلاح حسنين، منتدى سور الأزبكية، ٢٠٠٦.

📖مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

📖مرشد القارئ إلى تحقيق معالم القارئ، ابن الطحان السماتي (ت٥٦١هـ)، تحقيق: أ.د. حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة الشارقة، مكتبة التابعين القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

📖المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (د،ت).

📖المصطلح الصوتي عند ابن سينا من خلال رسالته أسباب حدوث الحرف، عادل زواقري، دار الآفاق العربية، ط١، القاهرة، ٢٠١٧م.

📖المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة المعاصر، عبد القادر مرعي ، جامعة مؤتة ، عمان ، ط١، ١٩٩٣م.

📖المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

📖معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، محمد محمد مسالم محيسن (ت١٤٢٢م)، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

📖معجم الصوتيات ، د. رشيد العبيدي، مركز الصوت والدراسات، ديوان الوقف السني ،العراق، ط١ ،٢٠٠٧م.

📖معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، محمد مجدي، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

📖معجم المطبوعات العربية والمعربّة، يوسف بن إليان بن موسى، سركيس (ت١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، مصر، ١٩٢٨م.

📖المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر دار الدعوة.

📖المغني في علم التجويد براوية حفص عن عصام، أ.د. عبد الرحمن يوسف الجمل، تقريظ، الأستاذ أحمد عيسى المعصراوي، مكتبة منصور سمير للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.

📖المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، الإمام حسن بن قاسم النحوي، تحقيق: جمال السيد رفاعي ، صححه وقدمه الشيخ محمود حافظ برانق و د. حامد بن خير الله، مكتبة اولاد الشيخ للتراث، ٢٠٠١م .

📖مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

📖المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، (د،ت).

📖المقدمة الجزرية فيما يجب على القارئ ان يعلمه، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، دار المفتي للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١ م .

📖مقدمة في فقه اللغة العربية، د. لويس عوض، رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

📖المكتفي في الوقف والابتداء، الإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (٤٤٤هـ - ١٠٢٢م)، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م .

📖الممتع الكبير في التصريف، علي بن مؤمن بن محمد المعروف بابن عصفور(ت٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

📖منار الهدى في بيان الوقف و الابتداء، أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ط٢، ١٩٧٣م.

📖مناهج البحث في اللغة، د. تمَّام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٩٠م.

📖المنتخب من غريب كلام العرب، لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المعروف ب(كراع النمل)(ت٣١٠هـ)،تحقيق: د.محمد بن أحمد العمري، مؤسسة مكة للطباعة والأعلام،ط١، ١٩٨٩م.

📖المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملا علي القاري، تحقيق: أسامة عطايا، مراجعة: د. أحمد شكري، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.

📖المنصف لكتاب التصريف ، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٤م.

📖المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.

📖الموسيقى الكبير، أبو نصر الفارابي(ت٣٣٩هـ)، تحقيق: وشرح غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير د. محمود أحمد الحفني، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت).

📖الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت٤٦١هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، ط١، ٢٠٠٠م.

📖ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٦٣م.

📖الميزان في أحكام تجويد القرآن، فريال زكريا العبد، دار الإيمان، القاهرة، (د.ت).
📖نثل النبال بمعجم الرجال، الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، جمع من كتب الشيخ أبي اسحاق الحويني، جمع وترتيب أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل ، دار أبن عباس، مصر، ط١، ٢٠١٢م.
📖النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، تحقيق: علي محمد الضباع (١٣٨٠هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، (د،ت).
📖نظام الأداء في الوقف والابتداء، أبو الأصبغ الأندلسي المعروف بابن الطحان، تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، (د،ت).
📖نهاية القول المفيد في علم التجويد، الشيخ محمد مكي نصر الجرسي، تحقيق: الشيخ طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الصفا، ط١، ١٩٩٩م.
📖النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محيي الدين عبد القادر العيدروس (ت١٠٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
📖الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد سالم محسن (ت١٤٢٢هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
📖هداية القاري الى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٥م.
📖همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، (د،ت).
📖الوافي في شرح السلسبيل الشافي في علم التجويد، الشيخ عثمان سليمان مراد، في الأزهر الشريف، تحقيق: د. توفيق اسعد حمارشة، ود. محمد خالد منصور، دار عمان للنشر والتوزيع، ط١ ،٢٠٠٢م.
📖الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح عبد الغني بن محمد القاضي (ت١٤٠٣ هـ)، مكتبة السوادي للتوزيع ، ط٤، ١٩٩٢م.

📖الوافي في كيفية ترتيل القران الكريم، أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

📖الوقف والابتداء، أبو عبد الله محمد بن طيفور السجاوندي (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: د. محسن هاشم درويش، دار المناهج، ط١، ٢٠٠١م.

📖الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، أ.د. عبد الكريم صالح، دار السلام، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠م.

ثانياً: الرسائل و الأطاريح

📖ابن الطحان وجهوده في الدراسات الصوتية، سوسن غانم قدوري الحمد، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ٢٠٠٢م.

📖استدراكات ملا علي القاري المتعلقة بالتجويد في المنح الفكرية على شراح المقدمة الجزرية ، محمد بن مرزوق ابن عمران ، رسالة ماجستير ، كلية القرآن الكريم ، قسم القراءات ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٣٢هـ - ١٤٣٣هـ.

📖الأصوات المفردة عند أبي حيّان الأندلسي في ضوء الدراسات القديمة الحديثة، حيدر غضبان محسن الجبوري، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣م .

📖البحث الصوتي عند الدكتور غانم قدوري الحمد ، علي جواد كاظم الحسيني ، رسالة ماجستير ، جامعة بابل ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١١م .

📖البحث الصوتي عند الكوفيين ، علاء حسين علي الخالدي، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

📖البحث الصوتي في شروح المفصل للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) دراسة في ضوء علم اللغة الحديث ، أحمد سلمان والي الشافعي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بابل ، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م .

📖التفكير الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي في ضوء علم اللغة المعاصر، علاء الدين أحمد محمد الفرايبة، اطروحة دكتوراه، كلية الدراسات العليا اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، آب ٢٠٠٣.

📖الجهد الصوتي عند علي القاري في المنح الفكرية، نيران كنعان محمد السامرائي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

📖الخلاف الصوتي عند علماء التجويد، إبراهيم زماوي نعمة، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٢٠م.

📖الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري، بو عناني سعادة آمنة، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، ٢٠١٠ – ٢٠١١م.

📖الدرس الصوتي عند القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، صباح كاظم بحر المساري الطائي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٢م.

📖الدرس الصوتي عند المرعشي في كتابه جهد المقل(١١٥٠هـ)، منى يوسف حسين، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠١م .

📖الدرس الصوتي عند مكي بن أبي طالب القيسي، بكر محمد أبو معيلي، رسالة ماجستير، عمادة الدراسات العليا ،جامعة مؤتة ،٢٠٠٣م.

📖الضاد في النظام الصوتي العربي مع دراسة كتب الفروق، حيدر فخري ميران، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المستنصرية، ١٤٣١هـ – ٢٠٠٠م .

📖الظواهر الصوتية في المقدمة الجزرية مع تحقيق الحواشي الأزهرية في حل ألفاظ في المقدمة الجزرية، الشيخ خالد الأزهري (ت٩٠٥)، علاوي سادر جازع الدراجي، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، أطروحة دكتوراه،١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

📖اللآلئ السنية في شرح المقدمة الجزرية في التجويد بالقرآن المجيد، أحمد بن محمد أبي بكر القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، تحقيق: سامي ماضي إبراهيم، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٩م.

📖اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة، أبو عبد الله محمد بن حسن الغاسي (٥٨٠-٦٥٦هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله عبد المجيد نمنكاني، رسالة ماجستير، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ.

📖منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ .

📖الموضح في وجوه القراءات، الإمام نصر بن علي بن محمد الشيرازي المعروف بابن مريم، عبد الفتاح اسماعيل شلبي، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.

ثالثاً: المجلات و البحوث المنشورة

📖أوهام السيرافي في نسبة الآراء إلى الفراء (دراسة صوتية)، مجلة مركز بابل للدراسات الحضارية و التاريخية، ع٢ كانون الأول، ٢٠١٢.

📖تجليات الهمزة والألف أو تخفيفهما في الدرس الصوتي العربي دراسة تحليلية في ضوء المستويين الفوناتيكي والفونولوجي، أ.م.د. منى يوسف و أ.د. حيدر فخري ميران، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع ٤٢١، شباط ٢٠١٩م.

📖علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، المستشرق الألماني، أ. شاده، صحيفة الجامعة المصرية، س٢، ع ٥، و٦، ١٩٣١م.

📖علم الأصوات عند سيبويه، المستشرق الألماني، أرتو شاده (١٨٨٣-١٩٥٢)، محاضرة برؤية استشراقية ومراجعة حديثة، أ.د. صبيح حمود التميمي، اداب الرافدين، ع٥٨، ٢٠١٠م.

رابعاً: المواقع الألكترونية

📖 أحكام المد والقصر عند القراء السبعة، محيي الدين محمد عطية، شبكة الألوكة www.alukah.net.

- أربعون حديثا في جوامع الكلم، الإمام العلامة الفقيه المحدث علي القاري الهروي المكي، تحقيق: الشيخ حسن الحسيني، كاتب المخطوطة محمد بن أحمد أبي العباس العباسي، تاريخ المخطوطة الأحد ٣/ذو الحجة/١١٠٠هـ، رقم النسخة ٣٠٥٥٦١، عدد الأوراق ٢ورقة، مصدر المخطوطة موقع مخطوطات الأزهر الشريف – مصر . http:www.alazharonline.org
- علم اللغة العربي (الأصوات)، د. حيدر مجيد، كلية التربية الأساسية، .uomustasiriyah.iq
- رسائل إخوان الصفا www. aL-mostafa.com

Abstract

This academic research sheds light on two explanations of the introduction to Al-Jazari called ((The Introduction to What the Reader of the Qur'an Should Know)), by the scholar Shams Al-Din Abu Al-Khair Muhammad bin Muhammad Al-Jazari (d. Ahmed bin Abi Bakr Muhammad al-Qastalani (d. 923 AH), and (The Intellectual Scholarships in Explanation of the Introduction of Al-Jazari), by Sheikh Nur al-Din Ali bin Sultan al-Qari (d. 1014 AH), phonetic study and balancing, which prompted me to choose it because of the great importance of this introduction in phonetics, It collected all aspects of the phonetic science of the linguistic and the findings of previous scholars in this field and its distinctive addition that predicts its phonetic culture, which closely came close to the data of the modern phonemic lesson, as it became an approved course for learners of intonation since the author's life until our time. That position is why this introduction has attracted the attention of many scholars, and they have enriched their explanations a lot. A. With their accurate scientific opinions and ideas.

The nature of this study required that it be in three chapters, preceded by an introduction, and followed by a conclusion with the most important results. As for the first chapter, it included (articulation of sounds for al-Qastalani and al-Qari), and it was devoted to the study of exits, the sound and the letter, how to achieve the articulation, the number of Arabic letters and the difference in them, the number of places of articulation and their details. The second chapter included the study of (the characteristics of sounds for al-Qastalani and al-Qari), and divided it into two sections. Whistling, faltering, softness, refining, deviation, sings, hidden, tide.(... ،

As for the third chapter, it was devoted to (the functional construction of sounds for al-Qastalani and al-Qari), and it included three sections. The first topic included (diffraction, types of assimilation, the provisions of the nun-consonant, and the provisions of the silent meme), and it dealt with in the second topic (extention and shortening, causes of extention, and types of extention). I included the third topic of (Waqf and Beginning), in which I dealt with the concept of endowment, its sections and types, and the provisions of endowment on the end of the word.

As for the conclusion, it included the most prominent findings of this study, followed by a list of sources and references.